

حضارة الاسلام

العدد ٥٦ و٦٧
السنة العاشرة

مجلة فكرية جامعة

رجب وشعبان ١٣٨٩

يول و تشرين الاول ١٩٦٩



بسم يوسف الزدوج

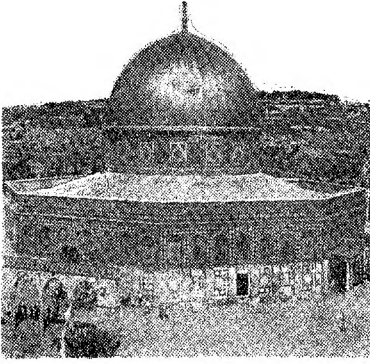
هذا العدد

نقدم هذا العدد المزدوج لقرائنا الكرام بعد أن تأخر صدوره لأسباب خارجة عن إرادتنا آملين أن نلتقي معهم في العدد السابع قريباً إن شاء الله . ولنا من وعي الإخوة ومعاونتهم ما يساعد على قبول العذر وتحقيق الغاية والله المستعان .

صفحة

٧	بقلم رئيس التحرير	نصيحة لا بد منها
١٥	للاستاذ محمد عزة دروزه	تخرصات سخفاء المبشرين
٢٦		من معالم التنزيل
٢٧		من مشكاة النبوة
٢٨	للشيخ محمد الحامد رحمه الله	فضل العلم والعلماء
٣٦		هكذا يعلم الربانيون
٣٧	للدكتور عماد الدين خليل	صرخة عند المسجد الأقصى
		(مسرحية)
٤٥	للاستاذ يوسف العظم	يا قدس (شعر)
٥٣	للاستاذ محمد فخر الدين القسام	ردود ومناقشات (حول مسألة
		الحول في الزكاة)
٦٧	لابن الزمان	شرف المهنة
٧٤	اعداد قلم التحرير	شذرات وقطوف
٧٦	للاستاذ محمود القاسم	الحق .. والجمال .. والحب
٨٢	بقلم أنس عبدالرحمن عثمان	الجريمة النكراء
٨٨	للاستاذ محمد حسن بريفش	هاشم الرفاعي
١٠٣	بقلم غازي الربيعي	النكسة في بعدها الحضاري
١٠٩	للاستاذ وهبي سليمان الالباني	كتاب في مقال (الرسول صلى الله
		عليه وسلم)
١١٣		تكذيب حول ما نشر في مجلة
		« العربي »
١١٤	بقلم محمود محمد الحامد	البحث في أصل اللغة
١٢٠	اعداد قلم التحرير	من الصحف والمجلات
		(الاخلاق المحاربة)
١٢٧	ترجمة وجيه الدباغ	الخمير

صورة الفلاف



قبة الصخرة
في القدس

الله شاك لنوى

- في سورية ولبنان ١٢ ليرة
في الدوايرة المؤسسات ٢٥ ليرة
في مصر والشودان ١٧٥ قرشا
في العراق والأردن ١٥٠ فلسا
في المملكة السعودية ٢٥ ريالاً
في الكويت ٢٠٥ ديناراً
في أمارات الخليج ٢٠٥ ديناراً
في انحاء العالم ٥ مئة سزبنى
في الدوايرة المؤسسات الأجنبية ٦ مئة سزبنى

مَجَلَّةُ فِكْرِيَّة جَامِعَة

سِنَنهَا عَشْرَةٌ أَعْدَادُ

مؤسسها

الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله

رئيس التحرير

الدكتور محمد رفيع صبيح

المدير المسؤول

إبراهيم فرحات

للهولاءة : دمشق - حلبوني - جادة الربيعي

المساقفة : ١٤٥٩٥

صندوق البريد : ٨٠٨

كافة المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير

ISLAM'S CIVILIZATION

All - embracing Cultural Monthly Review

B. O. BOX 808

DAMASCUS SYRIA

بسم الله الرحمن الرحيم

حضارة الإسلام

مجلة فكرية جامعة

العددان	الخامس - السادس	رجب - شعبان
أيلول - تشرين أول	السنة العاشرة	١٣٨٩
١٩٦٩		

نصيحة لا بد منها...

يغالبنني على القول كلام ما أحسبه تاركى حتى يأخذ من كبدي ما يشاء
ذلكم هو حديث تلك الحال من الضياع الذي تعانيه أمتنا صورة عن هول المطارق
التي تدق بهولها العقول والقلوب صباح مساء .

وليس من مكرور القول أن نذكر بأن من الأغراض التي يرمي إليها أعداء
الامة بكثير من المنهجية والتدبير ، أن تظل هذه الامة في دوامة من النصب
والتعب لاتنتهي كيما يخرج بها ذلك عن دائرة البناء في ظل الرسالة التي اكرمها
الله بنظامها فكانت به خير أمة أخرجت للناس .

ولو انك تجاوزت ما تعانيه الأمة اليوم مع ((يهود)) وما ترى العين وتسمع
الأذن من آثار شاهدة على الأذى والاصرار على العدوان والسلب والاعتصاب
بمعاونة الطوافين حول الأرض والساعدين الى القمر... لو انك تجاوزت ذلك
الى أي بقعة من وطننا الكبير لوجدت على كل أرض من تلك البقعة ما يراد به
الضياع ، وما يراد منه أن تكون الأمة على حال من الحيرة بين «عود على بدء
وبدء على عود» ، وخذ لذلك من المترادفات ما شاء لك الفكر ووسعتك
الحقيقة بله الخيال ...



هذه حقيقة ماثلة لا ينكرها الا مكابر ولا يتجاهلها الا من كان بينه وبين
النعمامة نسب متصل أو تقى الاتصال ... ولسنا نبغي من وراء ذلك ان يكون
الكلام معوانا على التشاؤم أو اليأس ، فاليأس من روح الله لا يلتقي مع الايمان
بنصره وتأيبه اذا نحن سلكننا للثاية سبيلها ، ولننصر طريقه التي رسمها
الاسلام .

ولكن الذي نبغيه أن أي أمة من الأمم اذا ضاعت عليها المعالم وتعثرت في
طريقها أو تعثر بها الطريق ، إن من العجب العجائب ان تحيط بنا نحن الففلة وتنظلي
علينا الحيلة ، ونقع في شرك الاستجداء ، فنحن أمة - والله الحمد والمنة - أكرمها
الله بالاسلام فكانت مبادئنا قرآنا يتلى في المحارب ، ودروسا تلقى على منابر العلم ،
وحركة حضارية تضع الانسان بطاقاته وأهليته وتكوينه في مكانه الطبيعي من
البناء فاني تلفت اهتدى بمعالم هذا الاسلام فلا يفضل الطريق ولا يشقى على
مدى الايام .



واذا كنا ننتظر من أعدائنا ان يسقطونا من حسابهم ، ويدعوننا وشائنا ،
نستمتع بالحياة ، ونسير في طريق البناء ، فهذه أحلام لا طائل تحتها

هي أشبه بوساوس الذي يريد أن يجني من الشوك العنب . إنك لو سميت الثعلب بالف اسم واسم، وزخرفت ولوتت، فلن يكون في تعامله ومخططاته إلا الثعلب ، إذ أن كل الذي صنعتته من الزخرف لن يغير من حقيقته شيئاً.

واذن فالذي يجب أن يأخذ مكانه الطبيعي من اهتمامنا - مع القضايا الراهنة التي تفرض نفسها على الأمة - إنما هو التفتيش عن ذاتنا وكياننا ، وهويتنا بين أهم الأرض ، على أساس من المنهجية المثمرة التي تضع في حسابها كل عنصر من مقومات هذه الأمة ومنابع حياتها وامجادها في تاريخ بني الانسان . ولن يكون ذلك الا في ظل الاسلام كما جاءت به منابعه الاولى في كتاب الله وبيان رسول الله وفهوم أئمة الهدى من علمائنا الاولين .

وهذا الذي يمكن ان ندعوه تحديد الموقف الذاتي كان من أوليات المسائل التي جاءت بها دعوتنا الطاهرة المجيدة ، ومن الكليات الاولى التي على هداها قام البناء ، وثبت أصل الشجرة ، التي فاء الى ظلها التاريخ ((كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)) .

* * *

فمن أول الطريق في العهد المكي حيث ابتلاء المؤمنين يذر قرنه هنا وهناك وسدنة الوثنية يحاولون بشراسة أن يحولوا دون بزوغ الفجر الجديد ، والمساومات تلقي بشقلها على أرض الموحدين . من أول الطريق يومذاك نزل قوله تعالى : ((قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ...))

وبعد فتح مكة حيث فرح المؤمنون بنصر الله، وأزيح من حول الكعبة ظلام الاوثان وعبد الاوثان . بعد فتح مكة ينقض المشركون عهدا كان بينهم وبين المسلمين فينزل قول الله تعالى :

((براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في

الأرض أربعة أشهر واعلموا انكم غير معجزي الله ... » .

فكانت البراءة خاصة بأولئك الذين عاهدوا ونقضوا العهد ، ولكنك لاتكاد تنتهي من قراءة الآية الاولى حتى تطالعك الآية الثانية بحكم عام يقول فيه الواحد القهار : « وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله » .

ولعلك لاتجد نصبا في أن تعمل فكرك للربط بين نزول سورة «الكافرون» أيام الخطوة الاولى في العهد المكي حيث الشدة والبلاء وتهديد القلة المؤمنة بالفناء ، وبين نزول فواتح سورة التوبة بعد أن ارتفعت راية التوحيد على ربى مكة وعلا هدير الكلمة المسلمة في تلك الربوع والاصقاع .

ومن هنا كنت ترى أن الخطاب القرآني للجماعة المسلمة لايهادن ولايتهاون في شيء من حرارة التذكير بالقاعدة التي لايحوز المساومة عليها أو التفاوض عن ساحتها ومدلولها ، لان بها حفظ كيان الأمة ، وسلامة طريقها الى الغاية ، والحيولة بينها وبين أن يصيب الأعداء منها مقتلا ، أو يوقعوها في شرك الغفلة ، ومصائد شياطين الإنس والجن . « يا أيها الذين آمنوا خذوا حذرکم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا » وان منكم من ليبطن فان أصابتم مصيبة قال قد انعم الله عليّ إذ لم أكن معهم شهيدا . ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودةً باليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما . فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما . ومالكم لاتقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا . الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا » .

ما أحسب أن عاقلا يرى هذا الوضوح في الخطاب ، وحرارة الالتقاء في روح المؤمنين وقلوبهم ، وربط كل جزئية بالكلية العامة التي هي المحور الأولي ، ثم يخالجه شك في أن طريق الأمة إلى الخروج من ظلام دوامتها في وطننا الكبير إنما يكون بالعودة الصادقة إلى المنطلق الذاتي لها والذي يرتد إلى قاعدة البناء التي جاء بها هذا الخطاب القرآني .

والكشف عن نقاط الضعف في الصفوف يهتك أستار المنافقين ولا كرامة ، لأن الطريق في أشواكها وبعد مراحلها ، وعزة غايتها لا تحتل مهادنة ولا مهاودة . « ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله ، وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك فما لهؤلاء القوم . لا يكادون يفقهون حديثا » .

إن الوقائع بحرارتها وغنوانها ، ولؤم الأيدي التي تحركها جديرة أن تلتفتنا عن طريق الضياع ، لنبصر معالم طريقنا التي دعانا محمد بن عبد الله صلى الله وسلم عليه أن ننتهي إليها ، والليالي حبالى بالحوادث ، وفي كل صباح يطلع عليك نبا جديد .

★ ★ ★

وإذا انتهينا إلى تلك المعالم ووقفنا حيث ينبغي أن تقف الأمة التي تترك أصالتها وذاتها ، كان من أبسط النتائج إعطاء الحكم الصحيح في كل جزئية تعرض ، وذلك بردها إلى أصلها الذي خرجت منه ، وعند البحث ترتد إليه .

لأننا ننظر بمنظارنا نحن ، لا بمنظار يوضع على أعيننا ويراد منا أن نبصر من خلاله . فهوقفنا من يهود وموقفهم منا ، لا يحتاج الى ايضاح أو تبين . ان حريق المسجد الأقصى - على سبيل المثال - تلك الجريمة التي لا يدرك هولها الا من كانوا من بني الانسان بالمعنى الصحيح ، هذا الحريق نتيجة طبيعية لوجود الأقصى تحت سلطانهم وفي ظل أنظمتهم وقوانينهم ، فما الذي أنت ناظره من هؤلاء حين يكون الأقصى تحت سلطانهم ؟؟ خصوصا اذا تذكرت انهم الآن يحاولون من خلال عقدة أصبحت مرضا موروثا على الاجيال إثبات ان من واجبهم اعادة بناء هيكل سليمان الذي يزعمون وجوده تحت المسجد الأقصى ، وان المسلمين غاصبون للأرض التي عليها الهيكل ، انهم يريدون ان ينتقموا من الايام الطويلة خلال عشرات القرون - ومن التاريخ الاسلامي بخاصة - في كيان أصحاب الأرض التي يحتلونها والمسجد الذي كان اليه مسرى سيد العالمين محمد صلوات الله عليه .



لقد يكون مفيدا أن نشير العالم ونفتح الاعين المغلقة على هذه الجريمة ، ولكن احتلال المسجد في الاصل أشنع منها وإبشع ، ويمارس اليهود تحت سقف هذا المسجد الذي هو ثالث الحرم ، والذي تعدل الصلاة فيه خمسمائة صلاة في غيره . . . يمارس اليهود أشنع انواع الأذى والخلاعة والميوعة وما هو من أخلاق الخنازير ، وأصبح ذلك أمرا مشهورا ومعروفا . ان حريق جدران المسجد ليس الحريق الوحيد ولكنه واحد من ألوان الحريق التي تصيب مسجدا وأرضا كل يوم .

ومن جهة ثانية فإن جلاء الحقيقة المرة والكشف عن جوانبها لا يهابه الا ضعفاء النفوس . فاي تقدير حقيقي كنا نمنحه لهذا المسجد من قبل ، وهم كان عدد المصلين الذين يؤمنونه في الصلوات الخمس ؟؟ ما أحسب ان الجواب

مرض عن هذا التساؤل . بل قد يدخل بعض من لا خلاق لهم على غير وضوء لحاجة تتعلق بمصالحهم الخاصة لا بمروضة الله عز وجل .

وكاين من مسلم في أقطار العالم الاسلامي لا يدري ما هو السبب في قياسه هذا المسجد ، وأنه ثالث الحرم ، وان الحديث الصحيح قد اثبت ان الصلاة فيه تعدل خمسمائة صلاة ، وان الاهمية البالغة وراء هذا كونه المسجد الذي اختاره الله لرحلة الاسراء من المسجد الحرام اليه فالقضية لا تترسد الى التاريخ فحسب ولكنها مرتبطة بالعقيدة قبل كل شيء .

ان القيمة الدعائية لموضوع ما في ميادين أخرى غير مياديننا انما تؤتي أكلها اذا نحن حرصنا على أن نكون على ارض المعرفة والايمان والادراك للقضية التي نتحدث عنها بالايجاب أو السلب . وان النصيحة لله ولرسوله وللأمة تقتضيها ، والحرمات تستباح ، والمقدسات تنتهك ، والاصرار على العدوان والتشريد والاعتصاب قائم من العدو وممن هم وراء العدو أقول : إن النصيحة تقتضيها ان لا نفعل الجانب الاساسي من جوانب قضية من قضايانا فنمارس ما يشبه إحراق القيم ، وهذا كما قلت من أبسط النتائج التي تشرها النظرة الذاتية الاصيلية ، والتحول عن طريق الضياع .

ان للإسلام كلمة قالها قبل اربعة عشر قرنا في « يهود » ولقد سجل القرآن ذلك بآيات تتلى حتى يرث الله الارض ومن عليها ، وبينت جوانبه واوضحت معالمه السيرة النبوية بما لا يدع زيادة لمستزيد . والاسلام يدعونا لأن نفتح قلوبنا وأعيننا على ذلك ، وأن نفذ السير الى حيث المرتقى الصعب والغاية البعيدة غير عابئين بما يوجب ذلك من تضحيات وبذل ، فالله لا يضيع عمل عامل ، ولا ينسى عنده مثقال ذرة ، والا نكون القينا بيدنا الى التهلكة وقد نهانا سبحانه عن ذلك بقوله : « وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وأحسنوا ان الله يحب المحسنين » .

ان الاسلام المنقذ القادر على تحويل العواطف الى أعمال يطالبنا اليوم
بالوفاء .

فالمسلمون اليوم : فريق يعرض عن الاسلام ، وفريق يحمله للدعاية
والاستغلال ، وتحارب الفئة الثالثة .

والحق ان عودة صادقة ذاتية الى الاسلام على أساس منهجي سليم بعيد عن
الاغراض القريبة التي قد تعقد لها المؤتمرات الرسمية وتجمع لها الجموع هي
الكفيلة بأن تسلك بناسيب الاعداد الصادق بكل مجالاته ومفهوماته ، لا لتنتصر على
يهود وغيرهم فحسب ، بل لتأخذ دورنا الحضاري البناء من جديد . ذاكرين
دائما قول الله تعالى : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »
« فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في
سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما » .

محمد صالح

تَحْرِصَاتُ خُفَاءِ الْمُبَشِّرِينَ فِي صِفَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَسُولِهِ فِي الْعَهْدِ الْمَكِّيِّ

لِلأستاذ محمد عزة دروزة

لسخفاء المبشرين تخرصات فيها كثير من الصفاقة والفحاشة والتهافت في صفة النبي صلى الله عليه وسلم ورسالته في العهد المكي .

وفي كتب أصدرها الخوري يوسف الحداد الذي يسمي نفسه (الأستاذ الحداد) طائفة من ذلك رأينا من الواجب أن نرد عليها ونبين وجه الحق فيها ★ .

فأولا : رأى الخوري في القرآن المكي كثرة الآيات التي تصف النبي صلى الله عليه وسلم بالتبشير والتنذير والمبشر والمندر . أو تأمر بتبشير الناس وإنذارهم . أو بأن يقول إنه أرسل إلى الناس بشيراً ونذيراً . أو انه بشير ونذير ونذير ومبشر ومنذر فحلا له أن يزعم أن محمدا حرص على أن يقدم نفسه للناس بشيراً ونذيراً ومبشراً ومنذراً دون أن يكتر من وصف نفسه بالرسول والنبي .

وقد أراد الخوري إبراز هذا الأمر كما هو المتبادر من كلامه ظاهراً أو باطناً ليوهم ضعف ثقة النبي صلى الله عليه وسلم برسالته ونبوته أو بصفته رسولا ونبياً أو تردده في الجهر بهما . وبكلمة أخرى أراد أن ينبه ويركز على وهن موقفه وصفته في العهد المكي .

ولقد تغافل الخوري عن ما في القرآن المكي من آيات كثيرة تثبت تهافت كلامه ووهنه فكشف بذلك غثاثة نفسه وصغارها وسوء أدبه معا . ويجدر بنا أن ننبه على أن فحوى الآيات التي فيها كلمات مبشر ومنذر وبشير ونذير يفيد أن هذه الكلمات إنما عنت مهمة رسول الله وأنبيائه أكثر منها صفة لهم وحسب . وقد جاء ذلك بصراحة في آيات عديدة جمعت هذه الكلمات مع كلمتي الرسول والنبي مما فيه دليل على ما نقول كما هو في الآيات التالية :

★ من كتاب للمؤلف يصدر قريباً إن شاء الله حول هذا الموضوع .

١ - (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه . .)
البقرة ٢١٣

٢ - (يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ونذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير . .)
المائدة ١٩

والقرآن المكي لا يصف النبي محمد صلى الله عليه وسلم وحده بصفة نذير ومنذر وبشير ومبشر بل يصف بذلك رسل الله وأنبيائه السابقين في آيات كثيرة . منها ما جاء مترافقاً مع كلمته (نبي ورسول) ومنها ما جاء عاماً كما ترى في الآيات التالية :

١ - (وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون .)
الانعام ٤٨

٢ - (ولقد أرسلنا نوح الى قومه اني لكم نذير مبين .)
هود ٢٥

٣ - (وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق . .)
الكهف ٥٦

٤ - (ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً . .)
الفرقان ٥١

٥ - (وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون .)
الشعراء ٢٠٨

٦ - (لتنذر قوما ما آتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون . ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين . .)
التقصص ٤٦ و٤٧

٧ - (وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها أنا بما أرسلتم به كافرون . .)
سبا ٣٣

٨ - (إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وان من أمة الا خلال فيها نذير .)
فاطر ٢٤

٦ - (ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين . ولقد أرسلنا فيهم منذرين) .
الصفات ٧١ و ٧٢ (١)

ومع ذلك فإن القرآن المكّي وصف النبي محمدا صلى الله عليه وسلم
بالرسول والنبي في آيات كثيرة منها ما هو صريح ومنها ما هو ظاهر من
الفحوى . ومنها ما هو في سور مبكرة جدا في النزول . ومنها ما هو في
أدوار التنزيل المكّي المختلفة كما ترى فيما يلي .

١ - (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى
أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله . ولقد جاءك من نبي المرسلين . .)
الانعام ٢٤ (٢)

٢ - (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم
الى بعض زخرف القول غرورا) .
الانعام ١١٢ (٣)

٣ - (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وما كان
لرسول أن يأتي الا باذن الله لكل أجل كتاب . .)
الرعد ٣٨ (٤)

٤ - (ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم
ومن عنده علم الكتاب) .
الرعد ٤٥ (٥)

٥ - (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم . .)
ابراهيم ٤ (٦)

٦ - (ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الاولين . وما يأتيهم من رسول
الا كانوا به يستهزؤون . .)
الحجر ١١٠ (٧)

٧ - (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا فكفرت
بأنعم الله فأذاقها الله لباس الخوف والجوع بما كانوا يصنعون . ولقد

(١) هناك آيات عديدة أخرى من باب هذه الآيات فاكتفينا بما تقدم .
(٢) واضح أن النبي قدم نفسه رسولا وقال الله تعالى في الآية أن الرسل قبله كذبوا وأوذوا
وصبروا كما عرفت من أخبارهم ولك الاسوة بهم .
(٣) الخطاب قبل الآية وبعدما للنبي فيكون نعمت النبي في الآية عائدا اليه أيضا .
(٤) ينطوي في الآية تقرير كون النبي محمد رسولا مثل المرسلين من قبله .
(٥) ينطوي في الآية بيان كون النبي قدم نفسه رسولا .
(٦) في الآية الاولى من السورة وجه الخطاب للنبي بأن الله أنزل عليه الكتاب ليخرج الناس
من الظلمات الى النور فيكون وصف الرسول في هذه الآية عائدا اليه .

جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون . .)

النحل ١١١ و ١١٢ (٧)

٨ - (بل قالوا أضغاث أحلام بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون . .)

الأنبياء ٥ (٨)

٩ - (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون . .)

الأنبياء ٢٥ (٩)

١٠ - (وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا . .)

الفرقان ٧ (١٠)

١١ - (وقال الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا . وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا) . .

الفرقان ٣٠ و ٣١ (١١)

١٢ - (يس والقرآن الحكيم . انك لمن المرسلين . .)

يس ١ - ٣

١٣ - (بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين . ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون . وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم . .)

الزخرف ٢٩ و ٣١

١٤ - (وأسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا أنجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون . .)

الزخرف ٥ (١٤)

١٥ - (فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون . انه لقول رسول كريم . وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون . ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون . تنزيل من رب العالمين . .)

الحاقة ٤٠ - ٤٣

١٦ - (انا أرسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا الى فرعون رسولا . .)

المزمل ١٥

(٧) (المثل مطروق) لأهل مكة والرسول هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

(٨ و ٩ و ١٠) واضح من الآيات ان النبي قدم نفسه رسولا .

(١١) في الآيتين وصف للنبي بالرسول والنبي معا .

ولا يملك المرء ازاء كثرة الآيات التي تغافل عنها الخوري عمدا بدون ريب الا أن يعجب من صفاقته ووقاحته وغثائه في دعواه وزعمه .

وثانياً : ومما يحلو للخوري الحداد التركيز عليه في صدد صفة النبي صلى عليه وسلم (بشريته) وما ورد في القرآن من هدايته بعد الضلال . ومعاتبته على بعض امور ومواقف صدرت في بعض الظروف . وتكرار أمره بالاستغفار من ذنبه . والاشارة الى ما وضعه الله عنه من وزر انقض ظهره . وتحذير من الشك في ما أنزل عليه والافتراء فيه . والافتتان عنه رغبة في الاستجابة لبعض مطالب المشركين . وعدم الاستجابة لفقراء المسلمين والاهتمام بأغنياء المشركين ووجهائهم وضيق صدره من بعض ما أنزل عليه الخ. . . كما جاء في الآيات التالية . .

١ - (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما . واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيمًا . ولا تجادل عن الذين يخفون أنفسهم . ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما . .)

النساء ١٠٥ - ١٠٧

٢ - (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين . .)

الانعام ٥٢

٣ - (واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين . .)

الانعام ٦٨

٤ - (كتاب أنزلناه اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين . .)

الاعراف ٢

٥ - (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون

عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم . فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم (. .)

الانفال ٦٧ - ٦٩

٦ - (عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين .)

التوبة ٤٣

٧ - (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم . .)

التوبة ١١٣

٨ - (فان كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلاتكون من الممترين . ولا تكون من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين . .)

يونس ٩٤ - ٩٥

٩ - (فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل . .)

هود ١٢

١٠ - (وان كادوا ليفتنونك من الذين أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلا . ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا . إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا . .)

الاسراء ٧٣ - ٧٥

١١ - (ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدينى ربى لأقرب من هذا رشدا . .)

الكهف ٢٣ - ٢٤

١٢ - (واذا تقول الذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ..)

الاحزاب ٣٧

١٣ - (فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار ..)

غافر ٥٥

١٤ - (فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم ..)

محمد ١٩

١٥ - (انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما . وينصرك الله نصرا عزيزا ..)

الفتح ١ - ٣

١٦ - (عبس وتولى . أن جاءه الاعمى . وما يدريك لعله يزكى . أو يذكر فتنعه الذكرى . أما من استغنى . فأنت له تصدى . وما عليك الا يزكى . وأما من جاءك يسعى وهو يخشى . فأنت عنه تلهى ..)

عبس ١ - ١٣

١٧ - (ووجدك ضالا فهدى ..)

الضحى ٧

١٨ - (ألم نشرح لك صدرك . ووضعنا عنك وزرك . الذي أنقض ظهرك . ورفعنا لك ذكرك ..)

الشرح ١ - ٤

ولقد اهتم الخوري لابرار هذه النقاط خاصة في سياق المقارنة بين النبي صلى الله عليه وسلم والمسيح عليه السلام حيث قال : (ان القرآن لم يذكر للمسيح اثما ولا علاقة باثم . ووصفه بالزكي في آية سورة مريم هذه (لأهب لك غلاما زكيا) بمعنى طاهر . وجعله مباركا أين ما كان كما جاء في آية سورة مريم هذه (وجعلني مباركا أين ما كنت) وان الله وقاه من الشيطان حين استجاب لدعاء أم مريم في آية سورة آل عمران هذه (واني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ٣٦) وانه لم يكن للشر عليه سلطان على الإطلاق . وأورد حديثين عن النبي صلى الله عليه وسلم جاء في أحدهما (ما من مولود يولد الا والشيطان يمسسه حين يولد .

فيسهل صارخا من مس الشيطان إياه إلا مريم وابنها واقرأوا إذا شئتم
واني أعيدها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) . وجاء في ثانيهما (كل
بني آدم يطعن الشيطان في جنبه باصبعه حين يولد غير عيسى ابن مريم .
ذهب ليطمن فيه فطعن في الحجاب) بسبيل توثيق قوله .

**ومقتضى كلام الخوري عن عيسى عليه السلام أنه مصروف عن أي ذنب
وإنهم وشر فلا يستطيعه بحيث يمكن أن يقال من باب المساجلة انه ليس في
الحالة هذه مزية ما .**

وليس في بشرية النبي صلى الله عليه وسلم بدع يصح أن يساق كنقطة
ضعف فيه . وقد قال الخوري تعليقا على آية يونس (٩٤) انها أعظم آية
في القرآن تدل على بشرية النبي وضعفه البشري . ولقد أمر الله النبي بأن
يعلن بشريته في أكثر من آية كما جاء في آية سورة الكهف هذه (قل
إنما أنا بشر يوحى إلي أنما ألهم اله واحد . .) وآية سورة فصلت هذه
(قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما ألهم اله واحد . .) . ولقد
أمره أن يعلن أنه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا يعلم الغيب وأنه ليس بملك
كما جاء في الآيات التالية :

١ - (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم أني
ملك ان اتبع الا ما يوحى الي . .)

الانعام ٥٠

٢ - (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب
لاستكثرت من الخير وماسني السوء ان انا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون .)
الاعراف ١٨٨

٣ - (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله لكل أمة أجل فاذا جاء
أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون . .)
يونس ٤٩

ولقد أشار القرآن الى بشريته في آيات عديدة أخرى في سياق بيان
كونها ليست بدعا وكون ذلك سنة الله في أنبيائه ورسله كما ترى في هذه
الآيات :

١ - (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية . .)

الرعد ٣٨

٢ - (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون . .)

النحل ٤٣

٣ - (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا . أن يكون لك جنة من نخيل وأعناب فتفجر الانهار خلالها تفتجيرا . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبلا . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا . وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى الا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا . .)

الاسراء ٩١ - ٩٤

٤ - (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون . وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين . .)

الانبيا ٨٧

٥ - وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون .

الانبيا ٢٤

٦ - وما أرسلنا من قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق . .

الفرقان ٢٠

وظاهر من نصوص الآيات التي فيها معاتبات وتحذيرات وتنبيهات (أي آيات النساء ١٠٥ - ١٠٧ والأنعام ٥٢ و ٦٨ والأعراف ٢ والانفال ٦٧ - ٦٩ والتوبة ٤٣ و ١١٣ و ١١٧ ويونس ٩٤ و ٩٥ وهود ١٢ والاسراء ٧٣ - ٧٥ والكهف ٢٣ و ٢٤ والاحزاب ٣٧ وعيس ١ - ١٣) انها بصدد مواقف وبوادر كانت تصدر من النبي صلى الله عليه وسلم اجتهدا ولا يكون فيها وحى ويرى فيها خيرا وفائدة ومصلحة لل دعوة والمسلمين أو تفاديا من حرج ازاء الكفار والمشركين أو جلبا لزعمائهم . وكانت خلاف الاولى في علم الله المغيب عليه فكانت حكمة التنزيل تقتضي تنزيل تلك الآيات ليكون منها تنبيه وتعليم وتشريع . مع التنبيه على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجتهد في امور ومواقف تكون صوابا في علم الله وحكمته فينزل في ذلك قرآن مؤيد .

وكل هذه الاجتهادات من مقتضى بشرية النبي صلى الله عليه وسلم . وليس هو فيها بدعا ، وفي أسفار العهد القديم والحديث التي يقدمها الخوري ويصفها بأنها الكتاب المقدس والتوراة والانجيل صور كثيرة من مثل ذلك معزوة الى أنبياء الله ورسله والى الله تعالى بسبيل التحذير والتنبيه .

والخوري يعرف ذلك طبعاً ولكنه يقف منه بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم موقف التجريح والتشكيك . وقد يكون تكرار أمر الله تعالى للنبي بالاستغفار متصلاً بتلك الاجتهادات التي تكون خلاف الاولى في علم الله الغيب عنه أو بسبب ما يمكن أن يبد منه من لمات وهفوات ونسيان مما هو مقتضى بشرته . وكل هذا من النوع الذي يدخل في عفو الله بصورة عامة بالنسبة لسائر الناس على ما تفيد آيات سورة النجم هذه « والله ما في السموات وما في الارض ليجزي الذين اساءوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى . الذين يجتوبون كبائر الاثم والفواحش الا اللهم ان ربك واسع المغفرة هو اعلم بكم اذ انشأكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى ٣٢ و ٣٣ » غير انها تكون بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم من قبيل (حسنات الابرار سيئات المقربين) . فيأمره الله بالاستغفار منها ويكون في ذلك تعليم للمسلمين بذكر الله واستغفاره لما يصدر عنهم من لمات وهفوات ..

وفي القرآن آيات تذكر أن ذلك شأن المتقين وواجبهم . وانهم كانوا يفعلونه ، منها هذه الآيات (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين . الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين بين الناس والله يحب المحسنين . والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين) .

وقد أثرت أحاديث عديدة عن النبي صلى الله عليه وسلم تفيد أنه كان يستغفر الله كثيراً وكان يحث المسلمين على الاستغفار لله ويعلمهم صيغاله مما هو متصل بذلك ومتسق معه . من ذلك حديث رواه مسلم وأبو داود عن الأغر المزني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة) ومن ذلك حديث رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً . ومن كل هم فرجاً . وورقه من حيث لا يحتسب) .

والمفسرون مجمعون على أن آتي سورة يونس ٩٤ و ٩٥ من قبل التثبيت وليست بسبيل واقع قد تد به . والضلال الذي ذكر في آية الضحى ليس في معنى ارتكاس النبي صلى الله عليه وسلم في عقائد قومه قبل البعثة وانما هو في مقام التنبيه على ما كان من موقفه الحائر بعد أن أف

منذ وعيه من السير على عقائد وتقاليد الجاهلية واتجه نحو ربه وحده فهداه الله الى ملة ابراهيم حنيفا وأمره بالاعلان عن ذلك في آيات سورة الانعام هذه « قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم . ديننا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين . قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ١٦١ - ١٦٣ » .

ولقد تفاضل الخوري عن ما في الآيات التي تذكر بشرية النبي وتأمره باعلان ذلك وتسجل معاتبات وتحذيرات الله تعالى على ما بدر منه من اجتهادات ومواقف خلاف الاولى في علم الله المغيب عنه من تعبير عميق عن اليقين بأنها وحي الله الذي يجب أن يثبت في القرآن ويعلمه الناس مع انها شخصية . كما تفاضل عن الشاء العظيم الذي انطوى في آية سورة القلم « وانك لعلی خلق عظیم » التي هي من أولى الآيات نزولا والتي تعبر عما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم من مواهب وأخلاق عظيمة قبل البعثة ارتقى بها الى ذروة الكمال الانساني وأهله لاصطفاء الله اياه لرسالته العظمى الخالدة والله أعلم حيث يجعل رسالته .

ولقد تفاضل الخوري الى هذا عما كان من شدة حرص النبي صلى الله عليه وسلم على هداية قومه حتى ليكاد يبخل نفسه كما جاء في هذه الآيات .
١ - لعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا .

الكهف ٦

٢ - لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين .

الشعراء ٣

٣ - فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات .

وكون ذلك هو الذي كان يجعله يجتهد بعض تلك الاجتهادات التي كان يراها الله تعالى خلاف الاولى المغيب عنه .

هذا ديدن الخوري في كل ما يسوق ويتمحل حيث يففل عن ما في القرآن من حقائق تضع الامور في نصابها الحق وحيث يصح عليه قول الله « أفرايت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله » .

مِنْ مَعَالِمِ التَّائِبِينَ

قال تعالى :

« أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ
إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ ، أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ
فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظَاهَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظَاهُونَ
الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَتَّبِعُونَ آيِدِيَهُمْ قَسْوَا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ
الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ
نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ *
كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً
فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ
بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ »

(٦٧ - ٥٧ سورة التوبة)



مع بلال بن رباح

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
[يا بلالُ حدثني بأرجى عملٍ عملته في الإسلامِ منفعةً عندك فإني
سمعتُ الليلةَ خشفَ نعليك بين يديَّ في الجنةِ . فقال : ما عملتُ في
الإسلامِ عملاً أَرَجى عندي منفعةً من أنِّي لا أَتَطَهَّرُ طهوراً تاماً في
ساعةٍ من ليلٍ أو نهارٍ إلا صَلَّيْتُ بذلك الطهورِ ما كُتِبَ لي أنْ
أُصَلِّيَ .]

أخرجه الشيخان
وروى البخاري عن جابر قال : [كان عمر رضي الله عنهما يقول :
أبو بكرٍ سيِّدنا وأعتقَ سيِّدنا ، يعني بلالاً رضي الله عنهما] .

مع ثابت بن قيس

وأخرج الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : [افتقدَ رسولُ الله
ﷺ ثابتَ بنَ قيسٍ . فقال رجلٌ : يا رسولَ الله : أنا أعلمُك علمهُ .
فأتاه فوجدَه جالساً في بيته مُنكساً رأسهُ يبكي . فقال : ما شأنُكَ ؟
قال : شرٌّ ، كان يرفعُ صوته فوق صوتِ النبيِّ ﷺ ، فقد حبطَ
عملهُ وهو من أهلِ النارِ . فأتى الرجلُ النبيَّ ﷺ فأخبرهُ ، فقال :
اذهبْ فقلْ له : إنَّكَ لستَ من أهلِ النَّارِ ولكنَّكَ من أهلِ الجنةِ] .

☆ فضل العلم والعلماء

للشيخ محمد صالح المنجد رحمه الله

الحمد لله : والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله • وعلى آله وصحبه وتابعيهم بإحسان ، وبعد فالسلام عليكم أيها الاخوان ورحمة الله وبركاته • نحتفي هنا بسيد كريم من اعلام العلماء وفاضل عظيم من أنبل النبلاء ، له في الفضل قدم راسخة ، وفي العلياء كعب عال ، وهو في النفع للخلق فياض تعليمًا وتسديدًا ، وحنانًا على الضعفاء ، وقضاء لمصالحهم بيد مبسوطة ، وكف ندية ، وعطاء في سخاء ، وتواضع شريف في حسن لقاء ، وبشاشة عذبة تمشي الى الروح فتجعلها أسيرة هذا اللطف النادر ، يمتزج بجليسه متخليًا عن الأبهة والمنصب ورفعة القدر وعن أذى يشعره أنه فوقه علما ومعرفة ، فيكون اختلاط روحاني تطيب به المجالسة وتخلو المؤانسة : ان شيخنا الجليل له في علو الشأن اطراف يأتي المتكلمون عليها في هذا الحفل • وحسبنا جماعة العلماء أن نمسك بطرف منها ، وأن نسير متحدثين عن ناحية من نواحيه ، ومن الحق أن نعترف بأنه تقدمنا فيها حتى أعجزنا سبقا :

العلم هو النور الذي اشرقت به قلوب العارفين فساروا في سلام ، وبلغوا المنزل في أمان ، ولم يرتطموا بالعقبات المعترضة والموانع النابتة ، ولم تزل بهم القدم فأفضوا الى ما يحبون موفقين مرضيين • جاء الاسلام يحترم العلم ويجل

حديثنا عن سماحة المحتفى به من حيث علمه ، وهو الخصوصية التي تقع المشاركة فيها بينه وبين العلماء • والعلم هو العلم ، ولولا العلماء ما كان هدى وما كان رشاد ، وما كانت تقوى لله قوية الاسس ، سليمة الاتجاه ، صحيحة النتائج •

(١) كلمة القاها - أجزل الله مثوبته - في الحفل الذي أقيم لتكريم فضيلة مفتي حماسة الشيخ محمد سعيد النعساني رحمه الله بمناسبة قضائه سبعين عاما ونيفا في تخريج ناشئات متلاحقة تتحلى بالاخلاق والفضيلة في مدينة حماسة .

العلماء ويطلب أن يعرف لهم فضلهم
اجلالاً وتكريماً وسمعاً وطاعة ، وهل
أدل على التكريم البالغ من قول الله
سبحانه :

(شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة
وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا
هو العزيز الحكيم) فأضاف شهادتهم
إلى شهادته وشهادة ملائكته ، وتلك
منقبة لم يسم إليها غيرهم ، وعلياً لم
يرفها سواهم • انه سبحانه عليم
يجب كل عليم وقد شاء أن لا تكون
مساواة بين عالم وجاهل وانزل في
هذا قوله الكريم :

(قل هل يستوي الذين يعلمون
والذين لا يعلمون انما يتذكر اولو
الالباب) •

ومن حبه سبحانه لمن أخلص له
في علمه ونصح للناس أن يلهم
الكائنات استغفاراً له ودعاء ، تنويهاً
بشأنه ورفعاً إلى رتب عليّة لا يبلغها
الا المؤثرون لديه بالفضل والكرامة :
فعن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه
قال : ذكر لرسول الله صلى الله
عليه وسلم رجلان احدهما عابد
والآخر عالم فقال عليه الصلاة
والسلام : (فضل العالم على العابد
كفضلي على أدناكم) ثم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : (ان الله
وملائكته وأهل السموات والارض

حتى النملة في حجرها وحتى الحوت
ليصلون على معلم الناس الخير) •
رواه الترمذي • وقال
حديث حسن صحيح : ومعاذ
الله أن يعذب الله العالم العامل وقد
أراد وجه ربه بعلمه ودأب على بثه
ونشره ناصحاً حتى مات على خير ،
الله عز اسمه أكرم من هذا وأجل ،
فقد روى الطبراني في جامع الكبير
عن أبي موسى رضي الله عنه قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(يبعث الله العباد يوم القيامة ثم يميز
العلماء فيقول : يا معشر العلماء ،
اني لم أضع علمي فيكم لأعذبكم :
اذهبوا فقد غفرت لكم) • ولا يقف
التكريم الإلهي للعالم المخلص عند
هذا دون أن يوقفه موقف الشافع
المقبول الذي يسأل فيجاب ويشفع
فيشفع بما قدم من تربية صالحة ،
وأسلف من توجيه سديد ، روى
البيهقي وغيره عن جابر بن عبد
الله رضي الله عنهما عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال : (يبعث العالم
والعابد فيقال للعابد : ادخل الجنة ،
ويقال للعالم : اثبت حتى تشفع
لناس بما أحسنت أدبهم) •
وقد بلغ الاسلام في اجلاله لحملة
العلم أن هدد على اضاعتهم بما هو

أخذ من هذا كله بحظ وافر ونصيب كبير ، العقلية العلمية هي الاصل في النضوج العلمي وهي نتيجة عاملين بل ثلاثة عوامل : اولها : التكوين الالهي • والله تعالى رفع بعض الناس فوق بعض درجات ، مالا وجمالا وقوة في الاجسام وفي العقول • ثانيا : الايغال في العلم والجد في تحصيله دأبا متواصلا ، وعملا دائما ، وسعيا حثيثا متلاحقا كي تجتمع الثروة العلمية وتكون الملكة الحقيقية التي بها يقع التمييز بين المسائل قبولاً ورداً ، ومقاربة ومباعدة وموافقة ومفارقة ، وتركيزاً للاصول ، وتمييزاً بين الفروع ، والحاقا لها باصولها التي تفرعت عنها ، ونظماً لكل في سلك أشباهه ونظائره • ليس من الفضل الكبير أن يكون المرء وعاء علم غزير المعرفة ولكنه الى جانب هذا ضيق الافق مغلق الفكر تختلط الامور في ذهنه الذي ليس له من الحصافة ما يقوى به على تنظيمها •

وثالث العوامل : تقوى الله التي تورث القلب نورا هو الفرقان الذي تحدث عنه القرآن الكريم بقول الله تبارك وتعالى : (يا أيها الذين آمنوا ان تنقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم) • ويرحم الله الامام مالك بن أنس حيث يقول :

بعيد الاثر في النفس يصل الى اغوارها فيرهبها من هذه الاضاءة المتوعد عليها بالتبرؤ من ذوبها وان تبرؤ النبي صلى الله عليه وسلم يؤذن بالنقمة المنصبة والمقت والطرد ، فعن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ليس من أمتي من لم يجعل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه) • رواه الامام احمد بسند حسن والطبراني والحاكم الا أنه رواه بلفظ (ليس منا) •

بل قد جعل الاسلام الاستخفاف بالعالم أمانة على أن في القلب نفاقا مستكنا واعوجاجا واضحا بهذا الأثر الدال عليه • روى الطبراني في جامعه الكبير عن أبي امامة رضي الله تعالى عنه عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : (ثلاثة لا يستخف بهم إلا منافق ، ذوالشبهة في الاسلام ، وذو العلم ، وامام مقسط) •

وبعد : فان استاذنا أطال الله يامه في عافية ، جدير به الاكرام ، ولما اتق به الاحترام اذ هو في علمه الجرم الغزير ليس مجرد جامع لشتات المسائل ومستقص لها ولملم بها فحسب في غير ملكة استبصارا ومثانة تحقيق وعقلية عليا لا تكون في أخص الخاصة من أهل العلم دون عامتهم ، كلا : انه

ليس العلم بكثرة المسائل ، العلم
تور يقذفه الله في قلب من يشاء من
عباده . وسماحة شيخنا المحتفى به
قد اجتمعت فيه هذه العوامل الثلاثة
فهو ذو ذكاء نادر منحدر اليه من
آبائه العلماء ذوي المحتد الكريم ،
والمعدن الطيب العليم .

وهو جاد في العلم منذ بدايته
الى نهايته وقد أخبرني وأنا في مبدأ
طلبي للعلم حاثا ومرغبا أنه شغف
في بدايته بالعلم فكان يدأب على
المطالعة ليلا فيفرط في السهر الى أن
تقوم أمه أو جدته الى المصباح
فتطفئه اشفاقا عليه لينام فينال
الراحة اجبارا . وأما تقواه لله ربه
فأمر مشهود يبرهن عليه صيامه
وقيامه وتلاوته وأذكاره وقد تلقى
الشان عن أهله وسلك طريق المجاهدة
والتصفية فهو روحاني عميق وعالم
دقيق ، ذاق لذة التحقيق ، وعرف
نشوة أهل الطريق ، وما لم يكن
العالم كذلك فهو في جفاف و صلف ،
تفوح منه ريح الكبرياء والتعظم على
الخلق ويكون النفع به جد ضئيل :
وقد جاءت الاحاديث النبوية الشريفة
تنهانا أن نكون من جبابرة العلماء .

وسماحة أستاذنا على ما فيه من
ملكة علمية ، متواضع لطيف وقد
قال لي من زمن بعيد : أنا لا أترك

مذاكرة أهل حرفتي من الفقهاء فيما
أسأل عنه تحرياً للصواب في الافتاء
وليقل الناس في ما شاؤوا ، ويعني
بالناس من لا بصر له بالمسائل الفقهية
العويصة المتشابهة والمتفارقة ، ولا سيما
فقه السادة الحنفية المستبحر ، والذي
شأن فقهاء أن يتشاوروا بينهم فيما
يعرض من واقعات ويجد من نوازل ،
ومهما كان العالم عاقلا وتقيا شاور
زملاءه العلماء ومتى استكبر وأبى ،
أبى الصواب أن يكون حليفه وارتطم
في الخطأ مرة بعد أخرى غير معذور
وغير موثوق بعلمه ولا بعقله ، وكان
جزاه الله تعالى عن الاسلام خيرا
يحرص على أن ينمي في ملكة التحقيق
ويقول لي :

لا ينال لقب المحقق والمدقق مطلق
محصل للعلم .

وكان أيضا يجب لي من عهد
بعيد أن أشاركه في البحث عن
أجوبة الاسئلة التي تتجه اليه كمفت
للديار الحموية ، وأين مقامي من
مقامه؟؟ وشتان ما بين القليل والكثير،
والصغير والكبير ، لكنه الاخلاص
وقد أملى عليه أن يمررتي على أن
أكون في العلم عمليا لانظريا فحسب :
ومن شغفه بالتحقيق أن يختار لدرسه
الخاص من الكتب ما فيه مجال
للبحث الذي تنال به العقول العلمية

نهتها وحظها ولذتها ، انه مثلاً
يدرس تفسير الامام البيضاوي الذي
لا يقوى على توضيحه بحق الا أقرباء
العلماء المشاركون في عدة فنون ،
والذين يسبرون غور العبارات العنمية
فحصا عن مخبات معانيها غير قاعين
بالسطحيات وما استتر وراء الالفاظ
استتارا قريبا ، لكنه أدام الله توفيقه
لا يعتدي في بحته الدقيق حدود الله
علما منه أن للعقل البشري مداه
المحدود ، فهو فيما يقتضي التسليم
والنفويض من النصوص الدينية
كالمتشابهات مفوض حقائق معانيها
الى الله تعالى ، منزه جناب الرب
الكريم عن أن يشبه شيئا أو يشبهه
شيء ، ويعجبه جدا ما ذهب اليه
سلف الأمة من صحابة وتابعين
وتابعيهم اذ لم يقتحموا لجج التأويل
مطلقا ، وكان يوجهني من مبدأ ملبي
للعلم الى هذا المذهب ويقول اي :
انما يسلك التأويل من يتلاعب به
الشیطان ويخاف عليه سوء العقيدة ،
وقد عرفت أن هذا الذي قاله هو
المعتبر عند العلماء أسلم وأحكم
وأعلم ، وشيخنا في هذا متأس بأمثال
الامام احمد بن حنبل رحمه الله
تعالى ورضي عنه وقد قال فيه ابن
الجوزي البغدادي الحنبلي من
أعيان المائة السادسة الهجرية :
ومذهبه أن لا يشبهه ربه

ويتبع في التسليم من قد مضى قبل
وقد أنشدنا شيخنا المحتفى به
غير مرة قول القائل ينزه الله تعالى
عن أن تدركه العقول وينعي على
الفلاسفة تعمقهم فيما اتلفوا به أنفسهم :
تاه الأنام بسكرهم
فلذاك صاح القوم عريد
تا الله لاموسى الكليم
ولا المسيح ولا محمد
كلا ولا النفس البسيطة
لا ولا العقل المجرد
علموا ولا جبريل وهو
الى مكان القدس يصعد
من كنه ذاتك غير أنك
أوحدي الذات سرمد
فليخسأ الحكماء عن
حرم له الاملاك سجد
من أنت يارسطو ومن
افلاط قبلك يا مبلد
ومن ابن سينا حين
هذب ما اثبت به وشيد
ما اتموا الا الفراش
رأى السراج وقد توقد
فدنا فأحرق نفسه
ولو اهتدى رشدا لأبعد
وبعد فان أبرز صفة في سماحة
استاذنا الجليل حبه للتعليم الذي
شغله عن التأليف وله فيه لذة خاصة
وقد أنشأ مدارس عدة قبل أن تكون
للدولة مدارسها الكثيرة انه يعنى

بالاطفال عملا كما يعنى بهم علما ،
فتجديد العقيدة وتسليمها من
الدخل ، وتحسين السلوك ، والتمرن
على العبادة ، والاهتمام بالنظافة ،
كل هذا مع العلم الصحيح موجود
في مدارسه تملأها جمعية اعمال البر
الاسلامية التي أنشأها منذ أكثر من
اربعين عاما على أساس محكم
وحساب دقيق لاتستطيع التهم أن
تنفذ سورة الاملس المتين ، يعاونه
في ذلك رجال أمناء لهم في عمل البر
رأي جميل •

ومن بُعد نظر سماحته ومعرفته
بزمانه أن سلك بها مسلك البعد عن
السياسة فسلمت رغم ما تعاقب من
دول وتوالى من حكم وما تزال حتى
الآن حية مشررة دارة بالنفع فائضة
بالخير عاملة بالبر •

ومن حبه للتعليم انه رغم تقدمه
في العمر لايفتا يجلس كل ليلة بعد
الغروب في جامع نور الدين الشهيد
رحمه الله تعالى وتبارك يعلم الناس
القرآن الكريم تجويدا وحسن أداء ،
حتى أنه في السفر الشرعي الذي تتغير به
بعض الاحكام من عزيمة الى رخصة
كقصر الصلاة الرباعية والافطار في
رمضان • إنه فيه دائب على التعليم
ما وجد اليه سيلا •

واليكم هذا المثال الطريف من
حوادثه حفظه الله : كنت في دمشق

من نحو عامين فدخلت جامع
السنجق دار للصلاة وانصرفت الى
التوضأ وانصرف ولدي محمود الى
المصلى الداخلي وكان شيخنا هناك
- فقال للطفل - ولا يعلم أنه
ولدي - هات مصحفا وقرأ علي
وأنا اسمع فجئت اليهما والمصحف
الشريف في حجر الطفل يقرأ منه
والشيخ يستمع ويصحح له قراءته،
فكان منظرا سارا بحق ، وزاد من
فرح سماحته علمه بعد أن الجالس
اليه ولدي • وفي الحديث الشريف:
(ان لله ملائكة يسوقون الاهل الى
الأهل)

واستاذنا وفي ودود ومن
وفائه انه لايزال يذكر بالخير والثناء
خدمة خدمها أبي إياه رحمه الله
تعالى في حجة حجاها منذ أكثر من
خمسین عاما •

وهو ذو تقشف في العيش وله
ولع خاص بجمع الطلبة والفقراء في
حجراته بالمسجد وتقديم الطعام لهم
من صنع يده يطبخ ويغسل الآنية
ويأكل معهم ، وأشهد أنني رأيته مرة
بعد أن صلى العشاء الآخرة وخلا
المسجد من الناس غيره وغيري فدفع
فقير صدقة مستمنح كان ثالثا في
المسجد ، ثم اضطجع الشيخ يقول
بلهجة الخاشع الباكي الى ربه
(لا إله إلا أنت سبحانك اني كنت

من الظالمين) • ويردها في نضرع
وابتهال كان هذا من نحو ثلاثين
سنة • هذا التقشف في العيش أصل
أصيل يعتمد عليه الطلبة الشرعيون في
مبادئ حياتهم العلمية كما يتمتعون
أهل السلوك في ارادتهم أوائل
سلوكهم ، وشيخنا حفظه الله تعالى
يأخذ الطالب بما يأخذ به التسيوخ
مريدتهم فيريدهم متقشفاً في عيشه وكان
يقول لنا : متى كان الطالب منصرفاً
الى الرفاه في عيشه لا يجيء منه
شيء •

ويحرص سماحته على أن يلحق
الطالب الشرعي خصوصاً بنافلة
الصالحين أهل السير الى الله تعالى
وكم مرة قال لي : لاتزول رعونات
النفس الا بالسلوك على يد مرشد
مهذب : لكنه حفظه الله تعالى وبارك
عليه من السعة بحيث يتحمل نزع
الطالب في بدايته قبل أن تأخذ الامور
مراكزها الصحيحة من ذهنه • رأي
مرة وقد اعترتني حيرة في بعض
ما يختلف فيه الناظرون الشرعيون
ولكل وجهته ومشربه ، بحسب ما يرى
رأيي أطلب الحق في غير هوى
ولا تحيز ، لكن موانع علمية قامت
تصدني عن السير مع أهل السلوك
بحسب تصوراتي الضيقة وقتئذ ،
فالتفت الاستاذ الى شيخ قديم كان

الى جانبه قائلاً له ان هذا سيصل
الى الحق ان شاء الله تعالى لانه
مخلص في تعرفه وطلبه ، فكان هذا
القول تبشيراً من سماحته وصدق
فراسته بما أوقفني الله عليه بعد من
الحقائق على يد أهل الذوق والمعرفة
بالله سبحانه فله جل وعلا شكري
بما من به ومنح ، ولاستاذي أيضاً
ثنائي الجميل بما نظر وبشر •

ومن شأن شيخنا رعاه الله أنه يريد من
طالب العلم أن يكون عليّ الهمة ،
وثاباً الى المعالي ، واحد الاتجاه ،
يريد الله بطلبه غير مائل في خبيثة
نفسه الى الدنيا وزخرفها • اذكر انه
دخل علينا حجرة الدرس بالمدرسة
الشرعية منذ ثلاث وثلاثين سنة ونحن
طلبة صغار فسأل طالباً منا عم يقصد
من العلم ؟ فقال : الوظيفة والمعيشة •
فلم يرضه هذا الجواب وفنده أتم
تفنيد ، ثم كانت منه بيانات دينية
رفيعة ترفع الهمة ، وتوحد القصد ،
وتعرف صحيح النية لئلا يكون تلفت
فيها ولا تفرق قلب ، بل امتلاء بحب
الاسلام والحرص عليه •

ومن صفاته النادرة انه عامل
للخير العام وذو أمل واسع في
تحصيله ، لا يقعه عن العمل له
قلة مادة ولا كبر سن ، وقد تحقق
على يده من هذا ما كان يظنه بعض
الناس خيالاً من الأخيلة • ما زال

يلهج بايواء العجزة في دار ينعمون
بها ويهنؤون ويخلصون من شدائد
الحياة التي تلح عليهم في بؤسهم
— أقول مازال يلهج بها ويعمل لها
حتى كانت كما نعلم كاملة مريحة
وله فيها اليد الاولى •

وما فتىء يتحدث ببناء دار للافتاء
تتفق وكرامة هذا المنصب في هذا
العصر الذي تعقل فيه المظاهر وتحترم
حتى بنيت ، وعما قريب تكمل وتتم
ان شاء الله تعالى • وقد قال لي من
قريب : انكم ستبتقون بها من بعدي :
واننا معشر الشرعيين نسأل الله طول
البقاء في عافية وخير واصلاح •
فلسماحته على كثير من طلبة العلم
يد بيضاء مشكورة ، ونحن ممتنون
من لطفه واحسانه ومعروفه الكبير
الذي لا ينكره الا المحجوبون

بالمعاصرة عن شهود مناقب معاصريهم
ونعوذ بالله سبحانه أن نكون منهم ،
وان الاعتراف بالجميل جميل ، والله
تعالى يتولى حسن جزائه عنا •

هذا ولا يفوتني قبل أن أغادر
هذا المكان أن أشكر للقائمين على
هذا الحفل احتفاءهم بسماحة استاذنا
الكبير في علمه وسنه وعمله الصالح •
والذي هو دعوة جده العلامة البر
التقي الشيخ نعيان الورددي فقد
أخبرني استاذي انه دعا له بأن يجعله
الله ممن طال عمره وحسن عمله •
أيها المحنفون بشيخنا : لقد كرمتهم
العلم بتكريمه ، ورفعتم من قدر
الاسلام المتمثل في علمائه ، ان هذا
التكريم عام في خصوصيته ، أصاب
حظا منه أصحاب العلاقة الدينية
الاسلامية وما أكثرهم في الوجود ،
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته •

هكذا يُعَلِّمُ الرَّبُّ بَنِيَّ

من مآثر عمر رضي الله عنه

كنتم أذلّ الناس

- روي أنه لما قدم عمر رضي الله عنه الشام عرضت له مخاضسة ، فنزل عن بعيره ونزع خفيه فامسكهما ، وخاض الماء ومعه بعيره ، فقال أبو عبيدة : لقد صنعت اليوم صنيعاً عظيماً عند أهل الأرض ، فصكّ في صدره وقال : أوّه لو غيرك يقول هذا يا أبا عبيدة !! إنكم كنتم أذلّ الناس فأعزكم الله برسوله ، فمهما تطلبوا العز بغيره يذلّكم الله .
- وجاء في رواية أخرى : أنه لما قدم رضي الله عنه الشام ، استقبله الناس وهو على بعيره ، فنالوا : يا أمير المؤمنين لو ركبت برذوناً فقد تلقاك عظماء الناس ووجوههم ، فقال عمر : لا أراكم ههنا ، إنما الأمسر ههنا - وأشار بيده الى السماء - خلّوا سبيل جملي .

أسعد الرعاة

- وكتب الى عامله أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما ، أما بعدد : فإن أسعد الرعاة من سعدت به رعيتته ، وإن أشقى الرعاة من شقيت به رعيتته ، وإياك أن ترتع فيرتع عمالك ، فيكون مثلك عند الله عز وجل مثل البهيمة نظرت الى خضرة من الأرض فرعت فيها تبثغي بذلك السمن ، وإنما حتفها في سمنها والسلام عليك .

مرحبة

عند المسجد الأقصى

مرحبة ذات فصل واحد

للككتور عماد الدين خليل

المنظر : مسجد الصخرة وقد سقطت بعض جوانبه .. الدخان لا يزال يتصاعد . السور الخارجي والفسحة الامامية تبدوان بوضوح في الجهة القريبة من المسرح . أما صحن المسجد : فلا يبدو منه سوى جزء صغير في الجهة البعيدة من المسرح . حارسان اسرائيليان مسلّحان يذرعان السور جيئة وذهابا .. يتحدثان وعيونهما تراقب بحذر وتوجس جوانب المكان .

الاول : يقام من جديد .. بعد انتظار الفين وخمسمائة من السنين !! أمل لم يكن أجدادنا ولا حتى آباؤنا يتوقعون أن يشهده التاريخ .. وها نحن نقف على مشارف العصر الذي انتظرناه طويلا .. البناء وهو يقام !! ان سليمان سيباركنا في السماء ..

الحارس الاول : اذا استطعنا أن نصمد لعاصفة السخط التي سيثيرها الحريق في انحاء العالم ، كما صمدنا من قبل ، فان مستقبلا عظيما ينتظرنا ..
الحارس الثاني : هيكل سليمان يعود؟! غفرانك يا يهوذا .. يارب اسرائيل .

الاول : ولكنه لن يغفر لنا الشتم
القاسية التي ألحقناها به وبآبائه
عبر العصور ، والتي تفج بها كتنا
المقدسة !!

الثاني : سوف يغفر .. سوف
يعفو . انه بمجرد أن يرى الهيكل
يقام على قواعد من الذهب الخالص ،
فسوف يسكر منتشيا ، وسينسى
كل شيء . أي نبي في الأرض يرى
هذا الذهب ثم تبقى في نفسه اثارة
من غضب ، لا شيء الا لأن سبابا
قاسيا لحقه في يوم من الايام ؟ ي
أعمر لا ينساب بريق الذهب الى
ضميره ووجدانه فيفسل ما علق
بهما من أوهام وخرافات ؟!

الاول : (مشيرا الى قبعة المسجد)
ولكن هذه .. هذه ..

الثاني : (ضاحكا) بالامس أحرشنا
جانبا كبيرا من المسجد، وأحلناه الى
ركام ودخان. وغدا .. عندما تسكن
عاصفة الغضب والاحتجاج ، سوف
نخطو الخطوة التالية ، فنهدم هذه
القبعة من الجذور .

الاول : لن أصدق هذا .. لن
جرداء .. مساحة رائعة تمتد الى
أصدق هذا ..

الثاني : بلى ، سوف تراه بأم

عينيك .. ستفتحهما يوما لترى
المسجد الاقصى وقد غدا أرضا
جهاتها الاربعة بلا عائق .. وأنذاك
ستبدأ معاول صهيون بحفر القواعد
التي سيقوم عليها الهيكل الكبير ..

الاول : يا اله اسرائيل .. ولكن
الثاني : ولكن ماذا ؟

الاول : لو يتمكن شعبنا من
التمرد ازاء العاصفة ، لو يقدر
قادتنا على تفتيت وحدة الحس
الاسلامي في غمار مأساته التي نكبته
بأعز ما يملك ، وأعادت الى وجدان
كل مسلم ما كان يشعر به يوما من
تواصل عميق مع سائر المسلمين في
شتى أقطار الأرض .

الثاني : لانتخب هذا التواصل ..
ان تجارب التاريخ المعاصر ، على
ثقلها وعنائها ، لم تستطع ان تعيده
الى ضمائر المسلمين وقلوبهم ..
فهل بإمكان حريق بسيط كهذا ان

ستشهد اسرائيل ، انتقاما لايقي

على شيء في صهيون ولا يذر .

الاول : ولكن خوفي اليوم ينبثق

من معين أكثر رعبا . . واني لالمح

بأم عيني ما سيجره علينا تدمير

المسجد الاقصى . . ان القضية

اليوم تتعلق بمصير الوجود الاسلامي

كله . . سبعمائة مليون مسلم لا يمكن

أن يقفوا ساكنين تجاه رمز وحدتهم

الاخير وهو يتداعى ، تأكله النار ،

ويتصاعد الدخان من أركانه

وبقايه . . لا يمكن لهم ان يدعوا الحزن

يتأكلهم من الداخل ، وهم يقفون

واجمين ، لا يحركون ساكننا ، ولا

يطلقون صرخة . .

الثاني : ان قادتنا أذكى من ان

يسعوا ، بارادتهم ، الى مجابهة

خطيرة كهذه . انهم - أولا -

سيدمرون على المسلمين مسجدهم

على مدى طويل . . . موجات

متعاقبة . . يباعد بينها الزمن ، ويلف

النسيان آثارها واحزانها . وهم

- ثانيا - يعلمون كيف يفتنون هذا

يعيده ؟! ان القطيعة التي تتأكل

مسلمي اليوم ، الجدران التي تعزلهم

واحدا عن الآخر ، والسدود التي

اقامها اصدقاؤنا بين حكامهم

وشعوبهم جميعا ، سوف تتيح لنا

ان نمضي الى هدفنا دونما رهبة أو

تردد أو خوف .

الاول : ولكني المح اليوم نذير

عاصفة مخيفة توحى الي ان الوحدة

القديمة بين المسلمين ، وحدة

الضمائر والقلوب . . ستعود . .

يجمعها الحزن الذي أثاره الحريق ،

ويشدها الغضب الهائل الذي أحال

كل قلب الى قطعة من جمر تقذف

نارا ، تبدو وكأنها ستستحيل يوما

الى جحيم لن تصمد اسرائيل على

الوقوف ازاءها . .

الثاني : يبدو انك متشائم أكثر

مما يجب . واني اذكر جيدا يوم

انتصرنا على العرب في حرب الايام

السته . كيف ملك الخوف عليك

اقطار نفسك ، ورحت تؤكد لي انهم

سينتقمون . . وان انتقاما مريعا

الحس الواحد، هذا الحزن المشترك وهذا الغضب المدوّي . ان قادتنا سيهيئون الارض لمولد احداث مضادة جديدة تمتص هذا الحزن وذلك الغضب وتفتته .. احداثا تبدو في ظاهرها عملا خطيرا ضد اسرائيل ، ولكنها في حقيقتها ليست سوى استراتيجية اسرائيلية صميمة .. واني لأرى بوضوح بوادر هذا الامتصاص وذلك التفتيت !!

الاول : (يركع مصليا) ياهوذا .. يا رب اسرائيل .. اعط الفرصة لشعبك المختار كي يحقق ما حلم به منذ عشرات القرون .. ان بقاء الهيكل ، وتعدد من اركانه الاربعة صلوات يهود .. تمجد الاله الذي ساق شعبه الى مصيره العظيم .. (يمرق فدائيان فينقض أحدهما على الحارس الاول ويطعنه بسكين ، بينما يقوم الفدائي الآخر بخنق الحارس الثاني بهدوء . يتدحّى الفدائيان جانبا بترقب وحذر، بينما يجتاز المكان ثلاثة فدائيين آخرين وهم يحملون مدفعا كبيرا لاطلاق الصواريخ .. يختفي الثلاثة ويبقى الفدائيان الاولان ..)

الفدائي الاول : اذا استطاعوا أن

يصلوا بالمدفع الى المكان المحدد تماما، فسوف تستيقظ اسرائيل ، بعد ساعات ، على سماء القدس وهي تمطر نارا ..

الفدائي الثاني : بشرط أن تتمكن الوحدات الخمس الاخرى من نصب مدافعها في الاماكن المرسومة ..

الاول : لن يخالجنني شك في ان الله سبحانه سيحجب عن عيون الاسرائيليين حركة اخواننا في قلب القدس .. ولن أشك في أنه - سبحانه - سيتيح لجنده عما قليل أن يصبوا حقدهم المقدس في قلب المدينة التي نفذت فيها المؤامرة الدنيئة !!

الثاني : لكم أتمنى ان أغدوقذيفة يصبها مدفع كبير على رأس من الرؤوس التي اسهمت في هذه المأساة (ينظر بأسى وغضب الى الدخان المتصاعد) .

الاول : ان الغضب يشور في اعماقي ، ولن يدعني أقر الى قرار، أو أعرف طعم النوم قبل ان ترغم حركتنا بني صهيون على الاعتقاد بأن مؤامرة كهذه ، وحدثا خطيرا كهذا ، لا يمكن ان يمرا بسلام. اننا من جهتنا نؤدي دورنا في مدى قدرتنا .. ولو

أتيح لكل مسلم أن يتحرك ليؤدي دوره في مدى قدرته .. لو أعطيت الحرية لكل شعب مسلم أن يعبر عن غضبته وحزنه بحركة ما ، بتنفيذ فكرة ، بتحويل هذا الغضب وهذا الحزن الى افعال وخطوات .. لو تم هذا وذاك .. لكان حريق المسجد الاقصى كفاء لما فجر في قلوب المسلمين من غضب ، وما احرق به أفئدتهم من سخط ورغبة عاتية في الانتقام .

الثاني : ترى هل تتحقق امنيتك هذه ، فيجد المسلمون أنفسهم وهم يتحركون بحرية تامة صوب حماية مسجدهم المقدس الذي نافح آباؤهم عنه قرونا طويلا . وهاهم اليوم يستيقظون على رؤى النار .. والدخان وهو يتصاعد من اطرافه .. وسيستيقظون غدا على أصوات المعاول والفؤوس وهي تزيح الركام لتبدا عملها في اعلاء هيكل سليمان . ما الذي أتاح للمسلمين ، في الماضي ، أن يخلصوا مسجدهم من اخطار كهذه ؟؟

الاول : ليست سوى حرية الحركة .. حرية تحويل الكلمات الى خطوات ، والافكار الى أعمال ، والمشاعر الحبيسة الى نار حقيقية تتفجر في وجوه الذين سعوا الى دمار هذا المسجد .. الحرية التي أعطت لكل مسلم ، في الماضي ، فرصته الكاملة في أن يرفع سلاحه ،

في الوقت المناسب ، وان يتقدم ، دونما عائق ، لحماية مقدساته والانضواء تحت القيادة التي يراها جديرة باداء هذا الدور الخطير ..

الثاني : اما نحن فاننا نبرىء ذمتنا أمام الله .. وملعونون هم اولئك الذين خانوا العهد وأقاموا الاسوار أمام حرية المسلمين .. ملعونون هم اولئك الذين خنقوا الصرخة في نفوسهم ، والكلمات في حناجرهم ، والمشاعر الحبيسة الى دمار يسحقهم من الداخل ، ملعونون هم اولئك الذين سدوا الطريق أمام الفكرة أن تغدو عملا ، ودمعة الاسى الحزينة أن تغدو انذارا ورعبا ينصب على رؤوس قتلة الانبياء ..

الاول : ترى ما الذي سيقوله المسلمون غدا لصالح الدين وهو يسألهم ، داعم العينين ، عن ضياع المسجد الذي قاتل دونه طوال سني مسؤوليته ؟!

الثاني : اما نحن فان لدينا ما نقوله . ولكن ماذا لو رأى النار بنفسه تتصاعد من قلب المسجد ، والدخان ينبعث من بين الركام .. ماذا لو رآها بنفسه ؟!

(يتلاشى صوته .. يتلو ذلك اختفاء الفدائيين وصوت مجموعة من الخيول قادمة من بعيد .. مقدمة المسرح خالية لحظات .. وسرعان ما يظهر (المنادي) بملابس المسلمين في عصر الحروب الصليبية .. يقف عند أسفل الجدار

الذي يتفطر به قلبه ؟

أحد أبناء صلاح الدين : (يأتي صوته من بعيد) هوّن عليك يا ابتاه .. إن ما أكلته النار .. تستطيع أنت أن تعيده كما كان .

الابن الآخر : تستطيع يا ابتاه أن تبعث رسلك إلى أقطار الأرض تستقدم البنائين ، وفي مدى أيام فحسب سيعود المسجد كما كان .. شامخا . منيعا . يتحدى الزمن .

صلاح الدين : ولكني أحس أنه ليس بإمكانني أن أستعيد البناء ، أن ثمة جدارا شاهقا يقف بيني وبين ما أريد .. لن أستطيع أن اكتب إلى البنائين في مشارق الأرض ومغاربها .. ستجد الخيول المنطلقة اليهم أقدامها تغوص في الوحل وقوائمها تلتصق بالطين .. أنني واثق من أنها ستهاوى ، بما عليها من رسل ، في أعماق الوحل والطين ..

الابن الاول : ولكن .. أتذكر يا ابتاه كيف استطعت أن تعيد تحصين المدينة بأجمعها ، وتقيم سورها المنيع في أيام معدودات ، قبل أن تدهمها جيوش الاعداء ؟

الابن الثاني : ان امراء المسلمين جميعا، جند لك، قل ما تشاء فانهم سامعون مطيعون ..

صلاح الدين : (بأسى) كان ذلك زمن ، يا ولدي ، زمن غير هذا ؟! لم يمض على ذلك أكثر من شهور يا ابتاه !!

صلاح الدين : شهور ؟ أبدا ..

ويلمح الدخان المتصاعد بأسى عميق .. ثم ما يلبث ان يشير الى الجهة التي تنبعث منها اصوات الخيول .. وينادي : (

النادي : السلطان صلاح الدين بن يوسف قادم عما قليل لاداء الصلاة .. يصحبه ابناؤه وحاشيته وقادته .. السلطان يلمح الدخان من بعيد فتغمر الدهشة والقلق ملامح وجهه .. ها هو يقترب من مصدر الدخان .. يترجل على الأرض ويتبعه ابناؤه وحاشيته وقادته .. يعاين بقايا النار التي تنخر في أسس المسجد .. السلطان ينتفضر غضبا ويصرخ .

صلاح الدين : (دون أن يرى هو او احد من اتباعه على المسرح) من الذي أشعل هذه النار ؟ أي ملعون أوقد هذا الحريق ؟ المسجد الأقصى المسجد الأقصى يحترق ؟! أين ذهبت إذن تلك الجهود المضنية التي بذلناها طوال سنين صعبة من أجل هذه البقعة المباركة .. أيمكر لانهار الدماء التي فجرها المجاهدون بقلوبهم واشلائهم ان تضيق ؟ (يرتفع صراخه) انني أسألكم من الذي أشعل هذه النار ؟؟

(أصوات استنكار ، وهمهمات تنبعث من الجموع التي تحيط به .. ومن سائر المسلمين الذين قدموا لاداء الصلاة ..)

النادي : أي غضب مريع هذا الذي يسيطر على ملامح السلطان .. هذه اللحظة ؟! أي أسى عميق هذا

أبدا .. ان الذي يفصل بيننا وبين
ذلك الزمن قرون طويلة .. طويلة ..
ملأها التاريخ أحداثا مرة كالعقم ..
وسدّ طرق المسلمين عبرها
بالشوك .. وأدمى قلوبهم بالجراح ..
شهور ؟ أبدا .. أبدا ..

الابن الاول : وهل ثمة تاريخ
أكثر مرارة وشوكا وجراحا من
تاريخك أنت يا ابتي ، وتاريخ شعبك
المسلم ؟

صلاح الدين : (يصرخ فجأة)
كلا .. لقد كنا نملك نحن من الايمان
والارادة .. ، ونستشعر من
الحرية .. ما أتاح لنا ان نستمرىء
العقم في سبيل الاهداف الحلوة ..
وندوس على الشوك صوب المستقبل
السعيد ، ونتقبل الجراح والنزيف
من أجل ان لا ترى هذه البقعة
المباركة دما .. وجراحا ..
ونزيفا .. انكم ترون الآن ..
انظروا .. ليست هذه النار التي
تلفظها جدران المسجد نزيفا يمتص
الدماء من قلبه الكبير .. أليس هذا
الدخان .. هذا السخام المتصاعد
الى السماوات .. حزنا عميقا يعبر
به المسجد الاقصى عن ألمه وجراحاته ،
ويشكو الى الله عزله .. ووحدته ..
وعذابه ؟! أي زمن هذا ؟ كلا ..
لقد كنا آنذاك نملك الايمان والارادة
والحرية ..

الابن الآخر : ارى انك تتكلم
بلهجة الماضي يا ابتاه !!

صلاح الدين : (بحزن) وهل

أنا الآن .. هذه اللحظات .. الا
ماضٍ سحيق عفى عليه الزمن ،
وغمر وجوده الحاضر ركام
الاحداث ، وذاكرات السنين ؟ انني
ماضيا ولدي .. انني ماضٍ (يتلاشى
صوته ..)

المنادي : (تخنقه العبرة)
السلطان يبكي .. عيناه تذرفان
دمعا سخيا .. دموعه تنساب على
لحيته .. ان حريق المسجد الاقصى
فتت فؤاده المرهق الحزين ..
السلطان يبكي ..

اصوات الحاشية والقادة
والمصلين : دعنا أيها السلطان نطفئ
الحريق بأيدينا وأجسادنا ..
مرنا .. نفتدي المسجد المبارك
بقلوبنا وأرواحنا .

صلاح الدين : لن تستطيعوا ..
ان زمنا طويلا يفصلكم عن القدرة
على افتداء هذا المكان .. ان ثمانية
قرون تعزلكم عن الواقع المر الذي
تتنزل فؤوسه على بنيان المسجد
فتحيله الى بقايا وانقاض .. انكم
تحبون في ماضيكم بعيدين ..
بعيدين .. عن أن تفتلدوا مسرى
نبيكم بالقلوب والارواح ..

المنادي : الابناء والقادة والرفقاء ،
يتحركون وكأنهم يستيقظون من حلم
عميق .. ان كلمات السلطان فتحت
وعيونهم على حقيقة ما هم فيه ..
ولكن انظروا : أن السلطان يعود
فيركب فرسه ، بينما تغمر الدهشة
والحيرة جميع من معه .. يلتفت

السلطان ويقول لهم :

صلاح الدين (من بعيد) انني
لست غاضبا لان المسجد الذي ضحينا
من أجله طيلة سني مسؤوليتنا ، قد
ضاع .. ولكن خجلا عاتيا يفهمني ،
يترع وجداني بالحيرة والالام . كيف
سأنقل الخبر الى رسول الله ؟!

الحاشية : (بتأثر عميق) والخطبة
يا صلاح الدين ؟

صلاح الدين : سوف لن تروني
أخطب بعد اليوم .. ان الخطب
يجب أن تستحيل عملا وانجازا ..
وكيف أخطب والدخان يتصاعد من
مسرى رسول الله ؟ كيف يتأتى
لل كلمات أن تجتاز شفتي وأنا أرى
النار والرماد تلتطخان الساحة التي
صلى فيها الرسول العظيم باخوانه
الانبياء .. ثم غادر الأرض ، في
رحلته العظيمة صوب السماوات
حيث لقي خالقه ؟! لن تروني أخطب
بعد اليوم .. فيما مضى كنت أخطب
فيكم اثر كل فتح او نصر ، وبعد
كل عمل او انجاز .. أما اليوم فلم
يُبق عصر الانهزام والسلب هذا
مجالا للكلمات .. وأحرى بالمسلمين
بعد اليوم أن لا يسألوا كلمات وخطبا ..
ولكن ان يفتحوا أسماعهم جيدا
لاصوات ...

(تسمع أصوات انفجارات
قوية متتالية تنبعث من أماكن
شتى .. يتلاشى المنادي ، تختفي

أصوات صلاح الدين وحاشيته ..
تغيير في الانارة المسرحية نرى بعدها
الفدائيين اللذين سمعنا حوارهما من
قبل) .

الفدائي الاول : (كمن يستيقظ
من حلم عميق) اسمع .. رباه ..
لقد نجحت الخطة .

الفدائي الثاني : (وكأنه يستيقظ
هو الآخر من الحلم العميق) انهم
يمطرون القدس الجديدة لأول مرة
بالصواريخ ..

الفدائي الاول : ليعلم قادة يهود ..
وشذاذ الآفاق .. ان أحفاد صلاح
الدين لن يسكرتوا ازاء تدمير قبلتهم
الاولى ومسرى نبهم العظيم (في
ذهول) وانهم يستجيبون اليه بعد
لحظات من دعوته اياهم ان يستبدلوا
الرؤى بالحركة ، والكلمات بالافعال .
وبدلا من أن يسمعوا أعداء الله
واعداء الرسول اصواتا رتيبة هادئة
عليهم منذ الآن أن يسمعوه صراخا ،
وان يمتطروهم نارا ..

الفدائي الثاني : (بدهشة وتعجب)
انت ايضا ؟!

الفدائي الاول : ماذا ؟

الفدائي الثاني : نفس النداء ،
انبعث الي من صلاح الدين ، وبعد
لحظات فحسب ، بدأت صواريخ
اخواننا تتفجر غضبا ونارا على
رؤوس الملعونين ..
(يتعانقان .. وتكون النهاية)



للاستاذ يوسف العظمى

يا قدسُ يا محرابُ يا منبرُ
يا نورُ يا إيمانُ يا غنبرُ
أقدامُ مَنْ دَاسَتْ رِحَابَ الهدى
ووجهُ مَنْ فِي سَاحِهَا أَغْبَرُ؟
وكَفُ مَنْ تَزْرَعُ أَرْضِي وَقَدْ
حَنَّا عَلَيْهَا سَاعِدِي الْأَشْمَرُ؟
مَنْ لَوَّثَ الصَّخْرَةَ تِلْكَ الَّتِي
كَانَتْ بِمِسْرَى أَحْمَدَ تَفْخُرُ؟
وَأَمْطَرَ الْقُدْسَ بِأَحْقَادِهِ
فَاحْتَرَقَ أَلْيَاسُ وَالْأَخْضَرُ؟
وَدَنَسَ الْمَهْدَ عَلَى طَهْرِهِ
إِلَّا عَدُوًّا جَا حُدَّ أَكْفَرُ!

يا سورة الأنفال مَنْ لِي بِهَا
قُدْسِيَّةٌ الْآيَاتِ تَسْتَنْفِرُ
جُنْدًا يَذُوقُ الْمَوْتَ عَذَبَ الْمُنَى
كَالصَّبْحِ عَنْ إِيْمَانِهِ يُسْفِرُ
وَمَنْ يَبِيعُ لِلَّهِ أَزْكَى دَمٍ
يَمُتُ شَهِيدَ الْحَقِّ أَوْ يُنْصَرُ
وَالْبَغْيُ مَهْمَا طَالَ عُدْوَانُهُ
فَاللَّهُ بَيْنَ عُدْوَانِهِ أَكْبَرُ

* * *

يا قُدْسُ يا مُحْرَابُ يا مَسْجِدُ
يا دَرَّةَ الْأَكْوَانِ يا فَرْقَدُ !
سَفُوحُكَ الْخَضِرُ رُبُوعُ الْمَنَى
وَتُرْبُوكَ الْيَاقُوتُ وَالْعَسَجَدُ
كَمْ رُتِّلَتْ فِي أَفْقِهَا آيَةٌ ...
وَكَمْ دَعَانَا لِلْهُدَى مُرْشِدُ !
أَقْدَامُ عَبَسَى بَارَكْتَ أَرْضَهَا
وَفِي سَمَاهَا قَدْ سَرَى أَحْمَدُ

أَبْعَدَ وَجْهِهِ مَشْرِقٍ بِالشَّقَى ...
يُطْلُ وَجْهُهُ كَالْحُ أَسْوَدُ؟
وَبَعْدَ لَيْثٍ فِي عَرِينِ الشَّرَى
يُحِلُّ كَلْبُ رَاحٍ يَسْتَأْسِدُ؟
وَبَعْدَ شَعْبٍ دِينُهُ رَحْمَةٌ
يُحِلُّ مَنْ وَجْدَانُهُ يَحْتَدُ؟
يَا أَفْرُعَ الزَيْتُونِ فِي قُدْسِنَا
كَمْ طَابَ فِي أَفْيَائِهَا الْمَوْعِدُ!
إِن مَزَّقَ الْغَاصِبُ أَرْحَامَنَا
وَقَوْمُنَا فِي الْأَرْضِ قَدْ شَرَّدُوا
فَمَا لَنَا غَيْرُ هُتَافِ الْعَلِيِّ:
إِنَّا لَغَيْرِ اللَّهِ لَا نَسْجُدُ!

* * *

الْقُدْسُ فِي أَفْقِ الْعَلَا كَوَكَبُ
تَشِعُّ بِالنُّورِ فَلَا تَعْجَبُوا
أَيُّمَهَا بِالْحَقِّ وَضَاءَةٌ
كَانَتْ بِأَطْرَافِ الْقَنَا تُكْتَبُ

إِن أَطْرَبَ الْقَيْشَارُ أَسْمَاعَنَا
فَاللَّحْنُ فِي أَفْقِ الْهَدَى أَعَذَبُ
أَوْ حَلَّتِ الْأَجَادُ سِلَعَ الْعُلَا
فَالْمَسْجِدُ الْأَقْصَى لَهَا أَرْحَبُ
وَالْمَجْدُ مَذْ أَشْرَقَ فِي قُدْسِنَا
مَا بِالْهُ فِي قُدْسِنَا يَغْرُبُ ؟
يَا رَوْضَةً كَانَتْ لَنَا مَرْتَعًا
وَكُوْثَرًا مِنْ فَيْضِهِ نَشْرَبُ
وَجَنَّةً فِيهَا رَيْعُ الْمُنَى
فِي ظِلِّهَا أَكْبَادُنَا تَلْعَبُ
مُذْ حَلَّ فِي أَفْيَائِهَا غَاصِبُ
مَا عَادَ فِيهَا بَلْبُلٌ يُطْرَبُ
مَنْ لِي بِسَيْفٍ لَا يَهَابُ الرَّدَى
فِي كَفٍّ مِنْ يَزْهُو بِهِ الْمَوَكِبُ

أَوْ رَايَةً فِي جَحْفَلٍ ظَافِرٍ
يَقُودُهُ الْفَارُوقُ أَوْ مُصْعَبُ

* * *

الوحيُ والتَنْزِيلُ والأَحْرُفُ
وَالْآيُ وَالْإِنْجِيلُ وَالْمُصْحَفُ
وَسُورَةُ الْإِسْرَاءِ مَا رُتِّلَتْ
إِلَّا وَأَسْمَاعُ الدُّنَا تُرْهَفُ
تُبَارِكُ الْقُدْسَ وَمَا حَوْلَهَا
وَصَخْرَةُ الْقُدْسِ بِنَا تَهْتَفُ
فِي كُلِّ صَدْرِ مِنْ دَمِي دَفْقَةٌ
وَكُلِّ عَيْنٍ دَمْعَةٌ تَذْرِفُ
إِنْ ضَمَّدَ الْأَسَى جِرَاحَ الْوَرَى
فَالْجُرْحُ ——— نِي رَاعِفٌ يَنْزِفُ
يَا دُرَّةً فِي جِيدِ تَارِيخِنَا
رُبَّاكَ مِنْ كُلِّ الرُّبَا أَلْطَفُ
كَمْ قَدْ مَشَتْ أَكْبَادُنَا فَوْقَهَا
مِنْ كُلِّ رَوْضٍ زَهْرَةٌ تَقْطِفُ

وَكَمْ سَقَيْنَا تَرْبَهَا أَنْفُسًا
أَصْفَى مِنْ أَيْاقُوتِ بِلْ أَشْرَفُ
يَا قَدْسُ مَهْمَا بَاعَدُوا بَيْنَنَا
فَفِي غَدٍ جَيْشُ الْهُدَى يَرْحَفُ
كِتَابُ الْإِيمَانِ قَدْ بَايَعَتْ
لَا فَاسِقُ فِيهَا وَلَا مُتَرَفُّ

✱ ✱ ✱

يَا قَدْسُ يَا أَنْشُودَةً فِي فَمِي
وَيَا مَنْاراً فِي ذُرَا الْأَنْجُمِ
فِي كُلِّ أَفْقٍ مِنْكَ تَسْبِيحَةٌ
وَكُلُّ شَبْرِ دَقْقَةٍ مِنْ دَمٍ
وَكُلُّ رَوْضٍ نَفْحَةٍ مِنْ شَذَى
وَمَاؤُكِ ارْقِرَاقُ مِنْ زَمْزَمِ
وَكُلُّ صَدْرٍ زَفْرَةٌ حَرَّةٌ
وَكُلُّ خَدَرٍ عَفَّةٌ الْمُبَسَّمِ
تَخَوُّ بِقَلْبٍ خَافِقٍ بِالْمَى
عَلَى بَرِيءٍ رَفٍّ كَالْبُرْعَمِ

قد أَغْمَضَ الْأَجْفَانِ فِي هَدَاةٍ
وَتَغَرُّهُ فِي الشَّيْءِ لَمْ يَفْطَمِ
مَنْ مَزَّقَ الْوَلَدَ بِلَا رَحْمَةٍ؟
فَمَاتَ بَيْنَ الصُّدُورِ وَالْمَعَصِمِ
شَيْئَةً عَمِيَاءُ مِنْ حَافِدٍ
وَرَمِيَتْ مِنْ سَاءِ سَاعِدٍ مُجْرِمِ
قَدْ أَطْلَقْتَ هَوْجَاءَ فِي غَفْلَةٍ
وَحُلْكَةٍ مِنْ لَيْلِنَا الْمَظْلَمِ
مَا كَانَ لِلِهَامَاتِ أَنْ تَنْحَنِي
لَوْ كَانَ فِينَا عِزَّةُ الْمُسْلِمِ

★ ★ ★

الْقَدْسُ وَاللَّطْرُونُ وَالْمُنْتَدَى
وَبَلْبُلُ فِي رَوْضِهِ غُرْدَا
وَعَابَةُ الزَيْتُونِ يَا حُسْنَهَا
تَضَوَّعَتْ زَهْرًا وَطَابَتْ نَدَى

فِي ظَلَمٍ ————— يَجْنُو عَلَى نَائِيهِ
فَتَى كَرِيمٌ أَلْكَفَ عَذْبُ الصَّدَى
مِنْ حَطَمِ النَّايِ عَلَى ثَغَرِهِ
وَشَرَّدَ السَّمَامَ وَالْمُنْشِدَا
وَالْمَسْجِدُ الْأَقْصَى وَمِحْرَابُهُ
يَجْنُو عَلَيْنَا رُكْعًا تُجَدَا
قِبَابُهُ كَانَتْ تُتَاجِي الْعُلَا
وَأَرْضُهُ كَانَتْ مَنَارَ الْهُدَى
تَحْدُثُ الْأَكْوَانُ عَنْ زَحْفِنَا
وَقَدْ بَسَطْنَا الْعَالِي يَدَا
وَهَامَةُ الْفَارُوقِ مَرْفُوعَةٌ
أَكْرَمَ بِهَا فِي قُدْسِنَا مَشْهَدَا
يُعْلِي لَوَاءَ الْعَدْلِ تَكْبِيرُهُ
وَيَصْنَعُ الْأَمْجَادَ وَالشُّؤْدَدَا
يَا قَدْسُ إِنِ طَالَتْ بِنَا فُرْقَةٌ
فَسَيَفُنَا يَا قَدْسُ لَنْ يُغْمَدَا

رَدُّودٌ..... مناقشاتٌ...

مسألة الحول في تزكية المال المستفاد

الأستاذ محمد فخر الدين القسام

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وعلى كل من عرف الحق ولزم حده .

وبعد ، فإن عرض الاحكام الشرعية مصحوبة بأدلتها ، كما حررها أئمة الاجتهاد ، رضوان الله عليهم ، يملأ قلوب المؤمنين ثقة بدينهم ، ويبرئهم بحسب الإمكان من التقليد الصرف ، وينقلهم الى ساحة الاتباع الواعي المتبصر .

ويزيد الأمر جلالة ، ويتضاعف الاهتمام ، اذا كان البحث يتناول مسألة عملية من واقع علائق الاسلام العظيم بالحياة العامة ، لأن في معالجتها برهاناً على أن شريعة الله سبحانه كافلة سعادة المؤمن في الدنيا والآخرة بما ضمنت من تأمين ضروريات الحياة وحاجياتها وكمالياتها على أكمل الوجوه .

مرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم ولا سيما في المال المستفاد . ولو صح في هذا شيء من قول النبي صلى الله عليه وسلم لكان محمولا على غير المستفاد توفيقاً بين الأدلة . ومما يد على ضعف الاحاديث المروية في الحول اختلاف الصحابة في المال المستفاد ، ولو صحت لاحتكموا إليها .

وأما في القسم الثاني ، وقد خصصه لبيان وجهة نظره واجتهاده في ترجيح تفقهه في المسألة ، فقد انتهى الى أن المال المستفاد - من غير النتاج والربح - تجب تزكيتة رأساً بدون اشتراط الحول ، وعرض عشرة أمور لتكون بمثابة أدلة لقوله

وإني لأحسب أن الأخ الاستاذ يوسف القرضاوي وفقني الله وإياه ، إنما جرى قلمه في مسألة المال المستفاد في فقه الزكاة بمداد من هذه الروح ، وسعياً الى هذه الغاية ، فأحببت أن أشارك - وقد فتح الباب - في إلقاء ما ييسره الله من أضواء على هذه المسألة الحيوية .

لقد جعل الاستاذ كلامه على أقسام :

فأما في القسم الأول ، وهو البحث في أسانيد احاديث الحول عموماً وخصوصاً ، فقد انتهى الى النتيجة التالية قائلاً :

« وبهذا البيان يتضح لنا أنه ليس في اشتراط الحول حديث ثابت

في هذا الموضوع الخطير كما سماه .
ولما كان الدين النصيحة لله وكتابه
ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ،
ناسب في إطار المحاولة والمعاونة
عرض المسألة من الجهة المقابلة جهة
الأئمة الأربعة رضوان الله عليهم تمكيناً
من الموازنة بين الأدلة وبلاغاً للنوم
عابدين .

في المسألة الأولى : الاستدلال
بالأحاديث ومؤيداتها على اشتراط
الحول : -

كانت نظرة الأستاذ القرضاوي في
الأحاديث نظرة واقفة عند الأسانيد
مباشرة عازلاً كل إسناد عن أخيه وعن
القرائن ، وليس هذا شأن العلماء
الذين نظروا في ضعفها ثم اتبعوا نظرة
التفصيل والتفكيك بنظرة جامعة
مجمعة : -

١ - فمثلاً قال صاحب سبيل
السلام ١٧١/١٧٣/٢ : أن المطلق
مقيد بحديث الحول وما
عضده من الشواهد ،
وقال عن حديث المال المستفاد : إنه
موقوف له حكم الرفع ، إذ لا مسرح
للاجتهاد فيه ، وتؤيده آثار صحيحة
عن الخلفاء الأربعة وغيرهم .

٢ - وقال الشوكاني في سيل
الآوطار ١٣٩/٤ : أن ضعف الحديث
منجبر ...

٣ - وقال الكمال بن الهمام في
فتح القدير ٤٨٢/١ في الكلام على
حديث الجول : والحادث وإن كان
مضعفاً ، لكن عاصم ثقة ، وقد روى

الثقة أنه رفعه معه فوجب قبول رفعه
ورد تصحيح وقفه ، وروى هذا
المعنى من حديث ابن عمر ومن حديث
أنس وعائشة .

٤ - وفي التعليق المجد للكنوي
١٧٠ / ... لكن الاجماع عليه
أغنى عن اسناده .

٥ - وفي تخريج أحاديث الرافعي
لابن حجر ، كما نقله للكنوي /١٧٠/
قلت : حديث علي الذي أخرجه
أبو داود وأحمد والبيهقي لا بأس
بإسناده والآثار تعضده ، فيصالح
للحجية .

٦ - وقال العراقي في المغني عن
حمل الأسفار المطبوع مع إحياء علوم
الدين للغزالي ١/٢٠٩ ... أخرجه
أبو داود من حديث علي بإسناد
جيد . وابن ماجه من حديث عائشة
بإسناد ضعيف .

٧ - وقال في تحفة الأحوذى ٢/٩
بعد استعراض أقوال الأئمة من
حديث المال المستفاد ، قلت : لاشك
في أن حديث الباب المرفوع ضعيف ،
والراجح أنه موقوف وهو في حكم
المرفوع ، قال صاحب سبل السلام
له حكم الرفع لأنه لا مسرح للاجتهاد
فيه اهـ .

٨ - وقال الزيلعي في نصب الراية
٢/٣٢٨ بعد الكلام عن رجال الحديث ،
فالحديث حسن .

٩ - قال النووي رحمه الله في
الخلاصة وهو حديث صحيح أو حسن
اهـ ذكره الزيلعي .

١٠ - هذا ولم يذكر الاستاذ القرضاوي أي دليل كاف على مسألة عدول ابن حجر بسبب علة ابن المواق عن تحسين الحديث ، ولا يعدم المرء موقفا كموقف صاحب سبيل السلام الذي ذكر الإشارة الى هذه العلة ٢/١٧١ ومع ذلك استدرك بقوله ، لكن اخرج الدارقطني الجملة الاخرى من حديث ابن عمر ... وعن عائشة ، وأشار الى طريق أخرى عنها وقال ٢/١٧٣ : وأجيب - على الاستدلال بالإطلاق في النصوص - بأنه مقيد بهذا الحديث وما عضده من الشواهد .

فأنت ترى أنه لم ينفذ يده من الحديث بمجرد هذه العلة كما فعل الاستاذ القرضاوي وشتان بين النظرتين المجزئة والمجمعة .

١١ - وعن كذب الحارث نقل صاحب « بغية الألمي في تخريج الزيلعي » عن الحافظ بن عبد البر في كتاب العلم ٢/١٥٤ : لم يبن في الحارث كذب إنما نقم عليه إفراطه في حب علي وتفضيله على غيره . ١ هـ

والاعتراض القائل : « هذا حديث رواه ابن وهب عن جرير بن حازم عن أبي إسحاق عن عاصم والحارث عن علي ، فقرن أبو إسحاق فيه بسين عاصم والحارث ، والحارث كذاب (أقول سبق الكلام عليه) وكثير من الشيوخ يجوز عليه مثل هذا ، وهو أن الحارث أسنده وعاصم لم يسنده (يعني الى النبي صلى الله عليه

وسلم) فجمعهما جرير وأدخل حديث أحدهما في الآخر وقد رواه شعبة وسفيان ومعمر عن أبي إسحاق عن عاصم عن علي موقوفاً عليه ، وكذا كل ثقة رواه ، إنما وقفه على علي فلو أن جريراً أسنده عن عاصم وبين ذلك أخذنا به » ، هذا الاعتراض الذي ذكره الاستاذ القرضاوي ١/١٥ من مجلة الحضارة قد أتبعه الزيلعي بقوله :

« وقال غيره لا يلزم هذا لأن جريراً ثقة وقد أسند عنهما » انتهى وقد سبق قول الكمال والحارث وإن كان مضعفاً لكن عاصم ثقة ، وقد روى الثقة أنه رفعه معه ، فوجب قبول رفعه ورد تصحيح وقفه . أقول فالاعتراض مع النقد لا يهبط به عن درجة الحسن .

٢ ١ - ما ذكره الاستاذ من أن عاصماً لم يسلم من جرح - وذكر اختلاف الأئمة فيه - يناسب معه الإشارة الى ما جاء في إنهاء السكن / ٢٠ / : « إذا كان الحديث مختلفاً فيه صححه أو حسنه بعضهم وضعفه آخرون فهو حسن ، وكذا إذا كان الراوي مختلفاً فيه وثقه بعضهم وضعفه بعضهم فهو حسن الحديث . » وذكر من الأمثلة والنقول عليه ما يقارب الصفحتين ، فليراجع . قال في آخرها : ولولا مخافة التطويل لأتيت لك بأزيد من ذلك بالتفصيل ، ومن طالع كتب الرجال والعلل

والتعقبات على موضوعات لا ينسك
في هذا الأصل قط .

١٣ - ينضاف الى الأحاديث من
المؤيدات المؤكدة لاشتراط الحول ،
ما جاء في بداية المجتهد ١/٢٤٦ من
قوله « لثبوت ذلك عن الخلفاء
الأربعة ولانتشاره في الصحابة رضي
الله عنهم ولانتشار العمل به
ولاعتقدهم أن مثل هذا الانتشار من
غير خلاف لا يجوز أن يكون إلا عن
توقيف ، وقد روي مرفوعاً من
حديث ابن عمر عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال لا زكاة في مال حتى
يحول عليه الحول . وهذا مجمع
عليه عند فقهاء الأمصار ، وليس فيه
في الصدر الأول خلاف إلا ما روى عن
ابن عباس ومعاوية .

١٤ - وقال الشعراني في أول الجزء
الثاني من الميزان : وأجمعوا على
أن الحول شرط في وجوب الزكاة ،
إلا ما حكى عن ابن مسعود وابن
عباس من قولهما بوجوبها من حين
الملك ، ثم إذا حال الحول وجبت ،
وكان ابن مسعود إذا أخذ عطاءه زكاه
في الحال .

١٥ - وذكر العثماني في رحمة
الأمة ١/٨٢ مثله .

١٦ - وما قدمنا من التعليق المجد
/ ١٧٠ / ولكن الإجماع عليه أغنى
عن إسناده .

١٧ - وقول أبي عبيد في كتاب
الأموال / ٤١٣ / عند تعليقه على
المنسوب الى ابن عباس رضي الله

عنهما : « وكان عندي أفقه من أن
يقول هذا لأنه قول خارج من قول
الأمة » .

١٨ - كون الزكاة عملاً يتعلق
بالحاكم جباية وصرفاً ، والمال
المستفاد من وقائع الحياة اليومية ،
وقد تعاقب على القيام بشؤونهم
الخلفاء الأربعة بعد رسول الله صلى
الله عنه زكاته عامين - وهي ثابتة
راشدين مهديين ، فما صح عنهم من
اشتراط الحول في المال المستفاد قرينة
داعمة للحديث .

١٩ - قصة تعجيل العباس رضي
الله عنه زكاته عامين - وهي ثابتة
بمجموع طرقها كما قال الحافظ في
الفتح - تدل على ارتباط الزكاة
بالحول . حتى على تأويل بعضهم
بعض الألفاظ المتعلقة بها على التأجيل .

٢٠ - آثار منقولة عن الصحابة
المنسوب إليهم فورية التزكية ،
تشتط الحول مما يزيد الميل الى
اعتقاد الوفاق وعدم الخلاف .

فأنت ترى في نهاية المطاف ، أن
الحديث منجبر ضعفه بالشواهد ،
فيرقى الى مرتبة الحسن أو الجيد
فهو حجة ، وأن حديث الحول للمال
المستفاد موقوف له حكم المرفوع لانه
لا مسرح للاجتهاد فيه ، وأن أحاديث
الحول فضلاً عن الحجية ودعمها لها
مؤيدة بانتشار فكرة الحول في
الصدر الأول بلا خلاف ، إلا ما روي
بصيغة التمرىض عن ابن مسعود
ومعاوية ، وهي مسألة سنناقشها

قريباً ، ولذلك صرح اللكنوي والشعراني والعثماني أن اشتراط الحول إجماع هذا مع القرائن الأخرى ، يفرض القول بأنه لا مندوحة للباحث من التسليم بكون الحول شرطاً في الزكاة - بما فيها المال المستفاد - إلا ما قام به دليل معتبر على استثنائه ، كما في الخارج من الأرض قال تعالى : **وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ .**

المسألة الثانية : حكم المال المستفاد

وهنا لابد من تمهيد موضح : -

أ - المال المستفاد مال حصل عليه المالك قد يسمى المال السابق عليه بالأصل .

ب - قد يكون المال المستفاد بالنسبة الى الأصل نسلًا كنتاج المواشي (١) وقد يكون ربحاً كما في أموال التجارة (٢) وقد يكون فائدة - غير نسل ولا ربح - جاءت بالإرث أو الهبة أو الوصية وما شابه (٣)

ج - وأما الأصل فقد يكون حين ورود المستفاد عليه ، نصاباً (١) وقد يكون أقل من نصاب ، ومع ذلك لا يكتمل بالمستفاد نصاباً (٢) وقد يكون أقل من نصاب ، ومع ذلك نصاباً (٣) .

وعلى كل حال فالمستفاد ما دام من أنواع أموال الزكاة ، هو وعاء للزكاة ولا نحتاج الى عناء البحث في إثبات كونه مالاً زكياً ، بل إنما يجري البحث في اشتراط الحول له أصالة

أو تبعاً كما قال الأئمة الأربعة ، أو عدم اشتراط الحول أبداً ، فيزكى فور امتلاكه واستفادته كما قال به المخالفون . والآن نتناول بالإيضاح والتعليق هذين القولين :-

القول الأول : اشتراط الحول أصالة أو تبعاً : ويمكن تلخيص مواقف الأئمة رضي الله عنهم بما يلي من النقاط :

أولاً : لا يبحث أحد في أمر الحول اذا لم يوجد النصاب ، وهو خمس من الإبل ، وثلاثون من البقر ، وأربعون من الشاة ، وعشرون مثقالاً من الذهب ، ومئتا درهم من الفضة ، ومقدار أحدهما من أموال التجارة الخ .

ثانياً : انفرد الإمام مالك رضي الله عنه فيما لو كان لدى المالك مال دون النصاب واستفاد من النسل أو ربح التجارة مالاً جديداً ، فاكتمل النصاب بالماشية السابقة ونسلها أو بمال التجارة وربحه انفرد بجعل الحول بادئاً من تاريخ الملك الأول ، مع أنه كان دون النصاب حينئذ ، فضم المالكين المستفاد وما سبقه واعتبر النصاب كأنه موجود منذ البدء ، وفيه قال ابو عبيد لم يوافق عليه أحد من الأئمة غير أصحابه ، فعلى هذا لو كان لديه ثلاثة من الإبل في شهر المحرم ثم نتجت اثنين في رجب أو لو كان لديه في المحرم من أموال التجارة ما قيمته عشرة مثاقيل من الذهب ثم ربح أثناء الحول عشرة أخرى ، زكى الماشية ونتاجها

المواشي وتركيتها بحول الاصل .
وافراد الفائدة الاخرى بحول مستقل

— فائدة التقدين —

(١٢٢) النور المبين)

(١٩٨) تهذيب الفروق)

رابعا : لم يقل أحد بضم المستفاد
غير المجانس ، بل يعتبر للمستفاد
حول مستقل . فالإبل جنس ،
والبقرة ويتناول الجواميس جنس ،
والغنم ، ويشمل الضأن والعز
جنس ، وهكذا ...

وكل هذه الاقوال تنتهي الى خط
عريض وأصل واحد هو القول
باشتراط الحول لتزكية المال المستفاد،
اما بالاصالة واما بالتبعية، ولقد كان
الاصل العام — بمقتضى ما ذكر في
المسألة الاولى — اشتراط الحول لكل
مال أصالة واستقلالاً لولا ماورد عن
عمر وعلي رضي الله عنهما من الاعتداد
بصغار الماشية ، واعتبار حول النتاج
بحول الاصل ، وهي مسألة لاخلاف
فيها ، والحول في هذه الاجماعية
مشتراط في تزكية المنسل المستفاد
ولكن تبعاً اذا حوله حول الاصل .

ففي ميدان المسألة : حديث الحول
العام في أموال الزكاة ، والخاص
بالمستفاد عموماً ، والاجماع على
اشتراط الحول بشكل عام ، والاجماع
على كون الحول في نتاج الماشية على
وصف التبعية للأصل ، والعلة التي
جزم بها المجتهد والتي اقتضت الضم

المجمعين نصاباً ومال التجارة وريجه
المجمعين نصاباً في المحرم التالي

ثالثاً : اذا وجد النصاب ثم استفاد
شيئاً من نتاج حيوان ، أو ربح تجارة ،
أو مستفاد آخر كالهبة والارث
والوصية وما شابه ، فهنا ترد المسألة
الناقشة التي كتب فيها المقال : —

١ — فمذهب الامام أبي حنيفة
رضي الله عنه ضم كل مستفاد
مجانس الى النصاب وتزكية الجميع
بحول الاصل .

(١/١٠١ الاختيار لتعليل المختار)

٢ — ومذهب الامام احمد بن حنبل
رضي الله عنه : ضم نتاج الحيوان
وربح التجارة الى النصاب وتركبتهما
مع الاصل بحوله . وأما المستفاد غير
النسل والربح ، فيفرد له حولا مستقلاً
(٢/٢٣) مطالب اولي النهي)

٣ — ومذهب الامام محمد بن
ادريس رضي الله عنه : ضم نتاج
الحيوان وربح التجارة في توحيد
الحول اذا لم تنضّ بما تقوّم به بأن
لا تنضّ أصلاً ، أو بأن تنضّ بما لم
تقوم به . واما اذا نضت من جنس
ما قومت به فله حول مستقل عن
حول الاصل ، وكذلك المستفاد غير
النسل والربح يفرد له حول مستقل

(١/٢٣٨ و ٢٢٥ شرييني)

٤ — ومذهب الامام مالك رضي الله
عنه : ضم النتاج والربح وفائدة

فائدة النقدين ، فاشتراط لها حولا مستقلا .

وسوى أبو حنيفة بين النتاج والربح والفوائد في الضم وتوحيد الحول ، لاتساعه في علة ذلك وهو مطلق المالية المتجانسة ، في حين راعى غيره التفرع عن الأصل أو ما يقارب ذلك .

وعلى كل حال فالأئمة الأربعة رضي الله عنهم مجمعون على مقتضى ما قدمنا من الأدلة في المسألة الأولى وهو اشتراط الحول أصالة أو تبعاً في المال المستفاد ، وهم لذلك يرفضون القول بتزكيته فوراً ، لأنه تقيض ما أجمعوا عليه ولأنه خلاف الأدلة الملزمة من نصوص متعاضدة في مرتبة الحجية مؤيدة بالفرائن القوية ، مدعومة بالإجماع على الحول بشكل عام وعلى الحول بشكل تبعي في مسألة نتاج الماشية من مسائل المال المستفاد . القول الثاني : إفساء الحول في المال المستفاد وتزكيته فوراً .

وهنا ننتقل الى القول الآخر الذي تبناه ورجحه الاستاذ القرضاوي مذكرين بأنه أوهنه وأدخل عليه الحرج منذ البدء عندما سلم اشتراط الحول تبعا في مسألتى النسل والربح جاء في ١/١٤ حضارة الإسلام قوله :

« فأما ما كان فيه المال المستفاد نماء مال مزكى من قبل كربح مال التجارة ونتاج الماشية السائمة ، فهذا يضم الى أصله ويعتبر حوله بحوله

وتوحيد الحول في مسألة النتاج ، وقاعدة رفع الحرج ومنه ما قد يترتب على اشتراط الحول أصالة لكل مستفاد ومبدأ التسوية بين الفوائد أو عدم التسوية في المعاملة .

فالملاءمة بين هذه الأمور ، والتقاء زوايا النظر أو تباعدها قليلا أو كثيرا شعّب مواقف الأئمة العظام رضي الله عنهم في تطبيق الأصل الواحد ، وهو اشتراط الحول ، فاجتمعوا في بعض صور التطبيق ، واختلفوا في بعض آخر ، وإن لم يخرجوا عن هذا الأصل الواحد . فالجميع يشترطون حولا مستقلا للمستفاد غير المتجانس ، والكل قائلون بضم النتاج الى الأصل والربح - إجمالا - الى الأصل التجاري ، في حولهما للاتفاق على قوة الارتباط بين المضموم والأصل - في النسل والربح - ودفعاً للحرج الناشئ عن القول بإلزام المالك ضبط مواقيت إنتاج الحيوان وربح التجارة .

وافترقوا ، فقال أحمد والشافعي باشتراط الحول أصالة للمستفاد غير النسل والربح تسوية بين الفوائد ، ولعدم قيام العلة - في نظرهما - التي اقتضت الضم وتوحيد الحول في الإجماعية - النسل - وما بني عليها - الربح - لعدم قيام العلة في غيرهما .

فالحقها بنتاج الماشية ، كما الحق الربح في توحيد الحول ، وبين وفرق مالك بين فائدة الماشية ،

وذلك لتمام الصلة بين النساء والأصل ، وعلى هذا فالذي يملك نصاباً من السائمة أو من أموال التجارة ، يزكي آخر الحول الأصل وفوائده جميعاً وهذا لا كلام لنا فيه . « فقد مشى نصف الطريق في مسألة الحول - أصالة وتبعية - إلى جهة الذين عابهم في مقالته تصريحاً أو تلميحاً ، مع أن في تضاعيف ما وافق عليه بذور فكرتهم وأصولها . أقول بعد هذه التذكرة . لنا في المنسوب إلى بعض الصحابة الكرام ، رضي الله عنهم أجمعين ، من القول بتزكية المستفاد فوراً بلا اشتراط حول أبدأ ، المواقف التالية : -

أولاً : موقف التشكيك في ثبوت ذلك عنهم للقرائن التي نذكر : -
 ١ - كونه معارضاً للنص الحجة في اشتراط الحول الوارد مرفوعاً وموقوفاً له حكم الرفع .

٢ - معارضته المعلوم من السنة إجمالاً أن لا فورية إلا في الخارج من الأرض : قاله أبو عبيد .

٢ - كونه معارضاً للإجماع على الحول في أموال الزكاة عموماً وفي مسألة نتاج الماشية خصوصاً على وجه التبعية ، مع العلم أن لا فارق في الما المستفاد يوجب إلغاء الحول بالمرّة .

٤ - وجود روايات معارضة له عنهم ، كما ذكر أبو عبيد في الأموال / ٤١٢ / عن ابن مسعود أنه قال : من استفاد مالاً فلا زكاة فيه حتى يحول عليه الحول .

ويشبهه في لفت النظر ما يتعلق بابن عباس فقد نقل الكنوي في التعليق المجد / ١٧٠ / عن العيني أن مذهب الحنفية في هذا الباب هو قول عثمان ، وابن عباس ، والحسن البصري ، والثوري ، والحسن بن صالح ، وهو قول مالك في السائمة .

أقول فأنت ترى التعارض في المنسوب إلى هذين الصحابين الكريمين ، مما يبعث على الشك .

٥ - وروده بصيغة ضعيفة - حكي - كما لاحظت في ميزان الشعراني ، ورحمة الأمة للعثماني ، وبداية المجتهد لابن رشد ، في مقابلة الإجماع المنقول .

٦ - غموض المروي عنهم ، بحيث لا يفي بدلالته على مراد المستدلين به من إلغاء الحول بالمرّة .

ثانياً : موقف التأويل على تقدير ثبوته .

والحامد لنا على التأويل ، الإبقاء - ما أمكن - على ما يليق بالصحابة الكرام من الانسجام مع الأدلة الملزمة والإجماع ، كما فعل أبو عبيد في كتاب الأموال / ٤١٣ / عند تعليقه على المنسوب إلى ابن عباس رضي الله عنهما في هذه المسألة ، قال أبو عبيد : - « فقد تأول الناس أو من تأول منهم

أن ابن عباس أراد الذهب والفضة ، ولا أحسبه أنا أراد ذلك ، وكان عندي أفضقه من أن يقول هذا ، لأنه خارج من قول الأمة » أقول : ولك أن تقف

عندهذا التعبير الجليل المشعر بمثانة
موقف اشتراط الحول أصالة أو
تبعاً ، وبالمقابل بوهن الموقف الفوري
الملفي للحول ، مما حمل أبا عبيد
على التأويل .

« ولكنني أراه أراد زكاة ما تخرج
الأرض ، فان أهل المدينة يسمون
الأرضين أموالاً ، ولا نعلم في السنة
مالاً تجب فيه الصدقة حين يملكه
ربه سوى ما تخرج الأرض » أقول :
فالقول بالتزكية فوراً نعتة أبو عبيد
هنا بنعتين : كونه خارجاً من قول
الأمة ، وكونه خارجاً على المعلوم من
السنة ، ولذلك اضطر الى التأويل ،
لأنه ليس من السهولة إبقاء مثل هذا
الخرج على أحد فضلاً عن حبر الأمة
وترجمان القرآن . ثم تابع أبو عبيد
قائلاً « فان لم يكن ابن عباس رحمه
الله أراد هذا ، فلا أدري ما وجهه
حديثه »

أقول : ولك أن تراجع في كتاب
الأموال كيف استطرد يؤول ما نقل
من أمر تزكية العطاء ، وأنا أقصد من
الاستشهاد بأبي عبيد هنا أصل فكرة
التأويل ، بغض النظر عن نوعية
التأويل .

ثالثاً : موقف المناقشة والترجيح
وهنا أقول إن خلاصة ما استعرضه
الأستاذ القرضاوي من الأدلة على
فورية التزكية في المال المستفاد - غير
النتاج والربح -

١ - الأخذ باطلاق النصوص

٢ - قياس على الخارج من الأرض

لم يذكر علقته الجامعة

٣ - استصلاح قائم على روح
الشرعية الداعية الى أسمى مكارم
الاخلاق الاجتماعية ، وفي طليعتها
التكافل الاجتماعي بين المؤمنين
الإخوة .

وإنما سوغ ذلك لديه اعتقاده عدم
ثبوت النص في مسألة الحول ،
وتصوره ان الموقف مجرد اختلاف
الصحابة يحسم بالرجوع الى القواعد
العامّة ، ولا بدّ أنه سوتى بين أقوال
المختلفين ، بل تبين أنه يرى ترجيح
المنسويين إلى التفرد عن الأمة في هذه
المسألة ، مع أن النسبة ليست من
القوة ، بحيث لا يرقى اليها الشك .

ولذلك نقول بشكل مجمل : لقد
رأيت تصريحات الأئمة بارتقاء حديث
الحول العام الى مرتبة الحجية وأن
النص الخاص بالمستفاد وإن كان
موقوفاً ، فله حكم المرفوع ، إذ
لا مسرح للاجتهاد فيه ، فلذلك
لا يسوغ الوقوف مع إطلاق النصوص
مع وجود المقيّد بالحجة بذاته كيف
وقد تأيد بمؤيدات وقرائن زادته متانة
والإلزام .

ولذلك قال الشوكاني وصاحب
سبل السلام ردّاً على التمسك
بالإطلاق انه مقيد بحديث الحول
وما عضده من الشواهد ، فاعتبار
الحول لا بد منه . ثم يأتي من بعد
ذلك الإجماع كما أشار إليه ابن رشد،
والشعراني ، واللكنوي ، والعثماني ،
فينهار مرتكز الاستدلال للمخالفين
بالإطلاق .

النصوص المطلقة .

٢ - قال الأستاذ : إن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم اختلفوا في المال المستفاد ، فمنهم من اشترط له الحول ، ومنهم من لم يشترط ، واوجب إخراج الزكاة منه حين يستفده المسلم ، وإذا اختلفوا ... الخ

ونقول : لقد رأينا أنه لا يثبت قول الفورية عن الصحابة ، وإن ثبت فإنه يؤول وعلى كل حال فليس الموقف اختلافاً بينهم يفصل فيه بالرد إلى المطلقات والقواعد العامة ، بعد أن علمنا أنه النص النبوي واجماع الأمة .

٣ - ذكر الأستاذ هنا زعم ابن حزم بأن أقوال الأئمة العظام ، وقد رأيت أدلتهم القوية الملزمة ؛ « كلها دعاو مجردة وتقاسيم فاسدة متناقضة ، ولا دليل على صحة شيء منها لا من قرآن ولا من سنة صحيحة ولا من رواية سليمة ولا من إجماع ولا من قياس ولا من رأي له وجه » ونقول في هذا الصدد: لا ينتهي العجب من استعراض قول ابن حزم النابي في الأئمة ، فالأئمة رضي الله عنهم تمسكوا بالنص والإجماع ، ولم يقولوا جزافاً كما وصف ابن حزم متجاوزاً ، وقد رأيت انتهاء أقوالهم إلى أصل واحد جامع ، هو اشتراط الحول في المستفاد أصالة أو تبعاً . ثم اننا لنسأل باستغراب : هل تتسع

وأما قياس الاستاذ القرضاوي واستصلاحه ، فأول شرط فيهما عدم وجود النص لعدم جدوى القياس إن وافق النص فينزه العاقل عن تحصيل الحاصل ولإلغاء القياس إن خالف النص وإن حديث الحول الحجة معارض لقياس يلغي الحول بالمرّة ، فيبطل القياس ، ولأن طبيعة الاستصلاح قائمة على الطلاقة والإرسال والإنفلات من نص يثبت المصلحة أو ينفيها ، وقد رأيت توفر النص المشترط للحول يتعاطف مع الإجماع .

فليس إلغاء الحول مصلحة معتبرة ، نظرا لمعارضتهما . وهكذا يبدو جلياً لكل ذي عينين متانة موقف الأئمة رضي الله عنهم حين قالوا باشتراط الحول في المال المستفاد بالأصالة أو بالتبعية ، وكيف لا يكون متيناً وقد أملاه النص النبوي وإجماع الأمة ؟

ونعود إلى المناقشة في نقاط المقال العشر تفصيلاً :

١ - قال الأستاذ : إن اشتراط الحول في كل مال حتى المستفاد منه ليس فيه نص في مرتبة الصحيح أو الحسن الذي يؤخذ منه حكم شرعي للأئمة ، وتقيد به النصوص المطلقة .

ونقول : قد تبين وجود الحديث المرتقي إلى مرتبة الحسن والجيد والصحيح كما قدمنا ، ومن ثم ثبتت له حجية التشريع ، ومنه تقييد

منها ربحاً تبعاً للأصل كما سلم ذلك الاستاذ .

هـ - تعرض الاستاذ هنا لقياس مسألة المستفاد على مسألة الخارج من الارض في قضية الفورية وأشار إلى اقترانهما في آية واحدة ، وإن كليهما من رزق الله وإنعامه ، فلا فرق وإن يكن فحسبنا من الفرق التفريق في المقادير الواجبة بين عشر ونصف عشر من طرف وربع العشر في الطرف الآخر ونقول : أولاً ولا قياس مع النص وقد اثبتناه ، ونضيف متساهلين أن الاستاذ لم يبين علة القياس الجامعة للمقتضية إلغاء الحول . ولا دلالة في اقترابهما ذكراً على تساويهما حكماً ، على أن الاستاذ يعاني من الإحساس بالفارق بين المالكين ، ونحن نزيد الفارق توضيحاً ، فنقول : يفترق المالك في النصاب وفي المقدار المفروض إخراجه زكاة ، وفي كون النقيدين مثلاً يحصلان بجهد دائم يئذله الإنسان حتى سمى كسباً ، بينما الخارج من الأرض قليل من جهد الإنسان ، وكثير من فضل الله سبحانه وتعالى هو المحصل له - أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون - ؟

وإن الخارج من الارض اختص بنص - وآتوا حقه يوم حصاده - استثناء من عموم الأدلة القاضية باشتراط الحول لعموم الأموال ، وأن الزكاة إنما تجب في العفو والزائد النامي ، فليترك للأموال إمكانية التماء وذلك باشتراط الحول ، وأما الخارج

الشريعة الجاعلة للمجتهد المصيب أجرين وللمجتهد المخطئ أجر ، هل تتسع لذم المجتهدين من أحد ؟ وهل يعدو قول ابن حزم أو القرضاوي أن سلم له وصف الاجتهاد بوجه ، هل يعدو أن يكون قولاً من الأقوال في المسألة ، ولو افترضت المسألة إجماعية في إلغاء الحول الآن - وهذا مجرد فرض - لم يخرج ذلك الأئمة القائلين باشتراط الحول ، لأن الإجماع المتأخر لا يلغي ولا يرفع الخلاف المتقدم . فكيف ولا إجماع ؟ فكيف يهاجمون الأئمة بمجرد قول لهم إن شابه أقوال الأئمة في عدم العصمة فارق أقوالهم في قوة المستند والحجة ، فلم يحوم في عليائها ولم يحلق في سمانها ، نسأل الله الحفظ والعافية

٤ - قال الأستاذ أن من لم يشترط الحول في المال المستفاد أقرب إلى عموم النصوص وإطلاقها ، ثم استدل بشمول - طبيبات ما كسبتم - للمال المستفاد وللمال التجارة .

ونقول : لا عبرة بالإطلاق وقد وجد المقيّد بالحول ، كما سبق أن قيد بقيود النصاب والسلامة من الدين والحاجات الأصلية . ولا حاجة إلى التعني بالاستشهاد بعموم طبيبات ما كسبتم ، فالمال المستفاد وعاء للزكاة بلا جدل ، مع التذكير بأن أموال التجارة المستدل بالآية عليها مشروط فيها الحول حتى المستفاد

التناقض الا التقديس لأقوال فقهية غير معصومة، انتهى إليها اجتهد علماء يؤخذ من كلامهم ويترك ، وما يدرينا أنهم لو أدركوا هذا العصر وشهدوا ما شهدنا ، لغيروا اجتهادهم في كثير من المسائل .

وأقول : إن مقارنة الأستاذ بين الخارج من الارض واجرة كرائها بمئات الدنانير على هذا النحو ، انتقال من مسألة المال المستفاد إلى مطلق النقدين واردين على سابق او غير واردين ، مع أن الكلام في الوارد ، والأستاذ لم يقيد كلامه لفظاً .

على أن المصلحة المتوهمه هنا معارضة للنص والاجماع ، فهي زائفة ، فلا تكون عدلاً وحكمة ، ثم من أين أتى التناقض وهما موضوعان ومالان مختلفان كما بينا في البند الخامس ، بل قد رأينا تفاوت المعاملة في الموضوع الواحد وهو الخارج من الأرض بين إيجاب مقدار وضعفه أي نصف العشر والعشر نصاً نبوياً ؟ أفهذا تناقض ؟ فلأن يسوق تفاوت المعاملة في موضوعين أولى ان لا يسمى تناقضاً . وهل من مانع من حزم في موضع فتوجب الشريعة الزكاة فوراً كما في الخارج ، ومن لين وتسامح في موضع ، فتؤجل الشريعة المعصومة إلى الحول كما في غيره ؟ أف يكون اشتراط الحول بالنص والاجماع في الأموال الزكوية عامة أصالة أو تبعاً ، وإلغاؤه بالنص في الخارج من الارض ، أف يكون هذا تناقضاً ؟ والله سيكتب شهادتهم

من الارض فقد نما وانتهى . أف يكون بعد تلك الفروق قياس صحيح !؟

ألا ترى كيف استشهد الأستاذ القرضاوي بورود « طبيبات ما كسبتم » في آية واحدة مع « مما أخرجنا لكم من الأرض »

على الغاء الحول في المال المستفاد المشمول بعموم طبيبات ما كسبتم تشمل أموال التجارة وهي مشروط فيها الحول على رايه .

أقول : أف يكون قول يفرض على نص شرعي معصوم من الباطل ، تناقض الدلالة في وقت واحد على اشتراط الشيء والغائه ، أبين من قول الأستاذ واستشهاده ؟

٦ - وهنا اعتبر الاستاذ اشتراط الحول في المستفاد اعفاء للمصرفين ، وارهاقاً بوضع الإصر على كاهل المعتدلين المقتصدين . واستغفر الله ثم أقول : هذا كلام على ما فيه ، قد يكون من جنس الخطايات . على أنه لا خوض في الحكم قبل ثبوت الحكم بالدليل . ولا استصلاح مع وجود الدليل المعارض ومنه النص . على أن احكام الشريعة أقيمت على أساس السلوك السوي ، وامسحاً المنحرفون فلهم العقاب .

٧ - قال الأستاذ : إن القول باشتراط الحول في المال المستفاد انتهى إلى تناقض جلي ياباه عدل الإسلام وحكمته - وهنا أجب وأعلى الرتبة - وقال وما أدى إلى هذا

ويسألون . وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى .

وبعد هذا يزعم الأستاذ أنها أقوال معصومة ، أفضى تقديسها الى هذا التناقض .

يا سبحان الله ، كأن الأستاذ ينعت الأئمة بالتناقض ، إذ ينسبه الى تقديس المقلدين للأئمة ، مع العلم أن موقف المقلدين والعوام من الأئمة - كل الأئمة - تقديساً أو عكسه ، لا ينشئ احكاماً ولا يلغيها ، فكيف يفضي التقديس الى التناقض . وأما المجتهدون فان اختلافهم عائد الى قول واحد في الشريعة هو الصواب ، بناء على الأرجح من ان المجتهد يخطئ ويصيب ، وأن ليس كل مجتهد بمصيب ، فكيف يقع التناقض ؟ ولك ان تراجع موافقات الشاطبي في هذا الصدد ٤/١١٨ .

على أنه إن كان هذا تناقضاً ، فقد دخل قول الأستاذ - إذا سويناً بين الأقوال - في حلبة التناقض ، لأنه قول في جملة الأقوال تنعت جميعاً بالتناقض ، لأنها غير معصومة . أقول هذا جدلاً فقط ، فقد عرفت أن اشتراط الحول أساسه النص والإجماع فتعالى شرع الله الموحى متلوّاً وغير متلو عن وصف التناقض الباطل الجائر وترفعت الأمة المعصومة في إجماعها عن الضلالة .

٨ - وأشار الأستاذ هنا إلى الحصيلة الضخمة وسهولة التحصيل . ونقول إنما يكون الاستصلاح والاستطراد في تلمس الحكم في غيبة النص المعارض والاجماع على أن الدليل أضيّق من الدعوى ، فهو في الموظفين والعمال فقط . ولقد قدمنا الإشارة الى تأويل أبي عبيد مسألة تركية العطاء في كتاب الأموال فلترجع .

وعند انبهار الأنفاس جنح الاستاذ إلى الاستدلال بأوسع أوامر الإنفاق ، او حتى استحسانه بدون طلب ظاهر « أنفقوا مما رزقناكم » « ومما رزقناهم ينفقون » .

وبأشمل حديث في الصدقات « على كل مسلم صدقة » الحديث . وكرر الأستاذ كثيراً تسميته اشتراط الحول إعفاءً ، هنا آخرها ذكراً .

وأقول : لاجدوى في هذا الاستدلال الأوسع الأوسع على مراد الأستاذ ، فلقد سبق أن التمسك بالعموم والإطلاق بعد وجود الأدلة المخصصة والمقيدة ، غير سائغ على أن الحديث خارج باشارة - ولیمسك عن الشر - عن موضوع الزكاة أصلاً فضلاً عن الغاء اشتراط الحول في المستفاد . ونكرر هنا - بمقابلة تكرار الأستاذ - ان اشتراط الحول نوع من الرحمة بالمكلف والتيسير عليه بجعل الزكاة مخرجة من الفضل ،

مصادقا لقوله تعالى « ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو » أي الفضل ، وذلك بفسح المجال لنمو المال وتكاثره وذلك إنما يتحقق غالباً في الحول ، أما المواشي فظاهر ، وأما أموال التجارة فلاختلاف الأسعار بمرور فصول السنة ، وفي ذلك التيسير تمكين لتعاليم الإسلام الحكيمة في حياة الناس راضية مرضية .

١٠ - واجتج الأستاذ هنا بقاعدة رفع الحرج والمشقة ، إذ على القول باشتراط الحول يجب على كل من يستفيد مالا ، قل أو كثر ، من راتب أو مكافأة أو غلة عقار له ، أو غير ذلك من ألوان الإيراد المختلفة ، أن يحدد تاريخ ورود كل مبلغ ، ومتى يتم حوله يخرج زكاته في حسبه ، ومعنى هذا أن الفرد المسلم قد تكون عنده في العام الواحد عشرات المواقيت لمقادير ما استفاده من أموال في أزمنة مختلفة ، وهذا أمر يشق ضبطه .

وأقول : هذا لا يوجب إلغاء الحول ، لأنه لا مفر منه بإلغائه ، ثم هو لا يرد على مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه القائل بضم كل مستفاد مجانس إلى نصابه ، فيتوحد حول الجميع ، على أن هذا ينقلب على

الأستاذ في التزكية الثانية فما يليها إذا بقي مع الاعوام ما تجب فيه الزكاة ، ذلك لأنه لا ثنى في الزكاة ، فيحتاج المكلف ومن يعنيه الأمر إلى ضبط المواقيت ومراعاة الحول الفاصل بين تركيتين ، منعاً وتحاشياً من ثنية الزكاة في الحول الواحد ، هذا من جهة ، وإسراعاً في تأدية الزكاة الفورية التالية من جهة أخرى ، فيقع ذوو العلاقة في الحرج المعترض به . فأي جواب للأستاذ ؟

ثم إن الأستاذ وافق على الحول تبعاً في النسل والربح ، فجوابه عنهما في وجه اعتراضه هو جواب من طرد المسألة في كل مستفاد مجانس .

وأخيراً ، هذا ما أردت عرضه على جماهير القراء ، فإن يكن كله حقاً فله الحمد والمنة ، وإن يعتوره خطأ ، فلا عجب فالنفس أمارة بالسوء ، مجبولة على الزلل ، فأستغفر الله وأتوب إليه » إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب » . « إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين .

شرف المهنة

بقلم : ابن الزمان

لسنا من الذين يعتقدون بإمكان تقسيم « الشرف » ، الى شرف مهنة ، وشرف وعد ، وشرف توقيع ، وشرف وظيفة ، وما الى ذلك من أنواع ..

فالشرف واحد لا يتجزأ • ومثل الشرف في ذلك ، مثل القيم الخلقية جميعا • إذ لا يجوز تقسيم « الأخلاق » ، الى أخلاق خاصة ، وأخلاق عامة ، وأخلاق منزلية ، وأخلاق اجتماعية • لأن هذا التقسيم ، مخالف لطبيعة الشيء المقسم •

فالذي لا شرف لديه في مهنته ، لا شرف له في وعده ، ولا شرف في توقيعه ، ولا في وظيفته ، ولا في متجره • وكذا من كان في أخلاقه الخاصة سيئا ، فهو في أخلاقه العامة أسوأ ، ومن كان في أهله ومنزله ظالما ، فهو مع الناس أظلم •

ولكن شرف المهنة الذي غنينا ، هو مجموعة الأعراف والتقاليد ، التي يتواضع عليها أصحاب مهنة ما ، ويتصرفون في نطاقها ، ويلتزمون بها ، كيما لا يضر أحد بأحد ، ولا يسيء أحد الى سمعة أحد من زملاء مهنته ، بسلوك مهني شائن ، أو بتعامل خسيس ، ينسحب أثره ، وتنجر ذبوله على الجميع ، باعتبارهم أبناء مهنة واحدة • وبذلك تبقى للمهنة مكانتها ، ويصان لها احترامها في قلوب الآخرين •

واذا كان في الماضي ، الماضي القريب أو البعيد • إذا كان شيخ المهنة هو الذي يقيم الحدود على المخالفين ، ويضمن نفاذ تلك الأعراف والتقاليد ، في سلوك التابعين له ، فلقد كان هناك : « شيخ الصاغة » و « شيخ السروجية » و « شيخ القصايين » و « شيخ الحدادين » ،

وما شئت من شيوخ .. فاننا في الحاضر نجد أن النقابة ممثلة في رئيسها ،
وأعضاء مكتبها ، قد حلت محل أولئك الشيوخ ، وتسلمت صلاحياتهم •

نخلص مما سلف ، لنجد أنفسنا مدعوين لأن نتساءل عن موطن هذا
الشرف ، شرف المهنة ، لدى كثير من أصحاب المهن في هذه الأيام ، ولا سيما
طائفة منهم ، تأتي — عادة — في التصنيف الاجتماعي ، على رأس القائمة :
علما ، وثقافة ، ومكانة ، وذوقا ، واحتراما .. تلك الطائفة ، هي
طائفة الأطباء •

وليعذرنا سلفا ، الطيوز منهم ، والشرفاء منهم ، والانسانيون منهم ..
إذ أن هذا الكلام ، سابقا ولاحقا ، لا يعنيه ولا يتناولهم أبدا ..

لنتساءل الآن إذن .. ولنتساءل صراحة ودون مداراة .. بل لنقذف
بالسؤال هكذا .. عاريا ، دون تزويق .. في الوجه مباشرة .. ولنقل :

أين (شرف المهنة) يا أطباءنا ؟ بل أين (قسم المهنة) الذي أقسمتموه ،
يا أيها (الملائكة البشر) ، من لابسى الصدارات البيض الناصعة ؟!

* — هل من شرف المهنة — مثلا — أن يتواطأ الطبيب مع صيدلي معين ،
فلا يوجه الزبائن إلا إليه ، ولا يصف إلا ما يقتنيه في صيدليته من
أدوية ، حتى ولو كانت من أردأ الانواع .. لقاء مرتب شهري ،
أو نصيب معلوم من الارباح ؟؟ •

* — هل شرف المهنة ، في أن يتآمر الطبيب مع وكالة للأدوية ، فلا يصف
إلا أدويتها — كيفما كانت تلك الأدوية ، ولجميع الأمراض على حد
سواء — أو أن يجعل من هذه الأدوية ، قاسما مشتركا بين جميع
الوصفات المكتوبة ، بسبب وبغير سبب ، ابتداء من وجع الرأس
وانتهاء بالباسور .. لقاء مرتب شهري ، أو نصيب معين من الارباح ؟؟

* — هل من شرف المهنة ، أن يعتمد الطبيب كتابة الوصفات الطويلة ، بحيث
تفوق أحجامها ، أعمدة أعمال المقالات في الجرائد ، مدرجا عليها

جميع أنواع الادوية ، لجميع أنواع الامراض المعروفة وغير المعروفة •• لا لشيء ، سوى أن يغطي بذلك على جهله بتشخيص المرض ، أو ليزيد من ربحه على نسبة المبيعات !؟؟•

* — هل من شرف المهنة ، أن يزرق الطبيب ، جميع مرضاه لدى معايتهم ، بإبر الماء — قصد الايهام — ثم يتقاضى ثمن هذه الابر ، كما يتقاضى ثمن المعالجة ؟ ! •

* — وهل من شرف المهنة ، أن يبيع الطبيب النماذج الطبية (الأشنتونات) الى مرضاه ، فيكون المريض بذلك ، قد دفع ثمن الدواء مرتين : مرة بشكل مباشر عندما اشتراه من الطبيب • ومرة بشكل غير مباشر هو وبقية المستهلكين •• اذ أن أثمان هذه النماذج الدوائية — التي توزع على الاطباء بمنتهى الكرم — مطروحة أصلا ، على الثمن الأصلي لمجموع انتاج الشركة ، من قبل أن تغادر قطعة منه عتبة المصنع !؟؟

* — ثم ما معنى أجهزة التصوير الموجودة عند معظم الاطباء ، المختص منهم بالتصوير وغير المختص ؟ الذي يعرف قراءة الصورة والذي لا يعرف ؟

أليست هي الاخرى ، احدى وسائل النصب والخداع ، والا فما معنى أن المنصدعة قدمه ، يصورون له رأسه ؟ والذي يؤلمه حنكه يصورون له بطنه ، والذي يرعف من أنفه ، يصورون له فخذه ؟ والذي به زكام يصورون له عجزه !؟؟ ثم يكون ثمن الصورة الواحدة ، من بعد ذلك ، خمس عشرة ليرة على أقل تقدير ؟! أهكذا يكون شرف المهنة !؟؟

★ ★ ★

على أن ثمة ما هو أدهى وأنكى من كل ما سبق •• هناك أشياء تتجاوز

امتصاص الدم ، وتفوق الاحتيال والنصب على المرضى ، الذين هم في غالب الاحيان ، من الفقراء المعدسين ، اذ أن الفقر — كما هو معلوم — خليل قديم ، وصديق لصيق للفقراء والمحرومين ..

نعم • ثمة ما هو أدهى وأبشع بكثير ! • ثمة الاخطاء الخطيرة الفادحة ، التي يرتكبها أطباء كبار وصغار ، بحق مرضاهم بسبب من اثنين : اما الغباء والمكابرة • واما الاستهتار واللامبالاة بأرواح الناس ! • دون أن يكون لشرف المهنة أي دور يؤديه ، اللهم الا ان يكون الخطأ الواقع ، قد أصبح من مستلزمات شرف المهنة نفسه ! •

وبرغم أن الحديث في هذا المجال يطول ، لكثرة القرائن ، وكثرة الشواهد والحوادث : اليومي منها والاسبوعي • • فانتا نجتزئ ببعض الاسئلة تثيرها :

* — ما معنى أن يتيقن طبيب ما ، من أن الحالة المرضية المعروضة عليه ، أو التي يعالجها قد خرجت عن طوقه وطاقته نهائيا ، وأن مريضه — الذي منحه ثقته الكاملة — في طريقه الى الموت ، ان لم يتدارك نفسه لدى مستشفى أو مختص • • ومع ذلك يظل يمني أهل المريض أو المريض نفسه بالشفاء العاجل ، وبالتماثل الى الصحة ، دون أن تواتيه الشجاعة أو المروءة ، لان يصارحه بواقع الامر ؟!

أليس الذي يفعل هذا ، طبيا جبانا غشاشا ، أو لصا يمتص الدم ويستنزف المال والحياة ؟ أوليس هو بالتالي مسينا الى شرف المهنة ؟؟ •

* — ما معنى أن ينسى جراح مشرطا ، في جوف مريض بعد خياطته ؟! قد يقال : انه النسيان • • وجل من لا ينسى ! • فنقول : ما رأيكم لو أن مدرسا للعربية نسي ضميرا في بطن كلمة ، من أمثال : (أنلزمكموها ؟) فلم يعربه • • ألا تقوم القيامة عليه وتقعده ؟

ما رأيكم لو أن خياطا نسي ففتح الجيب الخارجي العلوي لسترة
بذة ، على اليمين بدلا من أن يفتحه على اليسار ! • هل يشفع له
في ذلك نسيانه ؟ لا ، وألف لا • • لقد حصل هذا مرة مع خياط ،
فألزم بالبذة كاملة ، بعد أن رفض صاحبها استلامها !

هذا ما حكمت به نقابة الخياطين حفاظا منها على شرف مهنتها •
فماذا تفعل نقابة الاطباء تجاه ناسي المشرط ؟ هل تلزمه بالجنة ؟!
وماذا ينفع هذا الالتزام صاحب الجثة بعد أن غدا جثة ؟! أم أنها
تجرده من شرف (شرف المهنة) ؟؟

* — وما قولنا في طبيب ، شخص المغص الكولوني لشاب ، التهابا حادا
في الزائدة الدودية ، ثم زين له ضرورة النوم حالا في مستشفى ،
ثم فتح له بطنه ، فلم يجد لا زائدة ولا ما يحزنون ! • • فأغلق البطن ،
وأوهم المريض بأنه استأصل له الزائدة ، وتقاضى منه الاجر كاملا
بما في ذلك ثمن الطعام والشراب والنوم ؟!

لقد كاد الامر يظل سرا ، نولا ان الزائدة ، التهمت عليه فعلا ذات
يوم ، وهو في سفر ، فاستأصلها بعد معركة من الجدل الطويل العريض ،
دار بينه وبين الطبيب الجديد • • هو يقول له : انه التهاب الزائدة ،
ومريضنا يسخر منه ، ويستخف برأيه ، ويشك في فهمه ، ويقسم
له : وحق السماء والارض • • وحق الطب والبيطرة • • لقد استأصلتها
ودفعت الاجر كاملا ، منذ سنين ! •

فما رأي (شرف المهنة) ؟؟ •

★ ★ ★

ومهما يكن من أمر ، فاننا في الامثلة الماضية ، قد نجد تسمية لما مثلنا

عليه من أخطاء فاحشة ، وارتكابات مذرية •• قد نجد لها تسمية كقولنا :
انها غباء • اهمال • استهتار • جشع • لصوصية • غش • وما الى ذلك
من تسميات •

ولكن :

* — ما التسمية التي نطلقها على طبيب ، طرق عليه الباب ليلا ، رجل
ملهوف ، حافي القدمين ، يلهث من شدة الركض والتعب •• يتوسل
اليه أن يسرع معه ، لانقاذ زوجته المتعسرة بالولادة ، حيث تركها
تحشرج وتنازع ، وأطفالها من حولها سيكون •• ماذا نقول في هذا
الطبيب ، الذي رفض أن يخطو مع هذا الملهوف ، خطوة واحدة ،
الا بشرطين ، يعلم سندا أنهما في تلك اللحظة مستحيلان : مئة
وخمسون ليرة تدفع حالا ! • وسيارة تستأجر له فورا ! مع أن سيارته
جاهزة ومقعية كالكلب على الباب ، والمسافة الى قرية الرجل هي
خمسـة كيلو مترات فقط ؟! • أنقول : انه الالتزام بشرف المهنة ؟؟ •

* — وما التسمية التي نطلقها على طبيب ، يأتيه مصاب بنزف في حالة
اسعاف خطيرة ، فيوضع أمامه ، فيرفض أن يمد يده — اللقمانية —
اليه لاييقاف النزف ، قيل أن يستلف منه — عدا ونقدا — مئة ليرة ،
تدفع على الحساب ؟؟

وما حكم مثل هذا التصرف في (قاموس) شرف المهنة ؟؟
هب أنك كنت تمسك بكوب من الماء ، وجاءك انسان به غصة تكاد
تخنقه ، وأومأ اليك يريد الماء ، فأيتته عليه الا بـشمن باهظ — قد يملكه
وربما لا يملكه — •• ثم مات الرجل ، أفلا تكون أنت قاتله ؟ أفلا تكون أنت
المجرم الذي يستحق الرجم حتى الموت ؟؟ •

فليت شعري ! لماذا لا يرجم القتلة من أولي الشهادات ، أو أصحاب الاختصاصات ؟ لماذا لا يسمون بأسمائهم الحقيقية : قتلة .. سفاكين ..؟؟!

صحيح ، وألف صحيح ، ان تساهلهم مع جميع الناس ، يؤدي الى تدني دخلهم بعض الشيء ، وتنغيص راحتهم بعض الشيء .. ولكن :

— هل من الضروري أن يطير الطبيب ، من أول سنة للتخرج ، الى « بنات نعش » ؟!

— هل من الضروري أن تتحقق لكل طبيب ، آماله التقليدية الثلاثة في (القصر المنيف) و (الزوجة الكاعب) و (السيارة الميساء) .. من الشهر الاول ، أو السنة الاولى للتخرج ؟!

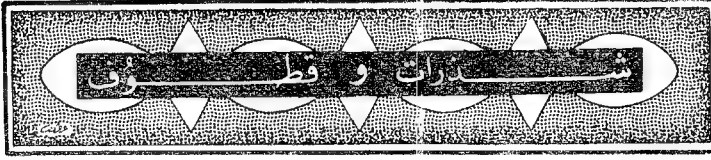
— ثم أليس في راحة الضمير — عند وجوده — ما يعوض عن تعب الجسم — عند حصوله — ؟

وقبل ذلك وبعده .. أين القسم الذي أقسمتموه ؟ أن تكونوا ملائكة رحمة .. رسل انسانية .. تمسحون بالحنان الجراح .. تخفون بالمروءات عن المصابين ، من كل جنس ، من كل دين ..؟؟

★ ★ ★

ألا رحم الله أياما ، كانت مهنة الطب فيها ، من أشرف المهن .. ورحم الله أياما ، كان لكل مهنة فيها « شيخ » يقيم الحدود ، ويأخذ على أيدي المسيئين ..

ورحم الله أياما كان فيها ، لكل مهنة « شرف » ترعاه ، وتحافظ عليه .



نذر أبي دلامة

يروى أنه لما وفد المهدي من الري الى العراق امتدحه الشعراء ، فقال أبو دلامة :

إني نذرت لئن رأيتك قادمًا أرض العراق وأنت ذو وقر
لتصلين على النبي محمد ولتملأن دراهمًا حجري
فقال المهدي : صلى الله على محمد ، فقال أبو دلامة : ما أسرعك للاولى
وأبطأك عن الثانية . فضحك وأمر ببذرة فصُبت في حجره .

أين الصواب؟؟

قال عتبة بن أبي سفيان : إذا اجتمع في قلبك أمران لا تدري أيهما أصوب ،
فانظر أيهما أقرب إلى هواك فخالفه ، فان الصواب أقرب إلى مخالفة الهوى .

... بما رضي الله به

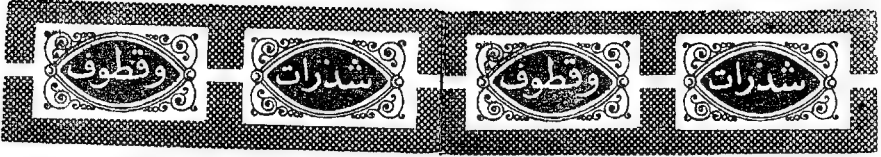
ورد في كتب الأخبار عن الأصمعي أنه قال : رأيت بدوية من أحسن الناس
وجها ولها زوج قبيح ، فقلت : يا هذه اترضين أن تكوني تحت هذا ؟ فقالت :
يا هذا لعله أحسن فيما بينه وبين ربه فجعلني ثوابه ، وأسأت فيما بيني وبين ربي
فجعله عذابي !!

حقوق المؤمن

روى الخطيب البغدادي عن أبي عبد الله بن الجلاء قوله : لا تضيعن حق
أخيك اتكالا على ما بينك وبينه من المودة والصداقة ، فان الله تعالى فرض لكل
مؤمن حقوقا لا يضيعها إلا من لم يراع حقوق الله عليه .

عبادة ثم ماذا ؟

قال عيسى بن الوزير : أنشدني أبو بكر بن مجاهد وقد جئته عائداً وأطال



عنده قوم كانوا قد حضروا للعيادة ، فقال لي : يا أبا القاسم عيادة ثم ماذا ؟ فصرف من حضر وهممت بالانصراف معهم فأمرني بالرجوع إليه ثم انشدني عن محمد بن الجهم .

لا تضجرن مريضاً جئت عأنده إن العيادة يوم إثر يومين
بل سلّه عن حاله وادعُ الإله له واقعد بقدر فواق بين حلين
من زار غيباً أخاً دامت مودته وكان ذا صلاحاً للخليلين

أدب النفس ثم أدب الدرس

وتقدم عبد الله الشيباني الى أبي بكر بن مجاهد ليقرأ عليه فتقدم اليه رجل وافر اللحية ، كبير الهامة ، فابتدأ ليقرأ فقال : ترفق يا خليلي ، سمعت محمد بن الجهم السمرى يقول سمعت الفراء يقول : أدب النفس ثم أدب الدرس .

أبور خارجة

قال معدة بن المبارك : كان عندنا رجل يكنى أبا خارجة ، فقال له بعضهم : لم يكنوك أبا خارجة ؟ قال : لأنني ولدت يوم دخل سليمان البصرة (يعني سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس) .

إلا في خمس ..

قال حاتم الأصم : كان يقال : العجلة من الشيطان إلا في خمس : إطعام الطعام إذا حضر ضيف ، وتجهيز الميت إذا مات ، وتزويج البكر إذا أدركت ، وقضاء الدين إذا وجب ، والتوبة من الذنب إذا أذنب .

ما بالهم ؟ ..

سئل عبد الله الرازي رحمه الله : ما بال الناس يعرفون عيوبهم ويعيوب ما هم فيه ، ولا ينتقلون من ذلك ؟ ولا يرجعون الى الصواب ؟ فقال : لأنهم اشتغلوا بالمباهاة بالعلم ، ولم يشتغلوا باستعماله ، واشتغلوا بأداب الظواهر وتركوا آداب البواطن ، فأعمى الله قلوبهم عن النظر الى الصواب ، وقيّد جوارحهم عن العبادات .

الحق ، الجَمال ، الحب

للاستاذ محمود القاسم

— كثيرا ما نرى شابا مسلما مؤمنا يوجه أنظار أصدقائه الى فتاة تلبس لباسا اسلاميا ساترا بقوله : « أنظروا ، أليس هذا اللباس أجمل من اللباس الفاضح؟ والله انه أجمل ... »

(أجمل) ؟!

— وهذه أم تنهى ابنها أو ابنتها عن عمل شيء ما لانه (غير جميل) وتطلب منه أو منها عمل شيء آخر لانه (أجمل) ؟!

— وهي لا تلبسه — أولا تلبسها — هذا اللباس لانه (غير جميل) أو (مثل الفلاحين) وتلبسه ذاك لانه (أجمل) ؟!

— وأب يطلب من أولاده ترك أسلوب ما في الكلام لانه (غير جميل) واتباع أسلوب (أجمل) ؟!

— ومشية فلان (جميلة) ، ولكن مشية علان (أجمل) .

— وهكذا ...

— ولو فتشنا عن الاساس الذي نبني عليه سلوكنا الفردي في كل المجالات لرأيناه (الجمال) ؟! .

أما في العلاقات بين الافراد ، فنسمع الى جانب (غير الجميل : الجميل والاجمل) نفمة أخرى (جميلة) .

فهذا انسان يعلق على حادثة سمعها بقوله : « نحن لانحب بعضنا ... » . وآخر يدعو بقوله : « الله يحبنا ببعضنا » .

وكثير هم أولئك الذين يعزّون مشكلاتنا في هذا العصر الى أننا (لانحب بعضنا) و (لو أحببنا بعضنا لتسير الامر) و ... و ...

أي ان الحب هو الاساس الذي يحاولون بناء العلاقات الاجتماعية عليه .

هل للجمال والحب أصل في الاسلام ؟

نفتش في مصادر الاسلام ف لانرى أي أثر يجعلهما أسسا في الحياة .
ولكننا نقرأ قوله تعالى :

« ... ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق ... »
(التوبة (٣٠)

« هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ... »
(التوبة (٣٤)

« هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ... »
(الفتح (٢٨)

« هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ... »
(الصف (٩)

« يومئذ يوفيههم الله دينهم الحق ... »
(النور (٢٥)

« له دعوة الحق والذين يدعون من دونه ... »
(الرعد (١٥)

وعشرات من الآيات تصف الاسلام بالحق .

إذن ، فالاسلام هو دين الحق .

وهو يبني أحكامه على الحق فقط ويطلب من المسلم أن يكون كل سلوكه مبنيا عليه .

ولا يستطيع إلا مراوغ أن يدعي أن في الاسلام حكما بني على أساس الجمال أو الحب .

ولا يستطيع الا مراوغ أن يدعي أن الاسلام حرم محرما لانه غير جميل أو غير محبوب .

من أين تسربا الى مجتمعنا ؟

لقد تسربا الى مجتمعنا من الغرب .

فالحياة الاجتماعية في الغرب مبنية على هذين الاساسين (الجمال والحب) .

وقد انحدرت اليها فكرة الجمال من المدنية اليونانية الرومانية ، وتشربت

بفكرة الحب من النصرانية التي هي (دين المحبة) بعد أن مسخت هذه المحبة وحولتها الى حب جنسي . وأصبحوا هناك لا يعملون الشيء الا لجمال أو لجنه .

وقاد مبدأ الجمال والحب الى ظهور مبدأ ثالث هو (اللذة) ، وقام بالدعاية الواسعة لهذا المبدأ كتاب مريبون ، لهم غايات سياسية مريبة ، تهدف الى تجميع المجتمعات الانسانية حتى يستطيع اليهودية تحقيق حلمها بحكم العالم ، وأكثر هؤلاء الكتاب يهود ، وباقيهم مهودو الفكر والاخلاق .

ويتسرب هذا المبدأ الى مجتمعاتنا تدعمه آياد خفية ، وهو وان لم يفتك بنا بعد ، لكنه يتهاى للانقراض في بحثه عن مراهقين يلتزمون به بتوجيه من أناس خسروا أنفسهم ولا ينتظرون الا أن تخسر الامة وجودها .

ولقد تسربا الينا بطريقتين :

الطريق الاول - طريق الكتاب ، ولا أدري ان كان هناك من سبق محمد عبده في عصرنا الحديث الى هذا الطريق .

فهو يعقد فصلا في كتابه (رسالة التوحيد) تحت عنوان (حسن الافعال وقبحها) يدرس به الجمال في الاحياء والاشياء ثم في الافعال والاحساسات ، الى أن يقول :

كل هذا عرفه العقل البشري و فرق فيه بين الضار والنافع ، وسمى الاول فعل الشر والثاني عمل الخير ، وهذا التفريق هو منبت التمييز بين الفضيلة والرذيلة ... » وملخص قوله هو ان الجمال والقبح هما أساس مفهومي الخير والشر والفضيلة والرذيلة . وهذا يعني بالبديهية أنهما يجب أن يكونا أساسا في التشريع (سواء فهم ذلك محمد عبده ام لم يفهمه) .

وفي فصل آخر من نفس الكتاب تحت عنوان (المسلك الثاني في بيان الحاجة الى الرسالة) يقول :

« ... والمحبة عماد السلم ورسول السكينة الى القلوب ، هي الدافع لكل من المتحابين على العمل لمصلحة الآخر ، الناهض بكل منهما للمدافعة عنه في حالة الخطر ، فكان من شأن المحبة أن تكون حفاظا لنظام الامم وروحا لبقائها ، وكان من حالها أن تكون ملازمة للحاجة على مقتضى سنة الكون

وتتابع الكتاب بعده يتبارون في المضمار ، وكتبوا ... وكتبوا ... حتى قرأنا لبعضهم قوله : « الجمال قمة الحق » .

الطريق الثاني - المعاشة والاحتكاك في عهود الانتداب ، حيث يقلد

الضعيف القوي تقليدا أعمى وهو يحاول أن يفلسف تقليده هذا للآخرين ، وكذلك معاشة الطلاب الذين يدرسون في الغرب واحتكاكهم المباشر بالغربيين ونقلهم عاداتهم ومفاهيمهم الى عائلاتهم وأصدقائهم بعد العودة ..

ولا ندري ان كانت هناك أيساد خفية تعمل لبث هذه الافكار حتى توجد فئة من الناس ينظرون الى الحياة من زاوية غير الزاوية التي ينظر منها الآخرون ، فيكون الشقاق والصراع وبالتالي الضعف والانهيال .

النتيجة :

عندما نقبل الجمال أساسا للحياة ، أو قمة للحق ، فمن البدهي جدا أن نكيف سلوكنا حسب الاسس الجمالية ، ومن الطبيعي جدا أن نبني احكامنا على الاسس الجمالية ، كما أنه من المنطقي جدا أن نضع تشريعنا مستخلصا من الاسس الجمالية .

فكل جميل جائز ، أو واجب ، وكل ما هو أجمل منه فهو أكثر جوازا أو أكثر وجوبا !؟ وسنفتش دائما عن الاجمل .

— والنتيجة ماذا ؟

— الجمال هو المطلوب ، ولتكن النتيجة ما تكون !

وصدقني أيها الاخ أن (الموني جوب) الفاضح أجمل من اللباس الساتر ، وصدقني ايها الأخ ان الشاب المتهتك الذي يلبس الشارلستون ويراقص فتاته الخليفة في الحلبة أجمل من الجندي في لباس الميدان يدافع عن عقيدته وأمته ، أو من الطالب الذي يقبع في زاوية يلتهم صفحات كتابه .

وصدقني ... وصدقني ..

ثم صدقني أن الذي يتكلم عن الجمال كأساس للحياة ، ويطلب الشيء لجماله ، أو يجعل الحق جمالا أو الجمال حقا أو قمة للحق ، صدقني ان هذا الانسان اما ان يكون مخطئا متسرعا ، او ساذجا مخدوعا ، او خبيثا ماكرا ، كائنا من كان ، وكائنا لقبه ما كان .

أما الحب ، فإنه يقود الى سلب حق من لا أحب لأعطيه من أحب .
ومن المستحيل ان يحب الانسان كل الناس ، ومن المستحيل الا يحب أحدا
أكثر من آخر ، هذه هي طبيعة الانسان ، فهو دائما يفضل بعض الناس على
بعض ، ويحب شخصا أكثر من آخر .

ومن البدهي أن الشكل الجميل يلعب دورا رئيسيا في الحب .
فاللباس الجميل ، والكلام الجميل ، والمشية الجميلة ، كلها محبوبة
وصاحبها محبوب ، مخلص ، فذ ، محترم
والممثلون هم أقدر الناس على كسب الحب ، ويستطيعون ، بالنتيجة ،
التلاعب بالعواطف وجر أصحابها الى المتهاتات التي يريدون . (اذا كنا نتخذ
الحب مبدأ) .
والممثلون كثر ، وليسوا هم فقط أولئك الذين يسلون الناس على خشبات
المسارح .

أما الاسلام :

الاسلام دين الحق .
وللحق في الاسلام حدود لبس للأهواء عليها من سبيل .
ولا يقود الحق الا الى الحق ، سواء اكان هناك حب أم بغض ، أو كان
هناك جمال أو غير جمال .

وهذا لايعني مطلقا أن الاسلام يتنكر للجمال والحب ويحاربهما ،
لا ، فللجمال والحب ميول فطرية في الانسان ، ولكنه لايني ابدأ أحكامه
على أساسهما .

فالاسلام يوازن بين جميع المبول والغرائز، ولا يضخم أيا منها على حساب
البقية ، ولا ينحرف بها عن الفطرة التي فطرت عليها . وهذا هو الحق .

الاسلام يبني أحكامه على الحق فقط .

هذا حق فيجب ان يعمل وينفذ فهو فرض أو واجب أو حلال .
وهذا باطل ، فيجب ان يتراءى ، فهو حرام أو مكروه .

جاء قاتل زيد بن الخطاب (اخي عمر) الى عمر ، فقال له عمر :

— « أما تعلم أنني لا احب ان اراك .

فقال له : وهل يمنعني هذا من حقّي ؟

فقال له عمر : لا

فقال : أحبب أولا تحبب فانما يأسى على الحب النساء .

واخذ حقه . وعمر يومئذ خليفة !

هذا هو الاسلام ، دين الحق .

فيجب ان نزرع الحق في نفوسنا .

يجب ان نبني كل أحكامنا على أساس الحق .

واهم شيء على الإطلاق ان نلغي من التربية البيتية والمدرسية ، كلمة (جميل ، وغير جميل) و (محبوب وغير محبوب) ونستبدلها بكلمتي (حق ، وباطل) و بالتعبير الآخر الذي يدل عليهما ويفهمه الصغير والكبير ، والعالم والجاهل ، وهو كلمتا (حلال وحرام) .

يجب أن ينشأ الاطفال منذ صغرهم على أن هذا حلال أو فرض او سنة فلينفذ . وهذا حرام او مكروه فليجتنب .

وان طفلا يربى على مفهوم الحلال والحرام لن يكون في مستقبله - اذا شاء الله طبعاً - الا انساناً مؤمناً قويم السلوك والاخلاق والفكر .

وان طفلاً يربى على مفهوم (الجمال والحب) ، لن يكون في مستقبله الا انساناً خيالياً تابعاً لأهوائه - والجمال والحب أهواء - يبني سلوكه وأحكامه على أساسهما ، ويرى ان ذلك هو الواقع ، ثم لن يرى في الاسلام الا مناقضاً لذلك الواقع ، ولن يستطيع ان يدرك من مفاهيم الحق مدركا .

الخلاصة :

لنلغ من البيت ومن المدرسة مفهوم السلوك واللباس والقول والعمل والمرافقة على أساس الجمال أو الحب .

ولنحرص دائماً على بذر مفهوم الحق والباطل والحلال والحرام في نفوسنا عامة ، وفي نفوس الاطفال خاصة لينشؤوا عليها .

اذا حقق الجميع ذلك ، فستكون الاجيال الآتية ، ان شاء الله ، سالحة اكثر منا ، لحمل رسالة الاسلام ، ورفع هذه الامة الى مصافها الطبيعي ، ودحر الباطل الذي يحاول بدجله ومسر حياته تحقيق حلم خادع .

لنعمل هذا ولننبه اليه الآخرين .

الجزء الثاني: النكراء

بقلم انس عبد الرحمن عثمان

لكن الحال	(١)
لم تتغير	احترق الأقصى
من قبل استلبوا	أصوات ضجت
مأوانا	منكرة
فصرخنا رفعنا	لا تحصى
شكوانا	وأحتج العالم
ويحقق في الطاب	واستنكر
وينظر	كلمات خاوية
وتظل المأساة	لا أكثر
هي المأساة	أحترق الأقصى
ظلم في وجه العالم	وأحتج العالم
يشهر	واستقصى

(٢)

أُحترق الأقصى

وأحترقت معه

أفئدة

وأحترقت أكباد

وأمتد ظلام المأساة

إلى كل الأبعاد

وترامت أصداء

وترامت أصداء

باكية

تشق الآماد

وضمير العالم قد

أغفى

أو كاد

والحالة لم تتغير

والمأساة هي المأساة

ظلم في وجه العالم

يشهر

★ ★ ★

(٣)

وتداعت أمم الأرض

إلينا

واللوم علينا

ترمقنا شزرا

وأقننا من دنيانا

حجراً

علّقنا فيه

عقائدنا

ونصبنا فيه

مكائدنا

ومضينا

مضينا

يستعذب صوت

تتعثر

الأشبان

نستنجد والعالم

وتظل المأساة

أفق موبوء

هي المأساة

يضيع الحق

ظلم في وجه العالم

إلا حق القوة

يشهد

والمثل العليا

ونسير إلى مأساة

أوهام مدرجة

أكبر

دفنت في هوة

تنحدر مكانتنا

وأدوها وبكوها

وتزيد مهانتنا

بدموع كاذبة

ما لم نتبين واقعنا

وتظل الأحران

ونحدد فيه مواقعنا

ويظل الأفق

ونقوم ثم دوافعنا

الموبوء

ما لم أنفسنا

يستمرىء في كل ضعينة

تتغير

(٤)

أحترق الأقصى

خطب

لكن أن نرضى

خطب أكبر

ماذا لله

ماذا للدين

وماذا للشرف

الغالي أن يهدر

ما بال المسلم

ما بال العربي

ما بال الأمة

كالصخرة لا تتأثر

ما بالي

يشتد ويمتد العدوان

وأنا أرتد

كما يرتد جبان

قد أَلَفَ الازدعان

قد فقد الإحساس

فلم يتأثر

ما بالي

وعدوي بإزائي

والبغي أُمامي

وورائي

والشر خيالي

لا أملك دفعاً

للبغي ولا الشر

ما بالي

والنار بقدسي

مسعرة

تلتهم البنيان

وكأنني له أدر

بما كان

ما بال الخطوة

مني تتأخر

والحالة بعد لم تتغير

والمأساة

هي المأساة

ظلم في وجه العالم

يشهر

★ ★ ★

(٥)

نحتاج لدفع من

إيمان

تهتز له الدنيا

تهتز الأركان

نحتاج إلى العزيمة

في عنف البركان

نحتاج لبذل وعطاء

وكفاح وفداء

نحتاج لاختلاص

بناء وتفان

نحتاج لأن نصدق

أنفسنا

ونحوها طاقات

أرواحاً ودماء

تتفجر

أو تبقى الحالة

لا تتغير

وتظل المأساة

هي المأساة

ظلم في وجه العالم

يشهر

هاشم الرفاعي

حَيَاتُهُ وَشَعْرُهُ

للاستاذ محمد حسن برغيش

٥

أ - شعر الطبيعة :

كثيراً ما كانت الطبيعة مجالا كبيرا لإلهام الشعراء، ومبعثاً حياً لتصوراتهم وخيالاتهم الجميلة، لما فيها من التنوع والجمال الفتان، هذا التنوع الذي يبعث الحيوية في النفس ويحرك مشاعر الفنان فتتملىء نفسه بشتى الصور : فهنا يجد الطير المفرد يتنقل من غصن الى غصن فيعيش معه لحظات حاملة، وقد يدخل عالمه ويستغرق في نشوة روحية ساحرة، يرى فيه معاني الحب أو قد يرى فيه صدى الشكوى والحنين، يهمس إليه بما في نفسه من الضجر، أو يسمع منه أصفى أغنيات الحياة، وهناك يرى الجدول السارب عبر الحقول، تتدحرج أمواهه ضاحكة مستغرقة في حلمها الأبدى، وكأن الحياة سرور وسعادة وبهجة، وقد يراه رائئفاً متموجاً تتمايل أمواجه سكرى بدفقات الحياة المتتابعة الرغيدة، وقد يراه صاخبا ضجرا مدمرا، يرتطم بالصخور فيزهزها وقد يفتتها، ويقتلع في طريقه الأشجار ويهدم البيوت، ثم يراه مرة ثالثة قوة هائلة لا يعرف مداها، يقف أمامها ذاهلاً معتبراً، ويعود الى قرارة نفسه ليجد فيها أعماقا كأعماق البحر. وفي مكان رابع ينظر الى الورود بألوانها الزاهية وبمنماتها الهامسة بعبيرها الذي يحكي صفاء الحب، وجمال الاخاء. والشمس والفجر المتدفق الزاخر بالحيوية والنشاط والأمل، والاصيل الحاني المكتحل بلوثة الذبول الناظر بتضرع وخوف ووجل.

والليل بكل ما فيه من هول ورهبة وسكون، لا يحده الأفق، ولا يقف دون امتداده حاجز أو حائل، يلف الكون بهذا الثوب الداكن، يضم بين جانبيه عالماً، من الاسرار، والحركة، من الاحزان، والمسرات من الطيش والفجور..

عالم يمتد من اليمين الى الشمال ، من الحق للباطل ، من هذه المعاني الضخمة التي تصنع الحياة الى أفه الأشياء الصغيرة ويضم كل ذلك في قلبه الكبير . والانسان في هذه الطبيعة ... أيضا - هذا المخلوق المكرّم يدخل العالم هذا بثوب آخر وسمات أخرى .

الانسان في الطبيعة يتعرى من لثة المادة ، تنفتح نفسه على فطرتها ، يبذر ذاته أمام الكون ليظهر دون تزييف : الفلاح ، والراعي مع قيثارته ، الملاح في زورقه الحالم ، ثم الجماع في القطاف ، والاطفال على الشاطئ ، كل ذلك يوحى للشاعر بألف معنى ، وصوره ، يوحى له بالخيالات والرؤى المبدعة التي يقصّر عنها الانسان العادي ولا يصل اليها الا الفنان .

حتى الحيوان - هنا - يلبس ثوبا آخر ، نراه مع الطير والحشائش والازهار والنهر والماء - نرى كل ذلك وقد تخلى عن طبيعته المادية الحيوانية الجامدة الراكدة ، بل نراه يحس ويشعر . في عالم ودع مستسلم راض ، لا كد في حياته ولا شؤم ولا خصام . نتعاطف معه ونحنو عليه وتصنعه خيالنا الشعاعية مخلوقا جميلا محببا ، لانفسو عليه ولا نجد فيه مطية ممتهنة .

هذه الطبيعة بكل ما فيها من العوالم والظلال والالوان توحى للشاعر برؤى عجيبة . والشاعر إزاءها لوحة حساسة ، يشعر ويتخيل ويحلق ويبعد . وبقدر ما في احساسه من العمق والشمول والدقة بقدر ما يعطينا من صور خالدة حية وجميلة .

والقرآن الكريم - الكتاب الخالد احتفل بالطبيعة وأعطانا أدق الصور لها ولفت نظر الانسان الى ما فيها من جمال وروعة وتناسق ، لكي يستخدمها أحسن استخدام كمخلوق مكرم ، وكخليفة الله في الارض ، خاصة وأن « جمال الطبيعة من أروع ألوان الجمال التي تهش لها النفس وتستجيب لها في فرحة وانطلاق . ولكن الإلف والعادة بفسدان التطلع الى ذلك الجمال الفد ، فتتبدل الحواس لما ترى ولما تسمع وتمر بكل شيء كأنما لا وجود له ، وتنسى بحكم التعود أنه رائع وأنه جميل ، وعندئذ لا بد من ايقاظ النفس من سباتها لتتفتح و « تستنشق » الحياة ، وتلك مهمة الفنون .

ولكن القرآن - وهو منهج حياة وهو كتاب تربية وكتاب دين - يهمله كذلك ان يوقظ النفس من تبلدها لتتمتع وتستنشق الحياة ... لان النفس المتبلدة

لا تجيش لحمل أمانة الخلافة في الأرض ولا تنزع إلى الخير، ولا تأمر بالمعروف ولا تنهى عن المنكر، ولا تبني ولا تنمي ولا تحوّر ولا تبدل في هذه الأرض. لأن ذلك كله حركة جياشة فعالة مريده، والحركة لا تنشأ من التبلد والجيشان، ولا تنبع من الخمول.

من أجل هذه النفس وصلاحتها، ومن أجل رفع الحياة البشرية وترقيتها يسعى القرآن إلى تحريك هذه الحواس المتبلدة، لتنفعل بالحياة في أعماقها، وتتجاوب تجاوبا حياً مع الأشياء والأحياء، وهنا يلتقي الدين - بمفهومه الإسلامي - مع الفن. يلتقيان في أروع صورة في ثنايا القرآن! (١).

وإزاء هذا الاحتفال بالطبيعة، فالفنان الذي يرى مظاهر الطبيعة حوالیه لابد أن تؤثر فيه، ويرى فيها أروع المشاهد الخالدة، ولكن هذا الفنان لا يستطيع أن يرسم لنا هذه الصور الخالدة المؤثرة - ولا يمكن له أن يبرز هذا الجمال الفذ إذا لم يكن عنده من الأصالة وشمول النظرة، وسعة الاطلاع ودقة الاحساس ما يستوعب هذا الجمال ويقدر على إبرازه. وكلما كان الأديب أصيلاً، كلما استطاع أن يصلنا بالطبيعة ويطلعنا على الحقائق ويبرز لنا هذه العوالم بأروع صورها وأجلى حقائقها، وأكملها وأجملها وحينها يأخذ الأديب دوره ويستحق أن يكون: « رائد من رواد البشرية يسبق خطاها، ولكنه ينير لها الطريق، فلا تنقطع بينه وبينها الطريق، وهو رسول من رسل الحياة إلى الآخرين الذين لم يمنحوا « حق الاتصال » كما منحه ذلك الرسول، فهو يطلع من خفايا الحياة على ما لا يطلع عليه الآخرون وهو يحسها في صميمها مجردة عن الملابس الوقتية والحدود الزمنية، يحسها كما انبثقت أول مرة من نبعها الاصيل - وكما تدفقت غير منقطعة من مجراها الواسع الطويل. ووظيفته أن يفتح المنافذ بيننا وبين هذا النبع بقدر ما نطيق، وقيمة الأديب الكبرى إنما تقاس بمقدار اتصاله بالنبع من وراء الحواجز والسدود.

وبعض الأدباء يبدو دائماً الصلة بالنبع الكبير، أولئك هم الكبار، وبعضهم يتصل بهذا النبع فيرشف منه قطرات سريعة، ثم يحاول بينه وبين النبع فيقف من وراء السدود حتى تتاح له قطرات أخريات، أولئك هم الممتازون على تفاوت في هذا الامتياز (٢).

(١) منهج الفن الإسلامي ٢١٢ - ٢١٣ وما بعدها، ومن شاء أن يرى نماذج من القرآن الكريم فليراجع فصل « مشاهد الطبيعة في القرآن » في الكتاب ذاته.

(٢) النقد الأدبي. سيد قطب

وحين يتصل الشاعر الفنان بالطبيعة ، ويلمس جمالها وروعها لابد له من التأثير ولا يبدو لنا تأثره وأصالته الا من خلال الصور التي يمنحنا إياها ، فاذا كانت صورته جامدة خاملة يائسة ، عرفنا أنه شاعر يدق أبواب الفن ويتسلق على بنائه الشامخ ، أو انه ناظم يحاول الوصول الى النبع ، واذا كانت صورته حية متحركة ، يخلع من نفسه عليها، وتبدو لنا بكل حيوياتها ودقائقها وإشراقها، حينها نعلم أنه فنان أصيل ، وبقدر ما يبرز لنا من الصور بقدر ما يستحق من الاعجاب ، ومن خلال هذه الخطوط ننظر الى شاعرنا هاشم الرفاعي في شعره عن الطبيعة .

لاشك في أن الشاعر الذي يستيقظ على مناظر الطبيعة الجميلة ومفاتها سيبرز ذلك في شعره . والرفاعي الذي عاش في انشاص وقضى طفولته في الريف يرى الارض والفلاح والشجر والزهر ، ويستمتع بمنظر الورود والطيح ويطرب لآلحان الرعاة وغناء الفلاحين ، ويأنس لسحر الطبيعة ، هذا الشاعر سيجد أن الحياة في هذه الطبيعة باسمة ، إنه ينسى تعقيد الحضارة الحديثة ، فنراه في قصيدة « بسمه الحياة » يستعرض لنا مناظر الطبيعة ويبرز لنا جمالها ، ويسمعنا نغما من نغمات جداولها ، أو همسة من همسات عطرها أو طيرها ، وتختلط هذه الصور عنده ، فالآلحان يجر ولها شط ينعم بسماعه الشاعر ، والبستان الجميل هو بستان الحب والطهر والاخلاص مظاهر الطبيعة تختلط بما في نفسه من ميول ونوازع وصور ومعتقدات فيسكب لنا في نغمة هادئة مناسبة سهلة عواطفه في لوحة طبيعية :

على شط من الآلحان والأزهار والعطر
بروض الحب والانغام والاخلاص والطهر
تعالى تقطع الأيام لي حلم على النهر
نرى الدنيا وقد فاضت أفانين من السحر
ونصفي للنسيم الصديجي الشوق للزهر
فلا ينفك نشوانا بغير الكأس والخمر

الشاعر مفعم بتباريح الحب والشوق ، انه يناجي هذا الحب ويناجي حبيبته ويرى في الطبيعة قلبا كبيرا يتسع لنجواه ، وينعكس ما في نفسه على الطبيعة فيراها صورة متفائلة جميلة .

ونجوى مثل نجوانا لعشاق من الطير
مضت في حبها تفضي بمكنون من السر

ولا ينسى الشاطيء الجميل تختلط فيه شتى الالوان والمشاعر ، خاصة عند الاصيل ، حيث تعكس الشمس أشعتها فتبرزها هناك صوراً بديعة فلا يجد الشاعر غير الياقوت والدر والتبر مثيلاً لها ، انها صورة تعج بالحركة والجمال - صورة الأصيل - وتستجيش الشاعر وتحرك كوامن النفس ، لكن الشاعر هنا لا يتعمق الصورة ، فيقصر عن إبرازها على حقيقتها ، انه قيد الصورة وجعلها جامدة حين شبهها بالمادة البراقة، بالتبر والياقوت، ليس فيها من الحياة غير اللون واللمعان الخاطف ، لكنها ميتة تافهة بمنظار الحياة الدافقة .

وعند الشاطيء المزدان بالياقوت والدر

كست شمس الأصيل الماء أثواباً من التبر

ثم يعود ليرى هذا الانسان المتعب ، الملاح الذي يسعى في اليم ليحني قوت عياله بأمل وتصميم لا يكل ، وهنا يقترب الشاعر من نبع الجمال مرة أخرى :

فوق اليم ملاح يعبد الفلك للسير

مضى يشدو بالبحان تمس النفس كالشعر

ثم ينتقل للبحر وموجه الصاخب ، هذه الحركة الدائبة والصراع المستديم ، نعم صورة حية صورة الصراع بين الموج والصخر ، وهي صورة فنية جميلة .

وموج البحر ما أضناه طول الكر والفِر

صراع خالد قد قام بين الموج والصخر

وكل هذه الصور توحى للشاعر بالأمل والحياة ، فلا يأس ولا قنوط .

ونمضي في المنى حتى نرى اشراقة الفجر

تعالى فالربا تهتز بالأفراح والبشر

من القصيدة نرى أن الشاعر استطاع أن يلمس بعض جوانب الجمال ؛ أعني أنه استطاع الاحساس بالجمال ، والاستجابة لهذا الجمال ، لكن هذا الاحساس لم يكن كمن تعشق الطبيعة ونفذ باحساسه لجمالها ، بل كان كمن تطلع اليها من نوافذ ، ورأى بعض جمالها ، وأحسها باحساس الطفل الذي ينعم بهذا السحر ، واستطاع في بعض اللحظات أن يرينا جمالها من خلال هذه النوافذ ، ولقد عبر في ألفاظه القليلة عن شيء من هذا الجمال دون أن يستطيع الاحاطة به كله ، أو النفاذ الى روحها ، ودون أن يستطيع اعطاءنا الصورة الكاملة

لهذا الاحساس بما فيه من روعة وسحر أخاذ .

❦

وفي قصيدة أخرى بعنوان « في ظلال الريف » نجد الرفاعي يتذكر الريف ،
ويتذكر في الريف كل ما فيه : الطفولة الحلوة ، الأحبة ، والظباء الطاهرات :

ذكرى كفواح العبير هاجت بأحناء الصدور
واستيقظت في النفس تشعلها كجياش الشعور

إنها ذكريات تضطرم مرة أخرى عندما يتذكرها ، فهي عبير الحياة لأنها
امتزجت بالطفولة الحاملة التي مضت ولن تعود :

دع عهدها فلقد تولى عنك في عمر الزهور
لن يرجع الماضي ولن يتحقق الأمل العسير
فانس الحديث عن الأحبة والليالي والبدور
وظباء حش (٣) في ربوع الريف من غيد وحوور
تيمّن (٤) قلبك - وامتلكن زمانه فهو الأسير

ولا ينسى في الريف مع هذه الذكريات الجميلة صورة نفسية ، وصورة
ذهنية . خاصة وأنه يعيش في المدينة ويرى أثر الحضارة الحديثة فيرى فيها
الطيش والفجور ثم يعود الى الريف ليتذكر جماله وروعته وصفاءه ، ويتذكر
فيه طهارته وعفافه وحفظه للأخلاق والكرامة كل ذلك حين يتذكر فتيات الريف
يكسوهن الحياء ، ويتزين بالمغاف ويحفظن العهد والمودة لأزواجهن .

كم في القرى من غادة حسناء كالرشأ الغرير
النائمات لدى العشي القائمات لدى البكور
الحافظات على الليا لي قدس عهد للعشير (٥)
وبرزن في أخلائهن حياء ربات الخدور

وتمر هذه الذكريات على خاطره فيتنقل بين زهورها ورياحينها ، ويترك
خياله في أجواء بساتينها ليعطينا - مرة - صورة ملونة ، - ومرة أخرى -
فكرة وتمتزع هذه الصور مع عواطفه ومشاعره ، - وفي مرة ثالثة - يتركنا
نقارن هذه الصورة المؤثرة بمثيلاتها لنرى الفارق البعيد بينهما .

(٣) الحش : بفتح الحاء وكسرها : السستان : النخيل المتجمع

(٤) تيم قلبه : علقه ، ذلله .

(٥) العشير : الزوج

ولا ينسى طفولته التي تقترن بجمال الريف وذكرياته . ويعود بذاكرته الى الوراء ليرى نفسه فراشة تنتقل بين الزهور ، يملأ الجو بالانشاد والحبور وتمتلىء نفسه بالسعادة والنشاط . والبدر يحنو على الدروب المظلمة فينيرها ليسير فيها ويقضي السهرات الحلوة، ولا ينسى مع حياة الطفولة الشيخ المهيّب الذي يؤدبه بعصاه في المكتب :

أيام الهو في الحقول	فراشة نشوى تطير
وأجره في أرياضها	ذيل الطفولة في سرور
ذاك الزمان مضى به	كر الليالي والشهور
أين الليالي الحاليات	بساطع البدر المنير
وعصاً تؤدبنا بها	في مكتب الشيخ الوقور

ويعود بنا من رحلة الماضي عبر ذكريات الطفولة ليرسم لها الاطار الطبيعي الرائع فلم يجد ما يناسب هذا الاطار غير الاشجار الباسقة، الصفصاف وأوراقه الكثيفة الملتفة كالضفائر - عرائس الحقول - بشعورهن المتدلّية حتى تلامس صفحة الماء الصافي ، وحين ذلك يتخيل هذه الاذبال تقبل وجه الماء وتتبادل معه همسات الحب ، وتبقى هذه الهمسات مادام خريف الماء ، ما أجمل هذه الايام !! لقد مضت . ومضت معها الطفولة والبشر والسعادة .

وضفائر الصفصاف قد	مالت على الماء النмир
لثمت صحيفة وجهه	فانساب يهمس بالخيرير
ماض تولى من صبا	غضر ومن بشر نضير

ويعود بعد حسرة الخيبة من عدم رجوع هذا الماضي ، يعود وكأن احساسه يلح عليه ليعيش مع هذا الحلم فيفوض وراء ذكرياته يللمم جوانب الصورة ، ويرى لمحات أخرى ، ومناظر أكثر ، ويجهد البائس الحالم ينقلنا من هذا الماضي بعض لوحاته الحية ، بل يحاول الشاعر أن يدب فيه الحياة من جديد فيمزج عواطفه المتأججة بالصورة الداوية ، ويمزج الحزن والاسى مع الفطرة والسذاجة حين يرى على ضفاف النهر هذا الثور المتعب وهو يدور ليرفع الماء فيحزن لمنظره حين يراه مجهدا قد أضناه الدوران، وتلاحقت أنفاسه المنهكة حتى لم يستطع الخوار.

وعلى ضفاف النهر تحت التوت ساقية تدور
يمشي بها ثور تفشاً هـ الكلال فلا يخور

حجبوا العيون فما رأى في أي دائرة يسير
قد أحزنتها حاله فبكته بالدمع الفزير
ويحشه من خلفه سو ط له لفتح السعير

ثم يرسم لنا صورة الفلاح الذي يعمل بلا ملل ، وهو يقسو على ثورة لكي يحصل من وراء قسوته على لقمة العيش ، وها هي الندوب والشقوق ترسم على يدي هذا المسكين صور التعب . ومع ذلك فلا يزال الرضى والشكر لربه يملأ قلبه . إنها صورة كل الفلاحين الذين يحنون ظهورهم فوق الفؤوس ويكدحون في حر الظهيرة ، شرا بهم في الصباح كزوس الزمهرير ، وطعامهم لفتح الرمضاء .

قد أمسكته يد بها لشقاء صاحبها سطور
قد عضه البؤس المم ض (٦) ببابه وهو الشكور
وعلى الفؤوس قد انحنت منهم وقوست الظهور
الكادحون وما اشتكوا حر الظهيرة والهجير
والشاربون لدى انسلا ج الفجر كأس الزمهرير

هذه الجولة في الريف الجميل . من خلال هذه الصور الكثيرة المتنافرة أحياناً ، يلفها الجمال الطبيعي الأخاذ ، والروعة الساحرة الفتانة ، تنتقل بينها ريشة الشاعر والفنان حتى تلامس - أحياناً - مشاعره . ثم تنساب حيناً عواطفه مع صورته فيعطينا دفقة منها . وقد تخرج بعض مشاعره ممزوجة بالصورة دون تعمق ، فلا يحس أنه في الصورة ، غارق في نعيمها ، مأخوذ بجمالها بقدر ما نراه يقظاً لدقائقها ، مبدعاً في نقلها ، وكأنه - حينها - يلمح من بعيد ضياءً لامعاً فيقبس منه ، لكن الضوء يخبو فيصليه بخطوط مضيئة من خياله .

وإزاء جمال الريف يطلق لسكره العنان ، فتتداخل الصور الجميلة مع المعاني الذهبية التي يطرزها بإطار طبيعى ، ويبدو ذلك حين يجد الريف خيراً معطاءً لكنه مع ذلك محروم مريض مهمل ، بيوته كهوف مظلمة أشبه ما تكون بكهوف الحيوانات أو بيوت الحشرات .

يا ريف يا مهد الجمال ومصدر الخير الكثير !!
يا أيها المعاني (٧) المرض !! أما لموتك من نشور ؟
أبك الكهوف منازل أم تلك أبيات ودور ؟

(٦) المض : الوجد

(٧) المعاني : الأسير

كيف اتقاء الداء بعد العيش في هذي القبور ؟

تساؤلات حزينة يدعها بلا جواب ، ويمضي عنها دون تعمق ولا كد للذهن ، ويكتفي باثارة هذه الصورة المؤذية لمشاعرنا إزاء الصورة الجميلة . ثم يعود مرة أخرى للريف يكبر فيه الشرف والغيرة ، ويعتبره حصنا للفضيلة والخلق . نعم إنه يفتح في هذه الالتفاتة عيوننا على ما في المدينة الحديثة من كذب وبهتان ، ويدعونا من وراء الصورة الى المقارنة بين المدينة والقرية ، ثم يضع هذه الصورة إزاء الاهمال والاخلاف بالمواعيد للريف ، ويدعونا الى رفع الظلم حين يدعو الريف الى نبذ الجهل والتخلي بأثواب المجد الجديرة به .

حييت يا حصن الفضيلة يا حمى الشرف الفيور
من لم تدنس أرضه مدنية كذب وزور
كم أهملوا الإصلاح فيك وأنت عانٍ لا تشور
كم أخلف الوعد الذي أعطاكه منهم وزير
فاخلع رداء الجهل إن العلم بين الناس نور
والبس ثياب المجد أنت مت بشوبه أبداً جدير

ونرى في هذه القصيدة كيف ينتقل الشاعر من صوة لاخرى في ظلال الريف ، وكيف تختلط هذه المناظر الفتانة مع مشاعره وعواطفه في بعض المواقف ، ويكشف في بعضها الآخر عن أحاسيس مدفونة في ماضيه تتحرك وتبدع ، ثم يربط بين الطبيعة الساذجة التي لم تدنسها المدنية الكاذبة بأصباغها وبين المرأة العفيفة الطاهرة ، هذه المرأة التي يحبها رمزاً للطهر والعفاف والشرف ، ويحبها لأنها عاشت في ظلال الريف الحبيب .

ومع هذه الصور المشرقة في الريف لا ينسى الصور النافرة الشاذة التي تؤلمه وتشجعه ، صورة الحيوان المسخر المعذب يتحمل قسوة الانسان ، ومن ورائه صورة الفلاح الذي يضطره البؤس لتعذيب الحيوان ، تبدو على ملامحها أخاديد الشقاء ، وعلائم التعب والحرمان ، صور انسانية تختلط فيها عواطف الانسان الذي يعرف قيمة الانسان ، ويعرف الرحمة الربانية بالحيوان ويعلم أن فقدان العدل في المجتمع يخلق هذه المناظر المؤذية ، فيشارك الحيوان عذابه ، ويشارك الانسان تعب ، كل ذلك من خلال الصورة المألوفة الساذجة الطبيعية النافرة ، ليسكب في احاساساتنا ما أمرضه وعذبه ومع هذه الصور لا ينسى المعاني الخلقية التي تحلّي الريف وتجمله فيضع اطارا من الفضيلة والشرف ، ويجعله رمزاً للريف البائس المحروم .



ونمضي خطوة أخرى مع شعر الطبيعة عنده لنرى قصيدة أخرى تشبه القصيدة السابقة يصور فيها أيام طفولته، ولكننا لانجد فيها شيئاً بارزاً عن وصف الطبيعة غير بعض الخطوط الباهتة التي لاتزيد في إيضاح الصورة التي نسعى اليها في هذا التجوال . ولكنه يستفيد من هذه الخطوط ليجعلها إطاراً كبيراً لموضوعه حيث ترتبط عنده صور الطفولة بصور الطبيعة فلا يذكر احداها إلا وتتداخل في ثناياها الثانية بشكل يصعب التفريق بينهما ، وهنا يذكر لداته الذين كانوا يشاطرونه اللعب، ويذكر الليالي الجميلة وهم يقضونها ساهرين، ويذكر الشاطئ المهجور والاصيل البديع ، والوادي المنعش والنخيل الباسق ، والفراشات الطريدة وركضه وراءهن، ولا ينسى ثمرات الجدة الشمطاء وأحاديثها الطويلة وذهابه للمكتب ومنظر الشيخ الذي يخشاه ويخافه .

لقد مرت عهود ماضيات رعاها الله كم كانت جميلة
فهذا الشاطئ المهجور كم ذا وثبت عليه ساعات طويلة
وكم - والشمس يطويها غيب - علوت بذلك الوادي نخيله
ألست به الذي قد كان يعدو وراء فراشة عبرت حقوله

صورة نشيطة ، طفولة نشوى بالسعادة ، لكنها مضت - رعاها الله - وليتها تعود .



ثم نرى أن الشاعر لا يترك مناسبة تذكره بأيام الريف والطبيعة إلا وينتبهزها لأنها تهزه وتحيي موات الأمل عنده ، بل نرى أن كل مناسبة كانت تذكره بالريف والطبيعة والطفولة السعيدة التي قضاها فيه . وتبدو في أشعاره هذه الطفولة مقترنة دائماً بالريف ، والريف باعثاً لذكريات الطفولة ، فهما عالمان متناسقان عند الشاعر ، وذكرياتهما تبعثان عنده الرضى والامل والوداعة وحين يذكر الشاعر الطفولة يتذكر مرابعها عند الجداول المترققة ، وعلى المروج والاعشاب وبين الجميز وتحت ظلال النخيل ، وعلى شواطئ الانهار وبين جانحي الربوات، وتحت أشعة الشمس ، وعند انبثاق الفجر ، ومع زقزقة العصافير ، وهبوب النسيمات ، ووشوشة الندى .

وعندما يذكر الريف يتذكر أيضاً الطفولة الهائلة. عالم الملائكة الطاهر وضياء الفجر في العمر المتعب ، يتذكر الاحلام الهازجة ، وكؤوس السعادة الخمرية .

وفي خلال ذلك تمتزج الصور ، وتتفاوت يربط بينهما روح النشاط والامل ، وظلال السعادة والهدوء والانشراح .

وفي قصيدة « شم النسيم » ذكرى الطبيعة ، وعيد من أعيادها ، يذكره بعالم الطفولة فيعود مع خطواته في الريف الى الورا ، الى الماضي ، الى عالم السعادة ، ثم - فجأة - يقفل راجعا الى الحاضر البائس المكدود .

ها هو ذا يسير على الدرب في عيد شم النسيم ، الدرب الذي أحبه ، درب القرية والريف في أحضان الطبيعة الوادعة ، كل شيء جميل فيها ، وهذا الجمال يذكره بنفسه ، بطفولته الجميلة أيضا . خطوة خطوة الى الماضي ثم عودة سريعة للحاضر وشتان بينهما :

أطل على ضفاف النهر	صبحاً موكب النور
وطار به السى الدنيا	بشيراً كل عصفور
ولم يترك نسيم الروض	زهراً غير مخمور
ورقرق للندى حباً	كدُر فيه منشور

وسريعا ما نسي حياته المتعبة ، وانعتق من هذه الحياة المقيدة ليجد الحبور في الصباح المشرق ، مع موكب النور وعلى ضفاف النهر المنساب الحالم . الفرح يغزو قلبه المحزون ، ويملاً نفسه المعذبة ، فيرى العصفور مستبشرا ، والزهور في الروض سكرى مخمورة بالعيد والجمال ، والندى رمز الحب والوفاء ، وهذا السحر كله في موطن الأهل ، حيث خمائل الصفصاف ، والجميز ، عند ظلال النخيل الباسق . وعلى بساط العشب الممتد المتماوج بالالوان والظلال . هناك كل شيء فتان . ساحر ، جميل ، فطري ، ساذج ، والقوم أيضا كالطبيعة بنفوسهم الصافية ، وطباعهم السمحة ، ومزايهم الصادقة :

هنالك في ربوع الريف	حيث منازل الأهل
وحيث خمائل الصفصا	ف والجميز والنخل
وحيث يظل ممتداً	بساط العشب والظل
وحيث القوم قد عاشوا	بلا حقد ولا ختل (٨)

الى هذا الجمال والصفاء والصدق يمضي الشاعر :

بكرت الى الربا أبقي	شذا جناتها الخضر
على دراجة والشمس لم تبرز من الخدر	
وقد دبت بأوصالي	عقاراً (٩) نسمة الفجر

(٨) الختل : الخداع (٩) العقار : الخمر .

تسلل دفؤها في نشو ة يسعى الى الصلدر

لقد انتشى الشاعر بهذه الحياة ، وأسكرته مفاتن الطبيعة ، حتى أنسته
التعب والحزن ، وغابت من أنكاره الاتراح والظنون ، حين رأى الاطفال !

وأطفال على الطرقا ت في ثوب الصبا الفض
تخالهم وقد ساروا ملائكة على الارض

وحينها تذكر طفولته ، وأحلامه الذابلة ، ففاجأه الواقع بشبابه المعذب

ذكرت بهم عهداً من سنأ في فجر أيامي
أروني صورة الماضي مجسمة لأحلامي
وأدركت الشباب فما شعرت بغير آلامي

وتستغرق صورة العذاب شيئاً من مشاعره . فشبابه أتراح وهموم ، فكيف
لا يذكره ؟

قطعتك يا ربيع العمر مهموماً بأتراحي
ولم أملأ كفيري من نعيم العمر أقداحي
نهارى متعب شاك ويلي قائم صاح
كتابي في يدي يغفو على أثاث مصباحي

ومن الصورة الشاكية النائية نلمح شخصية الشاعر الشاب ، الشخصية
الجادة الدؤوب ، وهو الذي ينظر الى الحياة على أنها مسؤولية أمام الله وينظر
الى الآخرين اللاهين فيحزن ، ويفرغ شيئاً من أحزانه في طريق التحسر على
صباه الهانيء ، نعم هروب من صورة الشباب - حوله - العابثين وهم يلهون
ويمرحون ، لا يعرفون الجد ولا المسؤولية ، ولكنه يبقى صامداً صلداً لا ينتكس ولا يتهاوى
في مهالكهم ، حتى يصرع بأيدي الباطل الحقود . ألا يحق له أن يتحسر على
ماضيه اذن ؟ ألا يحق له أن ينفس عبر هذا الماضي لكي يخفف بعض آلامه ؟ نعم
يحق له ذلك ، ويحق له التحنان الى السعادة المزيجة بالخلق والحق والعفاف .

الا ليت الصبا طالت له في الدهر أزمان
وليت العمر تقطعه ونحن لديه صبيان

بقلب ما أمضته من الآلام ألوان
ولم تنزل بساحته على الأيام أحزان



ويمضي الشاعر في قصيدته المقبلة « صور وذكريات » على منوال القصائد الماضية فينتقل من وصف الطبيعة بربوعها الظليلة وسحرها وجمالها ، وطيرها ، الصادح ومائها العذب النмир وعشبها الأخضر ، ونسماتها المنعشة ، الى طفولته البريئة ورفاقه اللاعبين ، وسباحتهم في الخليج ، ولا ينسى سهرهم في الليالي القمرية وازعاجهم للنائمين بألعاب الطفولة المحببة ، ثم منظر الشيخ الوقور وهو يرتل القرآن ويمضي بهذه الصور حتى تسلمهم الحياة الى الشباب ، فاذا بهم في طريق الكفاح حتى يصلوا الى سجن الحياة وقبورها الكثيرة ، فتحجزهم المشكلات والقضبان ، هؤلاء المعذبون هم الذين كانوا يتمنون الامنيات العظيمة ويحلمون الاحلام الكبيرة ، واليوم لم يعد لهم من ذلك الماضي الا الذكريات عبر مناظر الربيع والفجر والضياء ، حيث تجيش نفوسهم فيها وتضطرم وتتلهم الى تلك الامنيات وهاتيك الايام .

ويذكر كعاداته الفلاح وتعبه ويثور على ظالميه ثم يرى ان الريف مبعث الالهام والموهبة والشعر .

ويختتم القصيدة - على غير عادته - بمهاجمة دعاة الشعر الحديث موضحاً رأيه بالمعنى والاسلوب مفنداً آرائهم راداً عليها .

وهذه القصيدة التي استعرضنا بايجاز وسرعة أهم صورها وأفكارها تعد مجموعة من الصور والذكريات المتتابعة ، يمسكها خيط الطفولة المنسوجة المحببة ، بكل جمالها وحيويتها وذكرياتها الأليفة ، وتختلط هذه الصور بشتى المشاعر المنبعثة من الماضي والحاضر ، ويتلو الصور التفاتات ومواقف هنا وهناك . لكنها تبقى مرتبطة بهذا الخيط الناعم الدقيق ، خيط الذكريات ، وخيط الحنين النفسي الى الماضي بعد الشعور بقساوة الحاضر .



أما قصيدة موكب الربيع فهي قبسات من الصور الطبيعية في الربيع ، صور فنية دقيقة الملامح أحيانا ، لكنها تفتقد الى الاحساس الحي المتدفق وتفتقد الى النظرات المتعمقة الأصيلة :

ألا حبذا جلسة الرابية على شاطئ الترملة الجارية
وقد لبس الريف ثوب الربيع فنبه جناته الغافية
وظلت على الأييك فوق الفصوص طيور بألحانها شادية
تهامس بالحب عشاقها فتنقله النسمة الواشية

فهي حشد من الصور متتابع بسرعة ، كأنما الشاعر يمر وسط الريف في
عربة وقد حل الربيع ويلمح من خلال النافذة هذه الصور ، ولما تقف العربة
أمام منظر يتملاه ويحسه ويخلع عليه أحاسيسه .

* * *

وبعد هذه الجولة السريعة مع شعره في الطبيعة ، علينا أن نقف وقفة
الدارس المتأمل أمام هذا الشعر ، لنرى أية صورة منحنا الشاعر إياها من خلال
قصائده ، وأي إحساس دفعه إلينا في شعره ؟ ولنسأل أنفسنا ، هل استطاع
أن ينقلنا - كلية - بعقولنا ومشاعرنا إلى حيث يريد ؟ إلى الطبيعة وضفة النهر ،
والى ظل الشجر ، لنرى الذي رأى ونحس بالذي أحس ؟ أم أننا بقينا هنا - من
بعيد - نشاهد شريطا من الذكريات تتوالى أمام نواظرننا ، أو نسمع موسيقى
عذبة - من بعيد أيضا - دون أن نحس بوقعها الساحر الغلاب .

والذي أراه في هذا الشعر ، أن الرفاعي نقل لنا صورة جذابة ساحرة من
الطبيعة وفي بعض هذه الصور تفصيلات وجزئيات تنم عن ذوق ودقة إحساس
وتشير إلى إبداع في التصوير ، فهو - على العموم - فنان مبدع في صوره يرفده
في ذلك طبع أصيل ، وتمكن جيد من التعبير - مفردات وتراكيباً - ولكن هذه
الصور الأخاذة ، والمناظر الدقيقة الفاتنة لم تنقلنا على الأغلب إلى ما يريد الشاعر ،
إنه - كما قلت - فتح لنا بعض النوافذ حين ألقى بظله المرهف ، ودخل بإحساسه
الدقيق إلى قلب الصورة ليحرك ويدب الحياة في أوصالها الجذابة الجامدة .
أما في بقية شعره هذا ، فلا نجد هذه الروح ، صور فاتنة لكنها مطبوعة
بالصمت والجمود ، خالية من الحركة والحياة والأشعاع . ومن أمثلة مواقفه
الجيدة التي اطلعنا فيها على الطبيعة الحية هذه الصور :

على شط من الأبحان والأزهار والعطر .

فالأبحان بحر زاخر متحرك حي ، مملوء بالعجائب والمناظر والأنغام ، وله
شط ساحر جذاب ، وعلى هذا الشط يقف الشاعر ، هذا الشط العجيب
مملوء بالأزهار والعطر ، متموج بهذه الروائح والألوان الجميلة ، فهي صورة
حية ، جمع فيها بين المسموعات والمرييات والمشمومات ، روائح وأصوات

«ورؤى كلها تتحرك وتختلط لتعطينا صورة متراكبة .

بروض الحب والأنغام والاخلاص والطهر .

وهذه صورة الروض ، روض الحب ، والأنغام والاخلاص والطهر وهنا نجد مزيجاً من الشعور النفسي والصوت العذب والمعنى الذهني المرموق كل ذلك يمتزج بصورة مدبجة مملوءة بالاحساس ، إنه شعوره النفسي أمام المنظر الساحر الذي لانعرف بواعث السحر فيه ، ولا نجد له مثيلاً في واقعنا .

ونصفي للنسيم الصب يزجي الشوق للزهر

صورة حية للنسيم المحب المقيم ، وهو يقدم الشوق للزهر ، وهي صورة متحركة بالاحساس والمشاعر .

ونجوى مثل نجوانا لعشاق من الطير

والطيور تتناجى ، إنها تحس وتحب وتعشق وتشتاق ، كساها صورة إنسانية حية ، ورأى فيها صورة لنفسه الشجية .

وموج البحر ما أضناه طول الكر والفر
صراع خالد قد قام بين الموج والصخر

تدفق الأمواج واحدة إثر أخرى ، لم يتعبها طول التدافع ، وهي صورة الفارس الدؤوب الشجاع ، يكر ويفر ولا يشعر بالتعب وهو يصارع الصخر ، فلا يتعب الموج ولا ينهار الصخر ، إنه صراع خالد بينهما ، صورة حية متحركة

تعالى فالربا تهتز بالأفراح والبشر

انظر الى كلمة تهتز والتي أعطت الصورة روعتها وحيويتها ، فالربا تهتز بالأفراح والسعادة والبشر .

إنها صور جيدة وجميلة وعليها إشراقة الحياة ، استخدم فيها مهارته وإحساساته ليخرجه بهذه الصور البيانية المشرقة .

مثل هذه الابيات المنتشرة هنا وهناك في قصائده تعطي صورته روعتها وعمقها على الرغم من أن جميع صورته عبارة عن صور طبيعية جميلة ودقيقة ولكنها تفتقد الى عنصر الحياة الذي تخلعه عليها مشاعر الشاعر النفسية .

ولكن هذه الايات التي ينشرها بين الحين والحين تعطي القصائد مسحة من الجمال والحيوية ، وتمدها بدفعة من الخلود ، وتجعل الشاعر واحدا من الذين ارتشفوا قطرات من النبع وهو في أول الطريق ، وكان من المأمول له أن يتصل بالنبع ، ويصبح أحد الرواد النظام لو لم يفتاله الحقد والضلال .

وكما قال الاستاذ عبد الحي دياب في دراسته عن الشاعر : « لانعجب اذا وجدنا الشاعر يتحدث عن ذكرياته في الريف في قصيدة تحدث فيها عن الريف الحبيب الى نفسه والذي نشأ فيه أول ما نشأ ، وعن قرينته التي شهدت مراحل طفولته ، وفيها الاهل والاجاب والاخوة والصحاب ، فيها السحر ذو الالوان، والربوع ذات الظلال الفتانة والطير التي تصدح على ربا القرية يغني وينشد في خفة ومرح » (١٠) .

وقال في موضع آخر : « على أي حال فاننا نجد أن شعر الرفاعي الذي قاله في ظلال الريف يتسم بالصدق الفني اذ أن حياة الشاعر في الريف وفنه شيء واحد وموضوع حياته هذه هو موضوع شعره ، وقد بلغ التوافق بين خلائقه وبين شعره وبين طبعه وبين تعبيره ، وليس ادل على ذلك من أنك تجد صدقه في عاطفته واضحا في أن وقوده من داخل نفسه التي تختار ما يلائمها من الاسلوب الذي يكاد يكون مرآة للرفاعي تطل من خلالها نفسه التي ينطوي فيها شيء من الطيبة على شيء من البداوة والتزمت * وأخذ الحياة مأخذ الجد ، وأخذها بصلابة وصرامة ، ومن هنا كان أسلوبه يجوز بنا الى معناه بغير ما توقف ولا انتباه ، لان الفاظه تخدم المعنى وترينا إياه ولا ترينا نفسها ، ومن أجل هذا كله كان أسلوبه برغم بساطته جميلا الى حد ما » (١١) .

وننتهي من هذه الدراسة الى أن الرفاعي فنان دقيق الحس ، قوي التعبير، جيد الاسلوب، كان باستطاعته - لو مد الله في عمره - أن يصل الى نبع الحياة الحي الصافي الذي يرتاده الممتازون والرواد .

« للبحث صلة »

(١٠) ٦٤ - ٦٥ مع الشعراء المعاصرين في مصر - عبد الحي دياب

* هذا يمثل رأي الاستاذ دياب الذي يرى في التدين ترمناً وصلابة

(١١) ٧٤ - مع الشعراء المعاصرين في مصر - عبد الحي دياب

النكسة في بعددها الحضاري

بقلم : غازي الربيعي

دارت الآراء التي عللت الانتكاسة الاخيرة حول محورين :

أولهما : يعلل الانتكاسة بعوامل خارجية مثل : الاستعمار ، الخيانة الخ ..
ثانيهما : يعلل الانتكاسة بعوامل داخلية ذاتية تنبع من نفس الانسان العربي وتمتد الى مختلف أبعاد الحياة العربية من اجتماع واقتصاد وسياسة الخ ..

وقد كان هذان هما المحوران اللذان دارت حولهما الآراء التي عللت نكبة ٤٨ وقد ركزت أجهزة الاعلام المرتبطة بالحكومات العربية آنذاك على محور التعليل الاول ، وقد أوهمت المواطن العربي بأن بعض التغيرات الشكلية الهيكلية كاستبدال زعماء بزعماء ، ومؤسسات بمؤسسات كفيلة باعادة الصحة والحيوية لمجتمعنا .

٥٦ - ٦٧ ، مما يجعلنا نتيقن بأن التغير الذي لحق الانسان خلال هذه السنين الطوال منذ مطلع النهضة حتى الآن ، انما كان تغييرا شكليا لم يمهّد للتصدع في بناء الانسان العربي ، ولم يشفّه من أمراضه كما كان يعتقد كثير من الناس .
وبالمقابل فأننا نقول : ان بداية انتصارنا بتحقيق مع بداية التكوين الصحيح للانسان العربي ، ويتم الانتصار مع تمام بناء هذا الانسان .
ان هاتين الحقيقتين أو قل الحقيقة ذات الوجهين مؤكدة دينيا وتاريخيا :

ليس من شك بأن تخلخل الانسان العربي هو العامل الرئيسي وراء النكسة الاخيرة ، وان أي تحليل لاسباب النكسة لا ينصب على الاحاطة بهذا الانسان ، وفهم ظروفه ، وداخليته ، تحليل ناقص .
وان الانتباه الى هذه الحقيقة - حقيقة تخلخل الانسان العربي - وبرايزها في زحام الاحداث ، وايلائها الجهد الاوفى دراسة ومعالجة ، يمكن ان يجنب امتنا نكسات أخرى .
وقد ترسخت حقيقة تخلخل الانسان العربي من الهزائم المتتالية التي لحقت بامتنا في حروب ٤٨ -

دينيا : فالله تعالى يقول في القرآن الكريم « أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ونحن لم نغير ما بنفوسنا ولم يتغير الواقع المحيط بنا نحو الأفضل ، لذلك لم يغير الله ما بنا من أنكسار وهزيمة وتفقر .

تاريخيا : حينما حدث التغيير في الانسان العربي ، وحوالته عقيدة الاسلام الى مسلم ، كانت الانتصارات التي لا تعرف الهزائم . وايضا حينما كان الخور والفتور يتساب النفس المسلمة في بعض مراحلها التاريخية ، ثم تعود طاقات التغيير الحقيقي لتملأها ثانية ، فيتغير الواقع حولها فعلا ومباشرة .

لقد كانت محاولات التغيير - في الحقيقة - دأبة الحدوث في منطقتنا منذ مطلع النهضة الحديثة بفعل عوامل محلية وخارجية ، وقد انتهت هذه المحاولات الى نتائج اما شكلية تناولت المظاهر والاطر ، واما جزئية لم يتعد أثرها فئة محدودة من الناس ، واما مؤقتة فرضتها قوة السلطة ولم يتفاعل معها معظم أبناء الأمة فانزاحت عند أول متنفس .

والسؤال الذي يفرض نفسه بالحاج : لماذا لم ينجح أي تغيير في بناء الانسان العربي المتكامل ؟

قبل أن نجيب على هذا السؤال نطرح سؤالاً آخر : ما هي محاولات التغيير التي جرت في المنطقة ؟ أو ما هو بعضها ؟

بدأت محاولة التغيير الجديدة والفعالة في منطقتنا منذ احتلال الانجليز لمصر ، واستمرت تقاذفنا بعدئذ - قوى التغيير العفوية والمخططة ، وقد اتجهت جميع المحاولات الى أوربتنا ، ويمكن أن نمثل باثنتين منها :

١ - المحاولة الديمقراطية :

تزعّمها الانجليز ، وكانت تهدف الى جعل المثل الأعلى للمجتمع العربي الحياة الديمقراطية بكل دقائقها من : أحزاب ، وبرلمان ، وصحف ، ودستور ، وسلوك الخ . وبالفعل فقد عاش مجتمعنا النظام الديمقراطي في مختلف مناحي العالم العربي ، إثر نجاح ثورة ١٩١٩ في مصر مع تفاوت في الصور المطبقة ، ثم تداعى هذا النظام في الخمسينيات .

٢ - المحاولة القومية السورية الفرعونية :

نادت هذه الدعوة بالعودة الى التراث الفينيقي في بلاد الشام والفرعوني في مصر كأساس حقيقي لشخصية المنطقة القومية والحضارية ، وهي تقتدي في هذه العودة بتجربة أوروبا الحالية حينما عادت الى التراث اليوناني في الفكر والسياسة والفن والمجتمع الخ وكان ذلك أساساً لنهضتها الحالية . لكن هذه الدعوة اندثرت واقعياً في مصر وفي بلاد الشام ، مع أن الظروف التي تهيأت لدعائها ودفعها لم تتوفر لغيرها من الدعوات ، فقد

وجهت الدراسات الاستشراقية والآثارية من أجل خدمتها في مرحلة مبكرة من مراحل التفتح الذهني في المنطقة .

إذن قد فشلت أضخم محاولتين لأوربتنا .

وبالمقابل لماذا نجحت الأوربة في مناطق تشبه ظروفها الحضارية ظروفنا ؟

فقد سادت الشيوعية في الصين .
وقد سادت القيم الغربية في اليابان .

نعود لنسأل : لماذا نجحت الأوربة في بلاد الشرق الأقصى ، ومازالت تتعثر في بلادنا ؟

يرجع تحقق الأوربة في مناطق كالصين واليابان وعدم تحققها في منطقتنا ، مع تعرض كل هذه المناطق إلى المؤثرات والضغطات نفسها ، يرجع ذلك إلى شخصيتنا الحضارية التاريخية التي منعت انسياقنا الكامل في تيار الأوربة .

ما الذي نقصده بالشخصية الحضارية التاريخية ؟

نقصد بالشخصية الحضارية التاريخية جماع الخصائص التي ورثتها المنطقة خلال الحقب المتتالية في مختلف أبعاد الحياة : النفسية ،

الاجتماعية ، الاقتصادية ، الفكرية ، السياسية الخ

والسؤال الآن : كيف أدت هذه الشخصية الحضارية التاريخية دورها في الحيلولة دون نجاح الأوربة ؟

علينا أن نوضح قبلا صورة الصراع بين أية شخصية حضارية تاريخية والمؤثرات الأوروبية ، لكي نفهم - بالتالي - الصورة التي أفضلت فيها شخصيتنا الحضارية التاريخية بالذات عملية أوربتنا .

بدأت عملية الصراع بين أوروبا وبين الأمم الأخرى في الأرض منذ أن أمسكت أوروبا زمام الراية الحضارية ، ومنذ أن بدأت تستعمر الأمم الأخرى .

وقد اتضحت آلية الصراع عند كل أمة في الصراع الذي نشب بين القيم الأوروبية وبين شخصيتها الحضارية التاريخية ؛ هذه الشخصية الحضارية التاريخية التي تحمل في طياتها موروثات القوة والضعف ، الصحة والمرض ، الصلاح والطلاح ، العقول والخرافة الخ ..

ومن الطبيعي أن تتساقط موروثات الضعف والمرض والطلاح والخرافة في هذه الشخصية الحضارية ، وتتلور

«موروثات القوة والصحة والصلاح
والمعقول فيها أثناء عملية العراك .

فإن غلب نصيب الضعف والمرض
والطلاح والخرافة في هذه الشخصية
الحضارية التاريخية أسفر الصراع
عن نجاح الأوربة .

وبالعكس إن غلب نصيب القوة
والصحة والصلاح والمعقول في هذه
الشخصية الحضارية التاريخية
أسفر الصراع عن فشل الأوربة ،
وتبلور هذه الشخصية ، ونمائها ،
واحتمال شق طريق حضاري
جديد .

وبالنسبة لشخصيتنا الحضارية
التاريخية فقد تحفزت في مواجهة
الخطر الداهم منذ غزو نابليون لمصر ،
وانشطر مجتمعنا إلى شطرين ،
وتجلى الصراع بصورة واضحة في
نهاية القرن التاسع عشر وبداية
القرن العشرين ، فحيثما التفت
آنذاك وجدت صوتين يتصايحان ،
ونموذجين يتعاركان .

وقد صمدت أمتنا أمام محاولات
الأوربة وأفشلتها بفضل شخصيتنا
الحضارية التاريخية التي تغلب
عناصر القوة والصحة والصلاح
المعقول عليها .

ويمكننا الآن أن نحدد مفهوم
شخصيتنا الحضارية التاريخية على

ضوء التحليل السابق بشكل أجلى
وأدق فنقول : إن شخصيتنا
الحضارية التاريخية هي جماع
العقيدة الإسلامية مع الحياة
التطبيقية لها خلال العصور
الماضية ، ومن المؤكد أنه كان
لا يتوازى في أحيان كثيرة نقاء وصفاء
الإضافات التطبيقية مع نقاء العقيدة
الإسلامية وصفائها .

لقد كانت حيولة شخصيتنا
الحضارية التاريخية دون أوربة
أمتنا خطوة سلبية يجب أن تعقبها
خطوة إيجابية بأن تولد إنسانها
الحضاري التماسك المتميز الذي
يمكن أن يشق طريقاً حضارياً جديداً
يحرر به نفسه وأرضه ، ثم ينطلق
إلى تحرير العالم .

لكن القوى الغربية استكملت
لتحول دون تحقق هذه الخطوة
الإيجابية ، وصعدت المعركة ،
وجعلتها أشد شراسة ، وأحمى
وطيساً ، وعدلت من هدفها ، فبعد
أن كان أوربة المنطقة أضحى تفتت
شخصيتنا الحضارية التاريخية أو
تذويبها تذويها كاملاً لأنها هي
السياج الحاجز المانع من نجاح
هذه الأوربة .

إن التصريح الرسمي الذي أذاعه

موظف أمريكي في وزارة الخارجية
- قسم الشرق الأوسط - في مطلع
عام ١٩٦٤ عن أهداف أمريكا في
المنطقة شاهد صدق على ما نقول ،
فقد أعلن ذلك الموظف أن لأمريكا
خمس أهداف في منطقة الشرق
الأوسط ، أحدها : تطوير المنطقة
اجتماعياً .

إن تطوير منطقتنا اجتماعياً هو
العنوان الدبلوماسي السياسي
الناعم لعملية تفتيت شخصيتنا
الحضارية ، وخاصة بعد أن يترجم
البنجاحون هذا المصطلح ، وتنفذه
بوارج الأسطول في البحر الأبيض
المتوسط .

وإلا فبماذا نفسر هذه الإنسانية
من أمريكا ، واهتمامها بمجتمع
الشرق الأوسط في وقت هي أحوج
ما يكون إلى هذا التطوير لتلأم - على
الأقل - الصدع بين البيض
والسود في مجتمعاها ؟!!

إن شخصيتنا الحضارية التاريخية
هي الرصيد الواقعي المساعد للدعوة
الإسلامية في مواجهتها لقوى
الأوربة .

لكن هذا الرصيد لا يعفي الدعوة
الإسلامية من الجهد ، بل يتطلب
منها جهداً أشد في التصدي لمحاولات

تفتيته ، وفهما أعمق لكيفية هذه
المحاولات .

إن المعركة - الآن - بين الدعوة
الإسلامية والقوى الغربية لا تتعدى
رقعتها إطار ومضمون الشخصية
الحضارية التاريخية ، ففي حين أن
الدعوة الإسلامية تنمي وترعى عناصر
الصحة والصلاح والقوة والمعقول
في شخصيتنا الحضارية التاريخية
لتكون رحم إنسان التحرير ، نجد
أن القوى الغربية تسعى إلى تفتيت
هذه الشخصية الحضارية لتحول
دون تجن مثل هذا الإنسان .

لكن قد يرد سؤال معترض : هل
سننتظر حتى يولد هذا الإنسان ؟

إن إنسان التحرير كامل التكوين ،
سوي الجذور ، وكان يمكن أن يتم
المخاض طبيعياً ، وينهي هذا الوليد
عذابات أمتنا ، لكن الغرب وعملاءه
مازالا يحولان دون مثل هذه
الولادة ، ويجهضان مولود التحرير .

لذلك فالأمر لا يحتاج من أمتنا
إن كانت تريد السبيل الأخضر زمنياً
إلى التحرير والأوفر مجهوداً ، إلا
أن تقطع يد العملاء لتحول
بينها وبين أن تجهض المولود ، وإلا
أن تحطم الساطور التي يرفعونها
لتمزيقه .

إن أي حديث عن النكسة لا يستكمل أبعاده ما لم يتطرق إلى الحل السياسي ، فالحل السياسي هو الثمرة التي تجسدت بها النكسة ، وآلت إليها خسارتنا للحرب .

والحل السياسي - في الحقيقة - أحد جولات الصراع بين شخصيتنا الحضارية التاريخية وبين قوى الغرب .

وهو - إن تحقق - محاولة ناجحة من المحاولات التي جرت وتجري وستجري لتفتيت هذه الشخصية .

وأقل ما يمكن أن يحققه الحل السياسي قتل حافز الجهاد والصراع في هذه الأمة تنفيذاً للبند القائل : إنهاء حالة الحرب مع إسرائيل .

إن إدراكنا لحقيقة كون الحل السياسي جولة من جولات الصراع بين شخصيتنا الحضارية التاريخية وبين الغرب من جهة ، وتقويمنا له على أساس أنه محاولة لتفتيت هذه الشخصية وتخديرها كما هي الحقيقة من جهة ثانية ، يجعلاننا

نتصور نتائج الخطيرة في حال تنفيذه ، ويجعلاننا نبذل - في الوقت نفسه - أقصى طاقاتنا للحيلولة دون تنفيذه .

إن إدراكنا لهاتين الحقيقتين في إطار شخصيتنا الحضارية التاريخية هو الإدراك الصحيح الذي يبطل مفعول بعض أجهزة الإعلام العربية التي تحاول أن تقدم الحل السياسي على أنه صفقة مربحة لنا في حال تنفيذه ولهذا ترفضه إسرائيل .

الخلاصة : إن هدف الغرب على الصعيد الحضاري في هذه اللحظة تفتيت شخصيتنا الحضارية التاريخية بمختلف الوسائل ومن ضمنها الحل السياسي ؛ لذلك وجب على الدعوة الإسلامية في سبيل الوصول إلى إنسان التحرير ليس المحافظة على هذه الشخصية الحضارية التاريخية فقط بل إغنائها بالمضامين الحية من الثقافة الغربية التي تلائمها وتناسبها ، ولن يتم ذلك إلا بعد استيعاب التراث الثقافي الغربي وهضمه .

كتاب في مقال

« الرسول صلى الله عليه وسلم »

تأليف الأستاذ سعيد حوى

لِلأَسْتَاذِ وَهْبِيِّ سُلَيْمَانَ الْأَلْبَانِيِّ

١ - ليس شيء أجمل في علم التاريخ ولا أنفع ولا أجدى وأبعد ما يكون عن الملل مع تكراره من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ذاك لأنها مع كونها سيرة انسان عاش مع الناس دهرا من الزمان فانها دين (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) . لقد كتب الكاتبون المسلمون في سيرة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من أيام عروة بن الزبير ، وما يزالون يكتبون ، ولن يزالوا يفعلون وكل من يكتب منهم في سيرته صلى الله تعالى عليه وسلم فكتابه مقروء وجهده مشكور ، فلا تخلو كتابة من جديد في العرض ، في الاستنباط ، في ربط السيرة بالواقع ، في استخلاص الدروس والعبر النافعة للفرد والجماعة .

وأخونا الشيخ سعيد حوى سلك في درب كتاب سيرة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، وانتظم - ان شاء الله : في عقد مداحي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومظهري فضله وكماله ، فقد انحف المكتبة الاسلامية بالجزء الاول من كتابه الثاني بعد « كتاب الله جل جلاله » الذي جعل عنوانه : الرسول صلى الله عليه وسلم .

لقد جاءت كتابته في السيرة نمطا خاصا ، عرض جوانب معينة من السيرة منقولة من المراجع الاسلامية الموثوقة، مضافا اليها جوانب الاستدلال، ومواقع الاستفادة والعبرة ، في اسلوب أدبي مشوق وعرض علمي موفق .

٢ - يذكر في مقدمة الكتاب جوانب سبعة يسمو بها الانسان عن الحيوان هي : **خلقته** (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) **وعلمه** (علمه البيان) **وإرادته** (انا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا) **ومكانته وامكاناته** ، مكانته السيادة (وسخر لكم ما في السموات والارض) **وامكاناته** فقد استطاع ان يصنع القنبلة الذرية ويتغير من غير سلك بل استطاع « باذن الله وارادته » ان يصل الى القمر ، **وملكة البيان** (علمه البيان) **وعقله** وادراكه **وخيله واستعداده** الأخلاقي ، يذكر ذلك في اطار مبسط موسى بالدلة . ثم يتساءل لماذا اعطي الانسان السيادة وميز عن الحيوان والجماد بما ذكر من الصفات وغيرها ؟ فيجيب: أعطى ذلك في مقابل عبوديته لله تعالى ، وما لم يعط الانسان عبوديته لله يكون قد أقام نفسه مقام الجماد والحيوان . (. . كأنهم خشب مسندة ، أولئك كالانعام بل هم أضل .) ولا غرابة فالانسان حين ينتكس في فطرته يكون قد تنازل عن انسانيته ، فلا عجب ان يحكم الخالق العليم عليه بأنه أدنى من الحيوان . ويعرض لحكمة خلق الله تعالى البشر مختلفين ليتم التعاون بينهم ، وبالتالي يستمر عمار الكون ، وان الله تعالى اختار رجالا يمثلون ذروة الكمال البشري لانهم يمثلون ذروة العبودية لله تعالى ويقومون بأعظم مهمة في الوجود وهي ارشاد الانسان الى سعادته الدنيا والآخرة ، هؤلاء الرجال هم رسل الله (الله أعلم حيث يجعل رسالته) مازهم بصفات شخصية واجبة ومنحهم عطاياه الكريمة ، فلا يختلط علينا أمرهم بما نرى من كذابين دجاجلة يزعمون انهم رسل الله الى البشر .

٣ - ثم يذكر صفاتهم الشخصية الواجبة في الصدق والامانة والتبليغ والفتانة ، ويذكر امداد الله تعالى لهم بالمعجزات وانه تصدر منهم اخبار بالغيوب تقع كما أخبروا ، وان ثمراتهم من اخلاقهم وسلوكهم دلالات وأي دلالات ، ويذكر ما اختص به رسول الله صلى الله عليه وسلم من بشارة الرسل بمقدمه ، وأخذ الله تعالى العهد على الرسل واتباعهم ان بعث فيهم بمتابعته ونصرته ثم يعود الى كل صفة ومنحة وعطية فيسرد لها الامثال المناسبة منقولة من الكتب المقبولة ، ولو أردت أن أنقل منها شيئا لظال بي المقال .

٤ - وفي حديثه عن عقله صلى الله عليه وسلم وفتانته يورد حديث

ابن خزيمة وفيه انه صلى الله عليه وسلم قال (.. ابي وابوك في النار ..) الحديث بغير هذا الطريق ورد في مسلم بروايتين ، رواية حماد بن سلمة موافقة لرواية ابن خزيمة ، ورواية معمر بن ثابت وليس فيها (.. ابي وابوك في النار) . لكن فيها انه قال للسائل بعد ان قال له ان اباه في النار (... فلما قفا دعاه وقال له : (اذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار) . ومعمر بن ثابت أثبت من حماد ، فان حمادا تكلم في حفظه يقال دس له ريبه في كتبه ، بل كان لا يحفظ ، ولم يخرج له البخاري شيئا ، واما معمر فلم يتكلم في حفظه ولا استنكر شيء من حديثه واتفق على التخريج له الشيخان فكان لفظه أثبت ، ورواية معمر تؤيدها روايات البزار والطبراني والبيهقي وابن ماجة . قال الزرقاني في شرح المواهب اللدنية : ان الحديث الذي رواه حماد تصرف فيه الرواة وان هذه الطريقة ، التي هي طريقة معمر في غاية الاتقان ، قلت وهذه الرواية هي المتفقة مع الآيات الكثيرة القاضية بأن الله تعالى لا يعذب قوما حتى يبعث اليهم رسولا . قال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) .

فليت الكاتب الفاضل ترك رواية ابن خزيمة لما قد يشتم منها من اذاء للنبي صلى الله عليه وسلم ، والله تعالى يقول « ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة » ، وقد ثبت ان عكرمة رضي الله عنه بن ابي جهل جاء اليه صلى الله عليه وسلم يشكو اليه بعض الذين يسبون اباه « وقد قتل على الشرك يقينا » فقال صلى الله عليه وسلم « لاتسبوا الاموات فتؤذوا الاحياء » .

٥ - وفي الباب الثاني يعرض الكاتب لجانب هام جدا « يسعى الكفار والمنحرفون ان يصرفوا المسلمين عنه بما أحدثوا من اصنام ودعوات » هو كونه صلى الله عليه وسلم القدوة العليا للبشرية اجمع ، في جانب الاخلاق الفردية والاجتماعية ، وجانب الابوة والزوجية ، وجانب التعليم والتربية ، وجانب الادارة والقيادة . ويعقد فصلا للحديث عن حكمة تعدد زوجاته بما يدفع شغب الكفار على كثرة نسائه صلى الله عليه وسلم ، وهم قاتلهم الله : لا يرفعون عن الزنا وسرقة الاعراض وانتهاك الحرمات ونسبة الاولاد الى غير الآباء !

وبعد : ارى اني قد قطفت لك « قطوفا من روضة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لاتكاد تبلغ ان تكون باقة تسر القلب وتسكن خاطر ، لكنها باقة - على قصوري في انتقاء ازهارها - من تلك الروضة الندية العطرة التي لاتدانيها روضة في الوجود فضلا عن أن تشابهها؛ .. وعليك متابعة القطوف .. »
واذا قرأت الكتاب « وأنصحك بذلك » فسترى صدق ما نقشه المؤلف في صدر كتابه (ستري في هذا البحث بالدليل والبرهان ان محمدا « صلى الله عليه وسلم » رسول الله حقا : وانه أعظم الناس في كل شيء ، وان الذين يتخذون غيره قدوة حمقى ناقصون) .

جزى الله تعالى المؤلف خيرا واثابه ، وألحقه بزمرة من ائتسى في مدحه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (وانك لعلى خلق عظيم) وشارك في التعريف بسيرته صلى الله عليه وسلم آخذا من قوله تعالى (أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون) . ونفع المسلمين بعلمه وعمله وبارك له في عمره .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه واخوانه وسلم وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

* * *

تكذيب

مول ما نشر في مجلة العربي

نقدم فيما يلي رد الأستاذ الشيخ عبد الستار السيد مفتي طرطوس على افتراء مجلة العربي فيما نسبته إليه من كلام حول الحجاب في الاسلام .
التحرير

حضرة الاخ الكريم رئيس تحرير مجلة حضارة الاسلام حفظه المولى تعالى السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

فقد قرأت في مجلة العربي بعددها ذي الرقم / ١٣٠ / شهر ايلول ١٩٦٩ اني قلت : (إن نقاب المرأة ليس من تعاليم الاسلام في شيء) ولما كان هذا القول فرية فقد بادرت بارسال الكتاب المرفق أكذب فيه ما نسب اليّ واطلب نشر الحديث بكامله لان هذا القول لا يستند الى أي دليل ولا يمكن أن يصدر عني .
وقياما بالامانة الملقاة على عاتق كل منا أرجو ان تتكرموا بنشر التاكذيب القاطع لهذه الكلمة ، والله يحفظكم .

أخوكم عبد الستار السيد

سيادة الاخ الكريم الدكتور احمد زكي رئيس تحرير مجلة العربي المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد : فقد أطلعت على العدد / ١٣٠ / من مجلة العربي الغراء صفحة / ٩٦ / على اني قلت (ان نقاب المرأة ليس من تعاليم الاسلام في شيء) وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : استوصوا بالنساء خيرا . وقال : لا يكرهن الا كريم ولا يهينهن الا لئيم ، خيركم خيركم لاهله وأنا خيركم لاهلي) .

فاستغربت جدا الكلفة الواردة عن النقاب حيث اني لم أقلها وما ذكر خلاف الواقع وإنما قلت ان الحجاب من الاسلام وذكرت أقوال العلماء فيه . والاستشهاد بالا حاديث الواردة ليس له أي صلة بهذا القول ، وموضعه في كلام آخر ، ويعلم الاخ الكريم الذي سألني أسئلة كثيرة اني أجبت به بكل وضوح وأمانة وواقعية وكان بودي أن يذكر الحديث كله وان يعرض ما جاء فيه كما حدثت ، وقد سعدت بلقائه غير اني أسفت كل الأسف على مسخ الحديث بهذا الشكل فأرجو من سيادتكم ان توعزوا بنشر الحديث كما ذكرته ، أو اثبات ملاحظتي على ما لم أقله عملا بالامانة الملقاة على عاتقنا .

أخوكم عبد الستار السيد
مفتي طرطوس

البحث في أصل اللغة

بقلم محمود محمد الحامد

لعل اعتبار الرأي الصادر عن فريق من المجتهدين في مدارنصوص الشريعة، اعتباراً مطلقاً ، أو أنه يعبر عن مشيئة الاسلام بالتطابق . . لعل هذا الاعتبار يكون تضييقاً ذريعاً للاسلام أن يستنفذ أبعاده .

ان أي مشكلة نريد أن نبحثها في ضوء الاسلام لنرى رأيه الهادف فيها ، ليس بالامكان فهمها الفهم السديد اذا وقفنا عند رأي واحد أو آراء متعددة يجوز عليها الخطأ والانحراف عن الجادة، لاسيما وهي صادرة عن عقول بشرية! . . فالاسلام براء من كل نظرة لصقت به ، ودعمت من قبل بعض رجال الاجتهاد في الاسلام ، ثم ظهر بعد ذلك ، وبنتيجة الاستقراء أن الواقع يناقضها .

على ضوء هذه المقدمة نريد أن نعرض لموضوع تسابقت فيه الاقلام من قبل على يد المتقدمين ، وأظهرت عن مكنون غايتها ، الا أن هذا الموضوع لم يزل غامضاً لدينا بالنظر لما قدمته لنا هذه الاقلام ، وسنعرض الآن لبيان المنهج الذي يبدو لنا سديداً في طريقة فهمه .

هذا الموضوع يتعلق بقوله تعالى : « وعلم آدم الاسماء كلها ، ثم عرضهم على الملائكة . . » ترى ما المقصود بهذه الاسماء ؟ وان هذا السؤال سوف يجزنا الى السؤال التالي : هل اللغة في أصل نشأتها تواضع تواضعه الناس أو الهام وتوقيف لا أثر للانسان فيه . . كما وان هذا يقودنا الى التساؤل فيما اذا كان يصح أن يقال : ان الاسلام ينصب الحواجز دون العقول ويرمي ابصارها بالحصاء دون التفكير في نشأة اللغة على أساس التواضع ، وأعني به الاختراع وسبق بعض الكلمات على بعض في السياق الزمني ؛ وان يقال أيضاً : ان التأثير الديني في الافراد له مثل هذا المفعول ؟!

تلك فكر ثلاث نبحتها بحثا هادئا لنصل الى النتيجة المرضية ..

قال القرطبي : « واختلف أهل التأويل في معنى الاسماء التي علمها آدم عليه السلام ، فقال ابن عباس وعكرمة وقتادة ومجاهد وابن جبير : علمه أسماء جميع الأشياء كلها جليها وحقيرها . وروى عاصم بن كليب عن سعد مولى الحسن بن علي قال : كنت جالسا عند ابن عباس ، فذكروا اسم الآنية واسم السوط ، قال ابن عباس : وعلم آدم الاسماء كلها .. الى أن يقول القرطبي : وقال الطبري : علمه أسماء الملائكة وذريته ، واختار هذا ورجحه بقوله : (ثم عرضهم على الملائكة) وقال ابن زيد : علمه أسماء ذريته كلهم . الربيع بن خثيم : أسماء الملائكة خاصة .. » اهـ (١) .

لكن هل معنى ذلك أن اللغات في أصل وضعها كانت موضوعة توقيفا عن الله ، أي بتعليم الله البشر أسماء هذه المسميات ، وعناصر اللغات المفترقة المتباينة دون أن يكون للانسان تأثير ما (٢) في وضع هذه اللغة التي يستعملها أداة للاعراب عما في النفس صباح مساء ؟!

اني أرى أن اعتبار هذا الرأي هو من السذاجة الى الحد الذي يجعلنا نفضي الطرف عن كثير من الحقائق ، وندرجها في طي العدم مع أن نبضاتها تخالجنا بين الفينة والاخرى .. ولا نستطيع أن ننقض هذا الرأي الا بعد البحث في أصل نشأة اللغة — أي لغة كانت — وفي عوامل تطورها ومرونتها واتساعها .

ان اللغة التي نطق بها الانسان لم تصدر كلها دفعة واحدة بل حدث ذلك على مراحل ، كما أن حدوث هذه المراحل وحدث الدواعي الى النطق بالفاظها كان يخضع لعوامل البيئة وظروف الطبيعة واختلاف الحدثان ، مما جعل كل لسان يتأقلم بالموطن الذي هو أسير لديه حتى أصبحنا نرى تعدد الألسنة واختلاف الالحن المتبعة في قيثارة كل قطر من الاقطار ؛ حتى ذهب بعضهم الى أن التعبير عن المسميات الحسية ، وعن الهياكل الطبيعية التي تقع عليها الحواس هو سابق للتعبير الذي يتعلق بالمفاهيم والمعاني المجردة .

جاء في كتاب فقه اللغة وخصائص العربية : « ونقل عن ابن جني أن بعضهم

(١) ج ١ من تفسيره : الجامع لاحكام القرآن - ص (٢٨٢) .

(٢) ينبغي أن يعلم أنه لا يقصد من التأثير هنا التأثير المصطلح عليه عند علماء الكلام ، فالأثر في الأشياء باطلاق انما هو الله وحده ، وهذا لا بحث لنا فيه ، لكن بحثنا يتعلق باقتران قدرة الانسان الحادثة للشيء الذي برز الى حيز الوجود - وهو هنا تواضع الناس على اللغة - بنتيجة هذا الاقتران من غير تأثير فيه على سبيل الحقيقة ، وبذلك يتحرر محل النزاع .

ذهب الى ان أصل اللغات كلها انما هو من الاصوات كدوي الريح وحنين الرعد وخزير الماء .. الى أن يقول : وعقب ابن جني على هذا الكلام بقوله : وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل «(١)» .

أقول : ولعل هذه المرحلة أيضا سابقة للمعاني المنوطة بتعبيرات مجازية يحتاج الفكر أن يضرب أخماسه بأسداسه في العنت والكد حيناً والتفكير السريع حيناً آخر حتى يصل الى المعنى المراد من اللفظة الموضوعه ، هذه القضية تقال في أصل نشوء اللغة لدى الشعوب البدائية .

لكن اللغة لا تستمر على نسق واحد طيلة الأزمان ، اذ ليس من المعقول أن تضرب على وتر متفق دون أن يحدث فيها أي تغيير ، والظروف التي تكتنفها هي بتجدد واستمرار ، فهي إما أن تبقى على أساليبها القديمة الموروثة يتلقفها الأبناء عن الآباء دون تغيير ما - وهذا فرض طبعاً - فتصبح عاجزة عن أداء المعاني الجديدة المنبثقة من تجدد الحوادث ، وبذلك يحق لها الاندثار والموت أو الذوبان في لغة أخرى أقوى منها ، تتكلم بها الشعوب القاهرة الفاتحة ذات الحضارة والازدهار .. وأما أن تتجدد أساليبها - ولو بصورة بطيئة لا يستشعرها الناس - . مع تغير الظروف وتطور الاحداث ، فتملك بذلك طاقة لا تنفذ ، ألا وهي طاقة التأقلم والتطور مهما اختلفت التيارات ، فتكتسب بذلك صفة الديمومة .

ان مثلاً يسيراً نضربه في هذا المجال يوضح لنا كثيراً من أبعاد القضية المطروحة : ذلك هو وضع اللسان العربي في أزمان ما قبل الاسلام !

لم يكن العرب في الماضي - أي في العصر الجاهلي - يتكلمون لغة واحدة متفقة في جميع محتوياتها لدى القبائل في شتى أقسام الجزيرة ؛ بل ان هناك لهجات كثيرة رصدتها الذين يعينون بمسائل اللغة (٢) وسجلوها في كتبهم حتى وصلت اليها بأسماء قبائلها التي كانت تتخذها أداة للتعبير لديها .. حتى نزل القرآن ببعضها ، هذا هو عمر رضي الله عنه - وهو العربي القرشي - يقف متسائلاً حائراً عن معنى قول الله عز وجل من سورة النحل : « أو يأخذهم على تخوف ؛ ان ربكم لرؤوف رحيم » . ويقول : ما معنى (التخوف) حتى قام شيخ من هذيل كان بحضرته ، فقال : « هي لغتنا يا أمير المؤمنين ، التخوف التنقص ، فخرج رجل ، فقال : يا فلان ما فعل دينك ؟ قال : تخوفته ، أي تنقصته ؛ فرجع فأخبر عمر ، فقال عمر : أتعرف العرب ذلك في أشعارهم ؟

(١) فقه اللغة وخصائص العربية للأستاذ محمد المبارك - ص ١٨٩

(٢) اللهم إلا اللغة الادبية التي درجت عليها قصائد الشعراء وجرى التواضع عليها من جراء اختلاطهم ببعضهم ببعض وعلى الاخص في الاسواق الكبرى كسوق عكاظ وذو الحجاز وذو مجنة .

قال : نعم ؛ قال شاعرنا أبو كبير الهذلي يصف ناقة تنقُص السير سنامها بعد تمكه (١) واكتنازه :

تخوف الرّحلُ منها تامِكاً قَرِداً
كما تخوف عُودُ النَّبْعة السفنُ (٢) (٣)

حينئذ سكنت نفس عمر ؛ ويؤيد هذا المعنى للكلمة ذاتها ما قاله الهيثم بن عدي : « التخوف (بالفاء) التنقص ، لغة لأزد شنوءة ، وأنشد :

تخوف غَدَرهم مَالِي وأَهْدَى سِلَاسِلِ فِي الحُلُوق لها صليل (٤) »
وجاء في التنزيل قول الله تعالى : « واغضض من صوتك » بالفك بينما كانت تميم تنطق بالإدغام ، وعليه قول جرير — وهو تميمي —

فغض الطرف ، إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

وجاء أيضاً : « ومن يَحْلِلْ عليه غضبي فقد هوى » وميم تقول : ومن يُجِلْ ، وجاء أيضاً : « إن تمسّكم حسنة » « ولا تمنن تستكثر » وميم تدغم في كل (٥) .

ومن اختلاف اللهجات أيضاً أن قبيلة طيء تعبر عن الاسم الموصول (الذي) بقولها (ذو) وعليه قول قائلهم :

وبئري ذو حفرت وذو طويت

وحكي الفراء أنه سمع بعض السّؤال يقول في المسجد الجامع : « بالفضل

(١) أي طال وارتفع

(٢) السفن والمستفن ما ينجر به الخشب . (٣) القرطبي ج ١٠ ص ١١٠ من قول سعيد بن

المسيب . (٤) المرجع نفسه (٥) دراسات في فقه

اللغة — الدكتور مبجي الصالح : ص ٨١

ذو فضلکم الله به ، والكرامة ذاتُ أكرمکم الله الله به» (١) ، ويأتي رجل من حمير الى النبي صلى الله عليه وسلم فيقول : هل من امبر امصيام في امسفر ؟ يريد : هل من البر الصيام في السفر ؟ فيجيبه عليه السلام بلفته : ليس من امبر امصيام في امسفر . ومن ذلك أيضا أن قضاة تجعل الياء المشددة جيما في كلامها وعليه قول القائل :

خالي عؤيف* وأبو علي* (أي علي) المطعمان اللحم بالعشج* (أي العشي)
وبالفداة فلق البرنج* (٢)

وقول بعض أهل اليمن :

لا همَّ إن كنت قبلت حَجَجَ* (أي حجتي ومثله ما جاء بعدها)
فلا يزال شاحج* يأتيك بج*
أقمَرُ نَهَات* يَنْزَي* وَفَرَج* (٣)

لكن بعض هذه اللهجات لانجد لها وجوداً في واقعنا ، أي : أنها أصبحت في طي الصحائف وبطون الكتب والموسوعات تقرأ في أندية العلم للبحث والنظر والمقارنة ، أما أن يكون لها وجود في لساننا المتداول فهذا مما لا نراه يقيناً ، بل ان لغة القرآن التي اعتمدت أفصح اللهجات العربية من قريش ، وغير قريش أحيانا هي السائدة المعبرة لدى جميع الناطقين بالضاد المعاصرين .

أريد أن أصل من وراء ضرب هذه الامثلة الى القول بأن اللغة في تجدد باستمرار ، وان كان هذا التجدد طفيفا في بعض الاحايين ، لكنه يظهر بصورة واضحة على الشاشة في الانقلابات الاجتماعية الكبرى التي تقوض أركان المجتمعات القديمة ، ويقوم على أنقاضها مجتمعات حديثة . . اللغة العربية بعد صدر الاسلام وفي عصور التمازج الثقافي مع الامم الاجنبية اكتسبت كثيراً من الكلمات الأعجمية الدخيلة الى المعجمات العربية ، واذا بها بعد حين تصبح لفظات عربية صقلها الطابع العربي بذوقه المناسب ، ثم اختارها المعجم لتكون مدرجة في كلماته العربية، وليعبر عنها المؤلف أثناء ورودها فيه ، بأنها فارسية معربة مثلا ، من ذلك : القلنسوة والطيلسان والمهرجان والبنفسج الخ . . والامثلة على ذلك كثيرة (٤) .

(١) انظر شذور الذهب بتعليق محي الدين عبد الحميد - ص ١٢٣ . (٢) دراسات في فقه اللغة للدكتور صبحي الصالح - ص (٦٨) (٣) شذا العرف ص ١٥١ . (٤) انظر في اللغة وخصائص العربية - ص ٢٩٥

والآن فلنقف عن كل ذلك الى لغتنا العامية الحاضرة ، والتي لا تفرق في أصل نشوئها وفي عوامل تطورها عن أي لغة من اللغات الأخرى بله اللغة العربية الفصحى التي نعتبرها لغتنا الجامعة الأم .

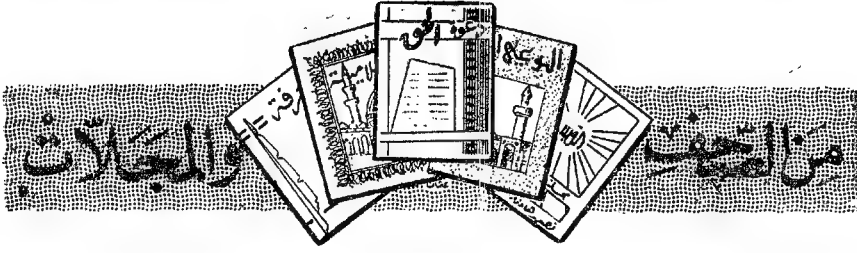
هل نستطيع أن نقول : إن لغتنا العامية التي يتكلم بها الشاميون والمصريون والعراقيون والحجازيون و .. والتي تختلف في لهجاتها بين كل بلد وآخر في منهج القول ولحن التعبير ؛ هل نستطيع أن نقول : انها نشأت بتوقيف من الله ، لا يد للإنسان فيه ؟ لاشك أن الظروف التي اكتنفت واقعنا من اختلاط الأعاجم واستراق للتعبير - قل - أو كثر - منهم ، ثم بعد منا عن حوض اللسان العربي الصافي الذي كانت تزيله كثران الفياقي ، والذي كانت تصقله أشعة الشمس اللاذعة في الصحراء ، .. كل هذا البعد هو الذي جعل لغتنا العامية كما هي عليه الآن .

لكن تطوراً جديداً نشأ في الآونة الأخيرة !

ان نظرة نلقها على الاوضاع اللغوية الراهنة ، أي في مدى الخمسين عاما المنصرمة ، ماذا نلاحظ من التطورات التعبيرية بين الفئات المختلفة في البيئة الواحدة ؟ نجد لحنين من القول ، الاول : لحن الفئات المثقفة ، والثاني : لحن الفئات الأخرى التي تغايرها .

ان لهجة التعبير لدى الفئات ذات اللحن الثاني الآيلة للانقراض ، التي ما تزال تمثل العهد اللغوي الذي مضى قبل خمسين عاما كما هي الحال في البيئات الريفية ، وبعض الاحياء المتطرفة من المبدن حيث لم تزاو المعترك الثقافي ، أقول : ان لهجات هؤلاء تختلف في بعض احائها عن لهجة التعبير التي ينطق بها المثقفون الذين تحوّر لسانهم على وتر كاد أن يكون متفقاً - إلا في بعض اللهجات المحلية الطاغية - مهما اختلفت المناطق ، وفي سائر الأنحاء ، بفعل الثقافة الواحدة التي ارتضعوها من المدارس ، وبفضل اطلاعهم على الصحف اليومية والمؤلفات الجديدة وبفضل سماعتهم لصوت المذياع الذي يتفق في لحنه وطريقته وهالته التعبيرية وسائر الاذاعات المتحدثة باللغة العربية .

فهل يعقل بعد هذا أن يقال : ان التأثير الديني - (هذا العموم مقصود به الخصوص) - يضع الحصباء في العيون ألا تنظر النظر السديد في أصل نشأة اللغة ، وانها غير خاضعة للتواضع ، والفعل الانتقائي من قبل الناطقين بها ، وأن الكل توقيف من الله ، باستدلال يحمل الهنات في طياته من الآية الكريمة : « وعلم آدم الاسماء كلها .. ! » ..



الارض المحاربة

تحت هذا العنوان كتب اللواء الركن محمود شيث خطاب في مجلة « الوعي الاسلامي » الكويتية يقول :

« الذي أعلمه علم اليقين ، ولا أشك فيه أبدا ، هو ان الملوث جنسيا او الملوث جيبيا ، لا يمكن ان يقاتل في الحرب كما يقاتل الرجال .

وأريد بالملوث جنسيا ، الذي تردى في مهاوي الرذيلة فسقا وفجورا ، يقضي أيامه مفكرا في البغايا ، ويقضي ليلاته في معاشرتهن ، ويكشف ذيله على ما حرم الله ، ويطمع في أعراض الناس .

واقصد بالملوث جيبيا ، الذي دخل جيبه المال الحرام رشوة من الراشين أو غشا في البيع والشراء أو جمعا للمال من طرق غير مشروعة .

وأقرر هذا المبدأ اعتمادا على تجربتي العملية في الحروب ، واستنادا الى دراساتي لتاريخ الفتح الاسلامي العظيم ، والى ما قرره القادة العظام الاقدمون والمحدثون على حد سواء .

وأرجو الا يقول قائل : كيف اذن ينتصر الغربيون - مثلاً - في الحروب ،
وهم ملوثون جنسيا ؟

ان الذين يزعمون بأن كل الاجانب ملوثون جنسيا مخطئون كل الخطأ ، او
واهمون كل الوهم او مفرر بهم كل التغيرير ..

ولقد عشت ردحا طويلا في بلد اجنبي من البلاد الاوربية ، فوجدت ان فيهم
البر والفاسق ، ولكن مصدر قوتهم يكمن بالتمسكين بالفضيلة قولا وعملا ،
وما اكثرهم هناك .

ومشكلة اكثر الذين يفدون الى الغرب من الشرقيين ، هي انهم ينحدرون
بأنفسهم الى مستوى الخادماات وأكثرهن منحرفات اخلاقيا ، ولا يرتفعون
بأنفسهم الى مستوى ذوي الشرف الرفيع المتمسكين بدينهم وتقاليدهم العريقة
ومثلهم العليا .

وحين يعود هؤلاء الشريقون الى أوطانهم ، يظنون خطأ ان الشعب الاجنبي
الذي عاشوا في بلدة وقتا من الزمن هو بمستوى اولئك الخادماات اللواتي
عاشروهن وحدهن من بين ذلك الشعب الاجنبي .

وليس الذنب ذنب الشعب الاجنبي الذي يحكمون عليه كله بما فيه من خير
وشر بجزئه بما فيه من شر ، انما الذنب ذنب اولئك الشرقيين الذين استبدلوا
الذي هو ادنى بالذي هو خير ، فاختروا الرذيلة دون الفضيلة ، وآثروا الظلام
على النور .

والقلائل من الشرقيين الذين صانوا انفسهم من الدنس ، وحاسبوا أنفسهم
مرتين قبل ان يقدموا على ما يعيب : مرة لالتزامهم بالدين الحنيف ، ومرة لانهم
غرباء في محيط يحصى عليهم كل صغيرة وكبيرة يقترفونها .

هؤلاء القلائل من الشرقيين ، رأوا عجبا من تمسك الاجانب الغربيين في
بلادهم بأهداب الشرف والفضيلة ، وابتعادهم عن كل ما يخل بالصدق والامانة ،
وتجنبهم كل ما يخل بالمروءة والخلق الرفيع .

أذكر ان جماعة من العراقيين كانوا يعيشون مع عائلة أجنبية في دارها ، وكانت تلك العائلة مؤلفة من زوج وزوجة وأمها ، وكان لديهم ثلاثة اولاد وبنت واحدة ، وكان أكبر الاطفال عمره ثماني سنوات .

كنت مع العراقيين الذين يسكنون هذه العائلة الاجنبية في البلد الاجنبي ، حين كنت استكمل دراستي العسكرية في دورة الضباط الاقدمين (الضباط العظام كما يطلق عليهم في قسم من الجيوش العربية) .

كانت كل غرفة من غرف الدار ، فيها ما لا يقل عن ست صور مؤطرة باطارات فخمة للسيد المسيح عليه السلام وللعذراء وللقديسين .

وكانت تلك الصور موضوعة على الجدران ، بحيث تقح عين ساكن الغرفة في تلك الدار على احدى الصور في كل الاتجاهات .

وكان في كل غرفة مكتبة صغيرة كل ما فيها من كتب دينية : العهد القديم والعهد الجديد ، ومعجمات للكتاب المقدس ، ومؤلفات عن حياة السيد المسيح وعن مشاهير القديسين .

وكان والد الاطفال وأمهم وجدتهم يسحبون الاطفال سحباً صباح يوم الاحد من كل اسبوع الى الكنيسة ، وكانوا يلقون مواعظهم على أطفالهم صباح مساء بشكل منظم معقول ، يحثونهم بها على التمسك بالدين .

وقد تلقى العراقيون تعليمات محددة من مسؤولي السفارة العراقية ترشدتهم الى الطريق السوي في معاملة من يسكنونهم من الاجانب .

من تلك التعليمات عقد أواصر صداقة وطيدة بين العراقيين والاجانب ، وانتهاز فرص المناسبات الاجتماعية والدينية لتقديم هدايا رمزية لمن يشاطرونهم السكن .

وفي أحد الايام ذكرت الجدة وهي عجوز شمطاء ، ان أحد الاطفال واسمه (توم) سيحل عيد مولده السادس بعد أيام .

واقترح أحد العراقيين أن يدعو العائلة الأجنبية الى السينما على حسابه
تحتية لعيد ميلاد (توم) المرتقب .

واعترضت العجوز الشمطاء على هذه الدعوة قائلة : « يجب أن اذهب
معك الى السينما قبل يوم من موعد الدعوة ، حتى أتأكد بنفسى من أن الرواية
المعرضة خالية مما يضر بأخلاق الاطفال » .

وكنا في أحد الايام نتناول طعام الغداء على مائدة العائلة ، فتحدث أحد
العراقيين بحديث غير مهذب اعتبرته العائلة الأجنبية نابيا لا يليق بأن يقال
بحضور الاطفال .

ونهضت العجوز وهي تتمم بكلام خافت يدل على الاستنكار والاشمئزاز ،
وآوى كل ساكن في الدار الى غرفته الخاصة به بعد الغداء وآويت الى
غرفتي لاستجم بعض الوقت .

ولم أكد استقر على سريري ، حتى سمعت من يطرق باب غرفتي ،
فنهضت وفتحت الباب .

وكان على الباب أحد اصحابي ، فقال : « لقد رمى أهل الدار عفشي في
الشارع ، وأوصدوا باب غرفتي !! أترضى بذلك ؟؟ » .

ويومها قلت له : « اذا كنت على حق فكلنا معك ، واذا كانوا على حق ،
فأنت وحدك وعلى نفسها جنت براقش » .

وسمعت العجوز تحاورنا ، فجاءت الى تسعى . قالت : « انكم هنا لتأخذ
منكم المال حتى نربي به الاطفال تربية خاصة ، فلن نسمح لاحد ان يقول كلاما
يضر بأخلاقهم ! لقد قال صاحبك ما لا يجوز ولا ينبغي أن يقال على مسمع من
الاطفال ... انه قال : » .

وقلت لصاحبنا : « الحق مع العائلة ، والحق أحق ان يتبع فعليك
ان تجد لك سكنا جديدا تأوي اليه » .

وقد رأيت كثيرا من الشخصيات الرفيعة الأجنبية لا يدخلون ولا يعاقرون
الخمر ولا يرتادون الملاهي ولا يخلون بمتطلبات الشرف الرفيع ، وكنت أسمع
منهم تذكراً شديداً من تردي الخلق وانصراف بعض الناس عن سبيل الحق
والخير والرشاد .

المشير مونتكمري اشهر قادة الحلفاء في الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) ألف كتابا عنوانه : (السبيل الى القيادة) ، ردد فيه عشرات المرات ، ان من أهم عوامل نجاحه قائدا هو تمسكه بأهداب الدين .

ترى ! هل عزا قائد عربي أو مسلم سر نجاحه الى تمسكه بالدين الحنيف ؟ وماذا سيقال عنه اذا عزا سر نجاحه الى الدين ؟!

- ٣ -

المجتمع في الدول الاجنبية اذن هو قسمان : قسم متمسك بالفضيلة ، وقسم من أشياع الرذيلة .

فريق الفضيلة هو قوة المجتمع الاجنبي وهو قوة لكل مجتمع شرقي وغربي ، وفريق الرذيلة هو نقطة الضعف في المجتمع الاجنبي وفي كل مجتمع شرقي وغربي .

وكلما ازداد عدد المتمسكين بالفضيلة ، ازدادت قوة المجتمع وازداد تماسكه ، وارتفع شأن البلاد وأصبحت ذات أثر وتأثير في الاحداث العالمية من الناحيتين السياسية والحضارية .

وكلما ازداد عدد أصحاب الرذيلة ازداد ضعف المجتمع وازداد تفسخه ، وتضعف شأن البلاد ، وأصبحت تجرجر أذيال الخيبة سياسيا وحضاريا .

كتب أندريا موروا في كتاب : (أسباب انهيار فرنسا) في الحرب العالمية الثانية يقول : « من أهم أسباب انهيار فرنسا هو تفسخ الشعب الفرنسي ، نتيجة لانتشار الرذيلة بين افراده » .

وكان ما كتبه هذا الكاتب الفرنسي الكبير حقا لا مرأ فيه ، لذلك أراد الجنرال ديفول في أيام رئاسته للجمهورية الفرنسية حتى يوم استقالته من منصبه الرفيع يوم ٢٧ نيسان (أبريل) ١٩٦٩ ، ان يحارب الرذيلة في الشعب الفرنسي ، ويفرس الفضيلة فيه ، لانه كان واثقا بأن الفضيلة هي الاساس لاستعادة فرنسا مكانتها الدولية ، وهي التي تقودها الى النصر سياسية واقتصاديا وحضاريا وعسكريا ، وأن الرذيلة هي الاساس لانهيار فرنسا وقيادتها الى الهزيمة في كل المجالات .

وما يقال عن فرنسا ، يقال عن كل دولة قديمة أو حديثة .

والذين تتبعوا تاريخ الامم ، وتمعنوا النظر في أسباب بزوغ نجمها سياسيا وحضاريا واسباب أفول نجمها سياسيا وحضاريا أيضا ، يجدون أن الامم ارتفعت

دائما بأخلاقها المحاربة ، وانهارت لتفسخ شعبها أخلاقيا ، وميله الى الترف ومتاع الدنيا الذي هو متاع الغرور .

ما هي أسباب انهيار اليونان ؟ ما أسباب انهيار الرومان ؟ ما أسباب انهيار البابليين والآشوريين في العراق ؟ وانهيار الفراعنة في مصر ؟ ألم انهيار العباسيين في العراق ومصر ؟ ما أسباب انهيار دولة العرب في الاندلس ؟ ان دراسة قصة الحضارة في العالم ، تعطي الجواب السليم !

- ٤ -

لقد أدرك السلف الصالح أهمية الخلق الكريم في احراز النصر . ولو أردت استعراض اقوال السلف الصالح ، وعلى رأسهم الرسول القائد عليه افضل الصلاة والسلام ، لبعد الشوط ، ولطال المدى .

وما أعظم قولة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في رسالة بعث بها الى قائد من قادة الفتح الاسلامي العظيم : « أخوف ما أخاف عليكم ذنوبكم » .

لقد كان لا يخشى على الجيوش الاسلامية الزاحفة المنتصرة جيوش الامبراطوريتين الساسانية والرومية ، ولكن كان يخشى عليها ما يقترفه المجاهدون من ذنوب ، لانه كان يعلم حق العلم بأن المسلمين لا ينتصرون بعدد ولا عدد ، فأعداؤهم أكثر منهم عددا وعددا ، ولكنهم ينتصرون بتمسكهم الشديد بمثلهم العليا التي جاء بها الدين الحنيف .

ومن أقوال عمر بن الخطاب حاثا على الخشونة محذرا من الترف « اخشوا شئنا ، فان الترف يزيل النعم » .

ولم يكد الفاتحون يعودون ليستقروا في حواضر المسلمين الجديدة والقديمة وقد أصبحوا أغنياء بعد فقر ، الا وتطاول أكثرهم في البنيان ، ومالوا الى نعومة العيش وقدم الكوفة احد الفرس من خراسان ، وكان قد شهد بلده يسلم للفتاحين المسلمين ورأى الرجل الفارسي أبناء أولئك الفاتحين في حياة ناعمة رغيدة : تزوجوا الجواري ، واتخذوا القصور ، وتفاخروا بالمتاع ، فقال متعجبا مستغربا ، « أنتم فتحتم بلدي » .

كلا ! ان الذين فتحوا بلده ، كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ، وبلا اسحار هم يستغفرون ، وفي اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم .

وخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، فبدأ على

يديهم انهيار دولة الاسلام ، والله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

وبتقادم الزمن ، وتعاقب الايام والشهور والاعوام ، ازدادت عوامل التفسخ في المجتمع العربي والاسلامي : شاع الجهل ، وساد الظلم ، وبرزت الانانية والفردية ، وضعف الجانب الروحي ، وتضخم الجانب المادي ، ونشبت الضغائن والاحقاد ، وتعدد الحكام ، وكثرت الطوائف ، وانتشرت الخرافات ، واستبدل الفرد والمجتمع الذي يفيد به الذي يضره ، وبدل الناس ما بأنفسهم من خير وتعاون وانسجام .

وجاء الاستعمار فأضاف صفئا على ابالة : فرق ليسود ، وجزا ليحكم ، وشجع التفسخ الخلقي ، وتظاهر بهذا التفسخ ليقتبس العبيد أخلاق السادة ، وأعطى المتفسخين ومنع الملتزمين ، وقدم الأمعات وأخر الثقافات واستصفى الجبناء ، واستبعد الأقوياء ، وصافى الجواسيس وجافى الشرفاء ، وقرب الخونة وأبعد الوطنيين ، واحتضن المارقين ، ولفظ المتدينين فكان لخططه هذه أثر في نفوس العرب والمسلمين !

وكثيرا ما نسمح عن أثر الاستعمار على المستعمرين كلاما مبهما يعم ولا يخص ان أثر الاستعمار هو في سلب المثل العليا من المستعمرين ، حتى يستطيع ان يحكم وهي قرير البال ، لان اصحاب المثل العليا اذا غلبوا ساعة ، فلن يغلبوا الى قيام الساعة !

قدم الجنرال غورو لاحتلال لبنان وسورية عام ١٩٢٠ ، وجاء معه جيش لجب ومع ذلك الجيش باخرة مليئة بالبغايا ، فقبل له : « واجب الجيش المقاتل مفهوم ، فما فائدة الجيش الآخر ؟ » ، فقال : « ان اثر هذا الجيش الاخر اعظم من الجيش المقاتل »

وصدق غورو ، وكان صريحا بجوابه ...

لقد عمل المستعمر في ابامه على اشاعة الفاحشة والتهتك في كل بلد حل فيه ، ونجح في مهمته أعظم النجاح .

ولست اليوم المستعمر ، ولكنني اليوم من يقبل ذلك من العرب والمسلمين ومن يقتفي آثاره في ترك التفسخ والانحلال يرعيان كالفار نفوس الاجيال .

والا فما أهداف اشاعة الفحشاء في العرب والمسلمين ؟

الخمير

ترجمة ومراجعة الربيع

عن صحيفة أوربانت بوست

الخمير هي تلك السوائل المعروفة المعدة بطريق تخمر بعض الحبوب أو الفواكه وتحول النشاء أو السكر التي تحتويه الى نحول بوساطة بعض كائنات حية لها قدة على افراز مواد خاصة يعد وجودها ضروريا في عملية التخمير . وقد سميت خمراً لأنها تخمر العقل أو لأنها تركت حتى أدركت واختمرت أو لأنها تخامر العقل أي تخالطه .

وتوجد الخمور في الأسواق بأسماء مختلفة وقد تقسم الى أقسام خاصة باعتبار ما تحويه من النسب المئوية من الكحول فهناك مثلاً البراندي والوسكي والروم والليكيرو وغيرها تبلغ نسبة الكحول فيها من ٤٠ الى ٦٠ في المائة وتبلغ النسبة في الجن والهولانديس والجنيفا من ٣٣ الى ٤٠ في المائة وتحتوي بعض الأصناف الأخرى مثل البورت والشري والماديرا على ١٥ - ٢٥ في المائة وتحتوي الخمور الخفيفة مثل الكلارث والهوك والشمبانيا والبرجاندي على ١٠ - ١٥ في المائة وأنواع البيرة الخفيفة تحتوي على ٢ - ٩ في المائة مثل الإيل والبورتر والاستوت والميونخ وغيرها .

ما ينسب الى الخمير من المنافع :

١ - هل الخمير غذاء ؟ هنالك بعض منافع صحية تنسب للخمير فيتوهم بعضهم أن الخمير غذاء والخمر بنفسها لا يمكن أن تغذي الجسم مطلقاً إذ أن

الكحول يمتص من المعدة والامعاء بمجرد وصوله اليها ثم يصل الى الدورة الدموية ثم الى الجهاز العصبي فيذوب في الخلايا العصبية ويجعلها اكثر سيولة ويقلل نشاطها حتى يشلها .

٢ - هل تنبه الخمر الهضم ؟ والخمر لا تنبه الهضم كما يظن كثير من الجهلاء بل تهيج الخمر الفشاء المخاطي للمعدة وتغير طبيعة العصير المعدي وتذكر كتب علم المادة الطبية في تأثير الكحول على المعدة أن الكحول لا يسبب افراز العصارات المعوية النشطة الفعالة ولكنه يساعد على افراز كمية أكبر قليلا من الحامض لا غير ويشل الافراز المعدي ويحدث ضمورا في الغدد المعدية والخمر يؤثر على الزلايات في المعدة كاللحوم فيجمدها وكذلك يفعل مع البسبين في العصار المعدية . وتنصح كتب علم المادة الطبية بل تأمر بعدم استعمال الخمر في حالات التهاب المعدة والخمر بجانب ذلك يبلغ تأثيرها الى مدى يجف معه الفم وتعوق افراز اللعاب وهكذا ترى كيف تحدث الخمر سوء الهضم وتسبب القيء وتصيب المعدة بالتمدد وتغير طعم الفم الى غير ذلك مما تجده في كتب الطب .

٣ - هل تدفئ الخمر وتزيل البرد ؟ ويحسب السكارى وهم مسرح ألعاب الخمر وميدان نكباته أن الخمر تدفئ الجسم وتزيل البرد فهل تفعل الخمر ذلك طبيا ؟ لقد ذكرت جميع كتب علم المادة الطبية أن الكحول إذا وضع على جلد المرء يحدث فيه انخفاضا كبيرا في درجة الحرارة وذلك لما للكحول من سرعة التبخر الذي يحتاج الى حرارة في هذه العملية الطبيعية فيأخذ هذه الحرارة من الجسم فيقلل درجة حرارته . وأما استعمال الخمر من الداخل فالكحول بحسب ما تذكر كتب الطب يحدث انخفاضا في درجة الحرارة وهذا الانخفاض ناشئ من تمدد الاوعية الدموية التي على سطح الجسم مما يدعو الى تسرب الحرارة الى خارج الجسم فأى وهم يعيش به شاربوا الخمر وأى جهل يهيمنون في واديه .

٤ - هل تزيد الخمر الدم ؟ وهل لشاربي الخمر وأمثالهم من الجهلاء دليل على فائدة الخمر للصحة إلا ما يشاهدونه من تورد خدود شاربي الخمر واحمرارها وامتلائها بالدم ؟ ألا فليعلم هؤلاء الجهلاء أن احتقان وجوههم ماهو

إلا مرض وحادث غير طبيعي في بدنهم إذ أن الخمر يحدث تمرداً كبيراً في الأوعية الدموية التي على سطح الجسم فيندفع إليها الدم ويقل الدم الموجود في الأوعية التي في الداخل بانكماشها وهكذا تختل الدورة الدموية بجانب المصائب الأخرى التي تحدثها هذه المادة السامة مما سيأتي بيانه .

تحكم الخمر في شاربها :

وللخمر فعلان خطران تستولي بهما على عقول الشاربين فتجعلها تحت سلطانها وتقودها الى العته وتحكم في أجسام المساكين فتضنيها وتذيقها ريب المنون .

إن شارب القليل من الخمر لا يلبث أن يكون رغم أنفه مستعبداً لها مما قد يجعله بعد ذلك عاجزاً عن الهروب مما وقع فيه من الرق والأسر وهذه الخاصية الطبيعية الأولى للخمر تصيب الشاربين مطلقاً . والخاصية الثانية للخمر يسميها الطب بالمقاومة أو الاحتمال وذلك من تكفيه كمية محدودة من الخمر للمرور بالدور الأول مثلاً يصبح وقد صارت لجسمه قوة مقاومة تحتاج لكمية أكبر من الكمية الأولى ايمر بنفس الدور وهكذا حتى تصير الكمية التي تكفي لقتل نفس لا تحدث عنده إلا أعراض الفترة الأولى ويعم أثره حتى يصيب أهم الأعضاء الحيوية .

تأثير الخمر على الأعصاب :

وللخمر تأثير على المراكز العصبية حيث تنبها في أول الأمر ولكن لا يلبث الحال أن ينعكس فيحدث الخمول في هذه الأعصاب ومن ثم يتسبب في الموت الذي يكون نتيجة مباشرة لايقاف عمل المراكز الحيوية في الجسم .

هذا الحال هو مانشاهده في شارب الخمر فتراه أولاً قد انعدمت عنده فضيلة المروءة والحياة وينطق لسانه بألفاظ لو كان حافظاً لقواه العقلية بما فاه بها ، وتصدر عنه أفعال وحركات تضحك الثكلى وشر البلية ما يضحك .

هذه الفترة هي التي تجعل من الانسان حيواناً مهيناً مستهتراً بالكرامة والدين معرضاً للوقوع في حبائل الرذيلة والفساد وهي قصيرة الأمد لا تلبث فترة الخمول أن تأتي عليها فترى الشارب وقد اختلت أعمال مخه وفقد احساسه وتجسمت فيه البلاهة بأقبح أشكالها وسرعان ما يدخل السكران في الفترة الثالثة وعندها يكون السم قد عمل عمله في المراكز العصبية الحيوية في الجسم فيعطل عملها وتحدث الوفاة وقد يكون سبب الموت تعطيل الخمر لعمل مراكز التنفس والدورة الدموية جميعاً .

استغناء الطب عنها كدواء :

وإذا كانت هنالك بعض حالات مرضية نادرة تنفع فيها الخمر فعلى الطبيب أن يستعيز عنها بالفول النقي ممزوجاً ببعض مواد أخرى إذا لزم الحال ، إلا أن الأحوال التي يستعمل فيها الكحول نفسه تعد نادرة كما تقر كتب الطب وعلى كل حال لا يستعمل الكحول طبياً لتقوية الباه أو للتدفئة أو للأغراض التي يشرب من أجلها السكيرون الخمور .

الجنون الكحولي :

هو الاختلاط العقلي الناشئ عن شرب الخمور وهو حالة تصل بالانسان العاقل الى درجة أخط من الحيوان غير العاقل أو تصل به الى درجة الجنون الخطر مما قد يسلبه صفة الإنسانية والعقل ويرجع ذلك الى تأثير الخمر على المخ تأثيراً يفقده وظيفته ولا تكون النتيجة بعد ذلك إلا الاختلاط العقلي أو الموت .

ولكي تأخذ فكرة عن مقدار تغفل سم الخمر في الأعصاب ومقدار الزمن الذي تبقى فيه الأعضاء تحت تأثير فعل الخمر الحلامي، أذكر ما ذكره مارينسكو وبوليان في الجريدة الطبية البريطانية الصادرة في ١١ ايلول ١٩٢٠ من أنهما وجدا الكحول في سائل النخاع الشوكي بعد تجرعه بثمانية أيام ولقد وجد كذلك أنه يمكن فصل الكحول بعد تعفن الجثة وهو يدل على عظيم تغفله في الجسم .

هذا المرض يؤثر في علم المرء وادراكه ويؤثر في شعوره واحساسه ويؤثر

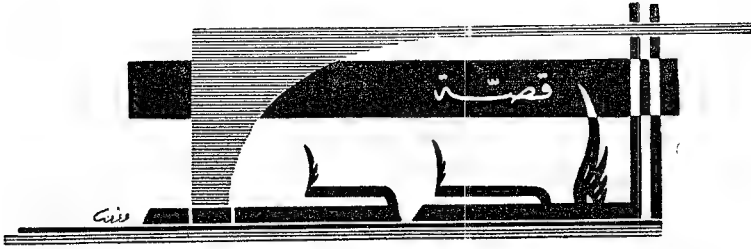
في عمله : أما تأثيره في علمه فهو عدم ادراك حقيقة الشيء مع وجوده أو كتخيل أشخاص غير موجودين أو سماع أصوات غير موجودة وهو ما يؤدي الى فقد الذاكرة كما يحصل في الهستريا .

إن مجرد اضطراب الذاكرة يقلل من قيمة القوى العقلية ولذلك يمنع الدين الاسلامي الأخذ بشهادة شاربي الخمر في المحاكم لاختلال أعصابهم وارتباكهم واضطراب ذاكرتهم وشذوذ أفكارهم .

هذه إشارة لما يصيب إدراك الشخص وعلمه أما فيما يتعلق بشعوره وعمله فالخمر تؤثر في شاريها تأثيراً قد يدعو إلى الانتحار أو القتل أو ارتكاب جرائم جنائية مختلفة كهتك العرض وغيرها من الجنايات التي تشغل المحاكم دائماً .

وهناك نوع آخر من أنواع الخلل الكحولي يصحبه عادة التهاب عصبي ويسمى مرض (كورساكو) ويمتاز هذا المرض بفقد الذاكرة فيما يتعلق بالحوادث القريبة واضطراب فكري فيتخيل وجوده في عالم آخر لا حقيقة له وفي جميع الأحوال ينتهي أمر الشارب (بدمتيا كحولية) أي عتاهة وبلاهة فيفقد ذاكرته ويتصور تصورات لا حقيقة لها بجانب ما يصاب به من شتى الامراض العصبية الأخرى .

والجنون الكحولي المزمع هو السبب المباشر لجميع الجرائم الجنسية المتسببة عن الفيرة وهذه الجرائم تكون في الغالب قتل الأبرياء وتنشأ الحالة بأنه يحسب المعتاد على الخمر أن امرأته تحب سواه وتنشأ في فكرة أشياء خيالية تثبت لديه ما يجول بخاطره من الأوهام ويذهب الى امرأته ليرغمها على الاعتراف باستعمال القوة وبعد مشاجرات وتخيلات ينتهي الأمر بقتل الزوجة دون العشيق وقد يقتل هذا المعتوه أولاده انتقاماً إذ يخيل اليه أنهم ليسوا بنيه بل جاءت بهم امرأته من عشيقها الموهوم .



طريق آخر

للاستاذ محمود مفلح

ما أجمل بيروت ! وأروعها وأعظم
فتنتها! أما رأيها .. انها بلد الجمال
والبهاء والسحر ...

وغمغم رمزي قليلا وكأنه يستنجد
بذاكرته الفضة لاستحضار صور
أكثر عن لبنان وتابع : أتمنى أن أكون
الآن في لبنان هناك ... هناك على
الشاطئ اللأزوردي الفسيح أغازل
الموج وأتنسم الهواء العليل ... غير
أنني لا أكذبك يا أستاذ فقد كنت
اتضايق منها أحيانا لأنها كغيرها تظلم
العامل الفقير وتأكل حق الأجير وتبتلع
اتعاب الناس البسطاء ... هل تعلم
أنني كنت أعمل سحابة النهار كله
دون أن أنال أجرا كافيا يناسب

كان ينظر الي بعينين واهينيين
متعبتين ، تتراقص فيها أشباح
المرارة والعوز والحرمان ، وترسم
عليهما صورة الماضي الشقي
التعيس .

شعره الأسود يتهدل على جبينه
الاسمر العريض بغير انتظام ، وهو
يفطي الجزء الاعلى من أذنيه .. كان
يتحدث إلي بطلاقة وجراءة واندفاع ..
عن ماضيه .. وحاضره ..
ومستقبله .

وبعد أن غادرت المدرسة ين
توجهت يا رمزي ؟

توجهت ... توجهت الى لبنان
يا أستاذ ... بل الى بيروت ! آه

أتعابي ... صدقني يا « أستاذ »
أنني كنت أنام بعض الليالي على
الرصيف البارد مع السكران
والمنبولين والمتسولين ... وانطرح
امام الحوانيت دون ان يلقي احد من
المارة إلي بالا وكأنني حجر من الحجارة
او كلب من الكلاب .

— لماذا لا تذهب الى بيت اخيك؟
ليس أخوك عادل في بيروت ايضا؟
— اخي!! ليس لي اخوه، فأنا
لا أحب أهلي كلهم ! أليسوا هم
الذين اخرجوني من المدرسة وتركوني
مشردا ضائعا منبوذا اعيش مع
المشردين والمنبوذين ... لقد
لفظتني الحياة حتى أصبحت في
شوارع بيروت ابحت عن لقمة
العيش فلا اجدها الا مغموسة بالدم
والظلم ، وما اكثر الليالي التي كنت
انام فيها خاوي المعدة خائر القوى
منهوك العزيمة . .

كان رمزي في تلك اللحظة يمسك
كتابا يقلب صفحاته وكأنه يستوحي
من سطره كلاما جديدا يريد أن
يقوله .

— هل تعلم يا أستاذ انني هربت
الى دمشق مرتين ولم استطع متابعة
السفر الى بلدي « القامشلي » لان
نقودي القليلة كانت تنفد في منتصف

الطريق فاضطر الى التوقف عن
السفر .

— ماذا كنت تصنع حينذاك؟؟

— لا شيء يا « أستاذ » غير أنني
كنت اقضي نهاري متجولا في شوارع
دمشق ابحت فيها عن اقماع
السجائر . وعندما يهبط الليل
الجا الى احدى العمارات التي
ما زالت في طور البناء ، فألمس
زاوية انام فيها ريثما تبزغ الشمس
بعد ان ادخن كل ما جمعت في
النهار .

ونظير رمزي الى الارض نظرة
عميقة موجعة، وكأنه ندم على ما قال
وعض على شفته السفلى وهو
يخالسني نظرات سريعة حادة ..
ولم ينبس بكلمة واحدة وقلت :

— ألا تخاف من النوم وحيدا
يا رمزي وانت ما زلت صغيرا في
السن ولم تتجاوز الحادية عشرة من
العمر ؟

وهنا رفع نظره إلي وكأنني
مسست في هذا السؤال كرامته
او رجولته واثرت شيئا كامنا في
اعماقه ... وقال بلهجة متحدية
عنيفة .

أنا .. كيف أخاف !! وممن
أخاف !! .. أمثلي يخاف يا أستاذ ؟

وكيف استطعت الخروج منها وانت
لا تملك أجرة السفر الى بلدتك
« القامشلي » ؟؟

— الامر بسيط جدا يا «أستاذ»

.. بقيت في دمشق أياما قليلة لم
أجد خلالها عملا بقيت أعيش على
فضلات الطعام الذي تقذفه المطاعم
آخر الليل في علب القاذورات ،
وأعقاب السجائر الملقاة في الطرقات .
وأجلس الحراس في الليل وأنام في
العمارات التي تبنى ... الى أن
بزغت شمس ذلك اليوم الذي
صممت فيه ان أعود الى بيروت مهما
كلفني الأمر سرت على الاقدام
مسافة طويلة حتى أصبحت خارج
المدينة ... كنت أرفع يدي لكل
سيارة تمر في الطريق ... وكانت
جميع السيارات لا تأبه بي وكأن
السائقين لا يرونني على قارعة
الطريق حتى بعث الله سائقا
« ابن حلال » يقود سيارة شحن
كبيرة ، توقف عندما رأيته ،
وجلست بجانبه وانطلقت السيارة
الكبيرة في طريق بيروت .. وقبل
مخفر الحدود بقليل .. نزلت
وتابعت المسير مشيا على الاقدام
.... ولم أوفق في اجتياز الحدود ،
إذ قبض علي ... وهنا كانت

لأن كنت أخاف لما ذهبت الى بيروت
وحيدا ولما اجتزت الحدود والظلمة
داجية والمكان مقفر ..

كيف أخاف وسكيني في جيبي
جاهزة لكل أمر طارئ ...

وهنا تنهد رمزي تنهدا عميقا
حادا وهو يتمتم : « سلمت : أيتها
السكين ... ما أروعك عندما غاص
نصلك في صدر ذلك الوغد السذي
أراد إهانتني في « ساحة البرج » ...
وظن نفسه قادرا على إذلالني وكسر
شوكتي ...

وانقبض وجهه وصك أسنانه
وراح يهز قبضة يده وكأنه يرى
الخصم أمامه ويهم بالانقضاض
عليه .

— متى كان ذلك يارمزي ؟؟

— قبل عشرة أيام يا أستاذ ،

وأردف : دعنا من تلك الحادثة على
كل حال . انها أصبحت في حساب
الزمان وضمير الايام ولا حاجة بنا
للرجوع اليها لانها ذات جذور عميقة
في حياتي وأيامي المنصرمة التافهة .

كما تشاء يا رمزي ... دعنا من
تلك الحادثة البغيضة ان كانت
تزعجك أو تضايقك

— وأخيرا ماذا صنعت في دمشق

المصيبة فأنا لا اجمل تصريحاً
بالسفر الى بيروت ، دخلت غرفة
صغيرة معتمه تنفر منها اشعة
الشمس ذات رائحة كريهة خانقة
... كان الشرطي يصفعني صفعات
متلاحقة أحسّ على أثرها أنني فقدت
صوابي ... انهم لا يعرفون الرحمة
يا أستاذ ... كل ذلك لأنني
لا أحمل في جيبى ورقة مختومة
تمنحني حق الدخول الى قطر
عربي شقيق .

وتوقف رمزي عن الحديث قليلاً
ثم استرد نفساً متعباً منهوكا وقال :
« لا أريد أن أطيل عليك الحديث
فلقد وصلت الى بيروت وبدأت
أبحث عن عمل جديد .. لأنني
بحاجة الى نقود بحاجة الى نقود
... غير أنني أقسم لك يا «أستاذ»
أن حب المدرسة يخالط قلبي
وصورتها لا تفارق بصري ... آه
... وزفر زفرة تحمل في طياتها
كل حقه على الحياة وسخطه على
الناس واستأنف كلامه بعصبية
وانفعال

— ألم تذكر أنني كنت من أوائل
الطلاب في الصف الرابع وكنت أؤدي
واجباتي المدرسية دون اهمال أو
تقصير ماسعيد ؟؟ وما خالد

الى جانبي ؟؟ هاهم الآن طلاب في
المرحلة الثانوية وغدا سوف يصبحون
أصحاب مراكز هامة يشير اليهم
الناس بالبنان ... أما أنا ... أنا
.. واحتبس الكلام في حلقه وهو
يحرق بالسيجارة بين اصبعيه وخيل
اليه انه يحترق تماما كما تحترق
هذه السجارة ... والدمعة
تبرق في عينيه ، وتابع بصوت خافت
ممزوج بالألم والحسرة أنا !!
مامصيري يا أستاذ .. ماذا أعمل
— لا دراسة ... لا علم .. لا حرفة
لا شيء .. لا شيء .. ما أقساك
أيتها الحياة وما أشدّ ظلمك أيتها
الايام .. وانت أيها الوالد ..
أنت الذي أخرجتني من المدرسة
وقضيت على مستقبلتي وتركتني
متسكعا في الطرقات كما تتسكع
الكلاب ... لا يهملك إلا بطنك
ونفسك

— هون عليك يا رمزي فانك
مازلت في أول الطريق وريعان الشباب
والمستقبل أمامك مشرق ومعطاء ،
وأبواب الرزق لا تغلق في وجوه
العاملين فلا تجعل لليأس طريقا الى
نفسك وعليك بالجد والنشاط
والدأب ، ولا تكن حالك النظرية
.. قانطا

دعني من هذه المواعظ

يا « أستاذ » فلقد ترددت على
مسمعي كثيرا ولم تتبدل الأحوال
ولم أصبح شيئا ذا بال ... أن
صحتي تتدهور يوما بعد يوم ...
لقد أجهدني التدخين .. وبراني
السهر ورعتني الوسوس والأوهام
..... وانتابتني موجات عانية من
اليأس والانقباض والضجر ؟ أتذكر
يا أستاذ عندما كنت أسبق الطلاب
جميعا في حصة الرياضة البدنية
فأنال منك الجائزة ... نعم كنت
آنذاك لا أشعر بتعب ولا إرهاق ...
أما الآن ... الآن فلا أستطيع أن
أجري مسافة خمسين مترا دون أن
يتقطع صدري تعباً وإعياء . وألهث
كما يلهث الشيخ العجوز ... نعم
لقد أصبح ليلى سعالاً في سعال ولم
أجد للنوم طعاماً ولا للراحة معنى !!

هكذا قدر لي أن أعيش ؟؟ آه
كم شريرة أنت أيتها الأيام .
— هون عليك يا رمزي فالمدرسة
ليست كل شيء في الحياة ..
لا تنس أن الأعمال الحرة خير من
الوظيفة والمرتب المحدود آخر
الشهر ... وقاطعني ... لا . لا
يا أستاذ .. أنا لا أصدق كل هذا
.. لانني لو وجدت أباً يزرني عن
التدخين ويشجعني على الذهاب إلى
المدرسة ويحيطني بحنانه ورعايته
لما آلت الأمور إلى ماهي عليه
لقد أوشكت أن أكون مجرماً ..
سكيني لا تغادر جيبى والشيطان
لا يفتأ يوسوس في صدري وباب
السجن أبداً يمثل أمام ناظري
وصرت أخاف من أشياء كثيرة كثيرة
لا تعد ولا تحصى .

* * *

تعليق

على مقال «الحجاب عند العرب وفي الاسلام»

للاستاذ محمد فؤاد القسطلبي
المستشار في محكمة الاستئناف
حلب

هذا تعليق على ما نشر عن «الحجاب» في مجلة العربي، وقد دفعني الى كتابته، فرض الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. وأعتقد أن مجلة العربي لا يمكن أن تنشر هذا الرد، لأنه يخالف أهدافها في تبيين مفاهيم الاسلام، وبث الشبه في أحكامه. ولقد أرسلتني^١ صدوة بأمر الله تعالى، بالنهي عن المنكر الوارد في مقال العربي، وهو في رأيي من أشد المنكرات. ولا أجد، أولى من حضارتنا الحبيبة، بنشره، ابتغاء وجه الله، وقياماً بواجب من واجبات الجهاد في سبيل الله. أما أنا فقد أبرأت ذمتي امام الله تعالى، فكتبت ودافعت، على ما وصل اليه علمي وفهمي، ومن الله القبول.

ذكر الاستاذ محمود سلام زناني، في مقاله عن الحجاب عند العرب وفي الاسلام، المنشور في مطلع العدد (١٣٠) من مجلة العربي: ان فرض الحجاب كان على نساء النبي فقط وكذلك الزامهن القرار في بيوتهن دون غيرهن من النساء المسلمات. لان نساء النبي لسن كأحد من النساء، ومن كان هذا شأنه وجب الارتفاع به عن كل شبهة، والابتعاد عن كل ريبة.

ودعم ذلك، فيما دعم، ان قتيلة الكندية، التي ملكها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وارتدت مع قومها تزوجها عكرمة بن أبي جهل فوجد لذلك ابو بكر رضي الله عنه، فقال له عمر رضي الله عنه: (انها والله ما هي من أزواجه، ما خيرها ولا حجبتها، ولقد برأها الله منه بالارتداد) ويريد صاحب المقال بذلك: انه طالما أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يحجبها فهي ليس من نسائه. لأن الحجاب لا يجب الا على نساء النبي.

وقد استند أيضا ، الى أقوال بعض المفسرين والفقهاء ، وأخذ يفسر مع بعضهم الزينة ، وادعاء الجلابيب على نحو يستنتج منه ان الاسلام لم يأت بالحجاب الا بالنسبة لنساء النبي خاصة ، وان الاختلاط بين الجنسين عادة أصيلة عند العرب ، متبعة في الاسلام كما كانت متبعة في الجاهلية ، ولم يفرض الحجاب الا في العصور المتأخر : وتقليدا للفرس .

ولكن القضية القائمة ، ليست هي قضية عادات متبعة ، وانما هو التشريع السماوي ، الذي هو المرجع الفصل في الامر .

وأول ما يطالعنا من ذلك هو قوله تعالى (يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى ان يعرفن فلا يؤذين) .

ولا شيء أصرح من هذا الامر الموجه الى كل امرأة مسلمة : أزواج النبي وبناته ونساء المؤمنين . فهل يجوز لنا أن نتغاضى عن هذا الأمر الصريح ، لنلجأ الى التؤول ، ولنتلمس ما لم يأمر به الله ، بل عكس ما أمر به الله ؟ . وما يبتغي التؤول الا مريد للفننة المتبع لها . ولا يصح لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر ان يلوي لسانه بما ليس من الكتاب ليحسبه الناس من الكتاب (القرآن) ، وما هو منه . ولا يجوز لنا ترك الأمر الصريح الواضح ، الذي أنزله الله في سورتي الاحزاب والنور ، الى آراء وتعليقات ما أنزل الله بها من سلطان . ان هذا الامر ورد بعدما نزلت آيات الحجاب الخاصة بازواج النبي : كآية التي تنص على : (وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب . . .) هذا مع الإشارة الى أن ما ورد في سورة النور من قوله تعالى (وقل للمؤمنات يفضضن من ابصارهن وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن . . . الخ) يؤيد تمام التأيد ما ورد في آية الحجاب الواردة في سورة الاحزاب ، وهي صريحة توجبه على النساء المؤمنات عامة ، بان يضربن بخمرهن على جيوبهن (التي هي فتحة في الصدر من الثوب) .

واكثر من هذا فقد رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بتربية المرأة المسلمة بحجابها عن الرجل ليدراً عنها أسباب الفتنة : فقد روى الترمذي

وغيره عن أم سلمة أنها كانت جالسة مع الرسول ومعها ميمونة بنت الحارث فدخل ابن أم مكتوم (وهو أعمى) فأمرهما الرسول بالاحتجاب منه ، فقالت انه أعمى ، فقال أوعمياوان انتما ؟ يريد بذلك أن يقي المرأة المسلمة من الافتتان بالرجل (ولو كان أعمى) بالحجاب . وقصة يوسف عليه السلام وافتتان النساء به ، شهيرة بالقرآن الكريم .

هذا ، ونلاحظ انه اذا كان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، الطاهرات، المطهرات ، العفيفات النظيفات ، امهات المؤمنين ، اللواتي أحصن في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هؤلاء الكريمات الفضيلات ، اذا كان الله تعالى أمرهن بفض الصوت ، وعدم الخضوع في القول ، وأمرهن بان يسألن الرجال من وراء حجاب ، فما بالنا ببقية النساء اللاتي لا يمكن لا فضلن او طهرهن ، أن يرقى الى عشر معشار ما سمت اليه أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ان الأمر ببقية النساء أوجب . وقد اتفق الفقهاء على ان هذا الامر الذي اختص به نساء النبي ، حكمه عام ويشمل جميع النساء المؤمنات .

فاذا وجد بعض المتأولين ، الذين يريدون (لحاجة في نفس يعقوب) ان ينحرفوا بالتشريع الاسلامي الى ما يوافق الاهواء ، ويرضي النزوات ، فان هؤلاء وما يقومون به ، ليس لهم ان يغيروا من أمر الله النافذ شيئا . يضاف الى ذلك كله ، نزول الامر الواضح الصاعد من الله تعالى ، لأزواج النبي وبناته ونساء المؤمنين بالتزام الحجاب ، قطعاً لدابر كل قالة لا يتغى بها وجه الله .

قال السدي في هذه الآية : كان ناس من فساق المدينة يخرجون بالليل ، حين يختلط الظلام الى طرق المدينة فيعرضون للنساء فاذا كان الليل خرج النساء الى الطريق يقضين حاجاتهن ، فكان اولئك الفساق يبتغون ذلك منهن ، فاذا راوا المرأة عليها الجلباب قالوا هذه حرة فكفوا عنها .

وقال مجاهد : يتجلببن فيعلم انهن حرائر فلا يتعرض لهن فاسق بأذى ولا ريبة .

وقال سيد قطب رحمه الله ، في ظلال القرآن : ثم أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ، ان يأمر نساءه ونسائه المؤمنين عامة ، اذا خرجن بحاجتهن ، ان يغطين أجسامهن ورؤوسهن وجيوبهن (وهي فتحة الصدر من الثوب) بجلباب كاس ، فيميزهن هذا الذي ، ويجعلهن في مأمن من معاينة الفساق بعد هذا فلا يجوز لمسلم أن يرى أن الحجاب لم يأت إلا لنساء النبي ، وهن في الحقيقة آخر من يلزمه الحجاب من النساء .

وبعد : فما بال أقوام يريدون أن يسهلوا لما تبقى من نساء المسلمين يحافظ على شبه الحجاب ، ان ينخرطن في القطيع الضال الذي لا أول له ولا آخر ؟ أما كفانا ما أصبحت عليه المرأة المسلمة من تهتك وتكشف ألم يكفنا (المني جوب) و (المكرو جوب) يفزوان نساءنا وفتياتنا ؟ ألم يكفنا كشف الصدر والظهر والنهد والخد ، والساق والفخذ ؟ ألم يكفنا ما صارت اليه قطعان العرايا في بلاجات الاسكندرية وبيروت وجميع سواحل البلاد العربية من المحيط الى الخليج ، ومسابع دمشق وحلب والبلاد الداخلية ، يعرضن الاجسام العارية ، واللحوم المبذولة ، وكشفن عوراتهن ، ويبدن سوءاتهن ، غير مباليات بدين أو خلق أو تقاليد ؟

ولماذا تستر غايات السفور والتبرج والاختلاط ، بدعاوى خروج المرأة للعمل والتعليم ؟ ومن الذي يستنكر عمل المرأة وتعلمها ؟ وما علاقة التعلم والعمل بما وصلت اليه من عرى وتزين وتبرج في الشوارع ، والمساح والمندريات ، حتى فاقت بذلك الجاهليات الاولى : جاهلية اليونان وجاهلية الرومان وجاهلية أوروبا ؟ وهل لهذه الجاهلية الجهلاء التي نهيم فيها من علاقة بالتعلم والعمل ؟

الا رحمة بالمرأة ودعوا من تبقى منهم خارج الأتون لئلا يحرقن معهن الأجيال والانسال ، فنذهب مع الغابرين .

المرأة في الحياة الإسلامية

العبادة في الإسلام

بقلم : نادية عمري

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لو لأن هدانا الله ، لقد جاءت رسل ربنا بالحق .

عبد في اللغة : وحده وخدمه وخضع وذل وطاع .
وتعبد : انفرد للعبادة وتنسك .

النسك : العبادة ، وهو كل حق لله تعالى .

والعبادة في الاصطلاح الاسلامي : كل عمل يتبغى فيه وجه الله عز وجل .
وهي بهذا المعنى اسم شامل جامع لكل طاعة . بل ان كل فعل وقول صلى الله عليه وسلم وصحبه رجلا شابا مشمرا عن ساعد الجد ، منهمكا في يصدر من مؤمن توافقه نية صالحة وصادقة فهو عبادة . وقد رأى الرسول عمله ، فقالوا يارسول الله : لو كان هذا في سبيل الله . فأجاب معلم البشر : ان كان يعمل ليعيل نفسه ويكفيها عن الطلب فهو في سبيل الله ، وان كان يعمل ليعيل والديه فهو في سبيل الله .

وقال تعالى في محكم تنزيله « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون »

فيخلصوا العمل لوجهه الكريم . وفي سورة الفاتحة ، في أم الكتاب ، وفي فاتحته أمر تعالى عباده أن يخصوه بالخضوع والعبادة « إياك نعبد وإياك نستعين » .

كما قال تعالى « وإذا أخذنا ميثاق بني اسرائيل : لا تعبدون إلا الله » . وقال تعالى على لسان السيد المسيح عليه السلام : « وقال المسيح ابن مريم يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم ، إنه من يشرك بالله فقد حرم عليه الجنة ومأواه النار ، وما للظالمين من أنصار » وقد أبرز تعالى صفة عبودية الملائكة له تعالى « ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون » .

وفي مجال تكريم بني آدم يسمهم تعالى بالعبودية له عز شأنه « سبحان الذي أصرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى » « الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً » « وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً » .

وحينما يشعر المؤمن بالعبودية لله عز وجل يكون قد تحرر من كل قيد وانطلق من كل أسر ، فهو طليق من أسر الأهواء والشهوات ، والرسول صلى الله عليه وسلم « وهو النموذج الاول والواضح للمسلم الحق » بلغ الحد الاعلى من العبادة والنسك ، فقد كان يجد في العبادة قرّة عينه وطمأنينة نفسه ، وهو الذي جمع بين النسك في أرقى مراتبه وبين القيام على امور الدنيا التي كان يعيش فيها بكده ، ويعول كثيراً من الاهل والفقراء ، ويناضل أمة بكاملها ، ويسوس دولة فتية في وجه العالم ، يوفد الى الملوك ويدعوهم ، ويستقبل الوفود ويكرمهم ، ويبعث السرايا ويقود الجيش ، ويجادل من حوله من اهل الاديان والسلطان ، ويهيء للنصر ، ويحتاط للهزيمة ، ويبعث العمال ، ويجبي الاموال ويقسمها بنفسه ، ويفصل ما أجمله الوحي ، ويوضح الغامض ، ويرسم السنن ، وهو الناسك العابد بالليل والنهار . وقد كان صلى الله عليه وسلم مثلاً من الجد الكامل ، والتوجه الخالص ، اذا انصرف للعبادة انصرف بجملته واذا قام بعمل آخر لم يفتر

عنه حتى يتمه ، وقد أجمع المؤرخون من أهل الملل المختلفة أنه كان يعطي العمل الذي يشغله كل حسه وكل قلبه ، ويتجلى ذلك في علاقته بالناس ، فما حدثه أحد الا التفت اليه بوجهه وجسمه ، وأصفى اليه تمام الاصفاء ، ولم يقطع الحديث حتى يكون المتكلم هو الذي يقطعه .

وكان صلى الله عليه وسلم بفطرته يحب النسك والعبادة ، فكان قبل الرسالة ينقطع الليالي ذوات العدد في غار حراء خارج مكة للتعبس ، يطلب الهداية ، ويبحث عن الحق ، يفكر ويتأمل حتى أتاه اليقين « وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان » ويمتن الله عليه بقوله « ووجدك ضالاً فهدى » فلما جاءه الهدى أخذ يصلي فيخرج الى شعاب مكة ومعه علي وهو صبي فيصليان مستخفين حتى اذا أمسيا رجعا .

وجبلت الهداية قلب الرسول صلى الله عليه وسلم فتعلق بالله ، وفنيت نفسه في حبه حتى صار معه في حركته وسكونه ويقظته ونومه ، وبلغ به الامر حتى غدا يقف بين يدي خالقه حتى تتورم قدماه ، فيقال له : لما تجهد نفسك وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر ؟ فيقول أفلا أكون عبدا شكورا ، وكانت نجواه في الليل « اللهم لك الحمد ، أنت قيوم السماوات والارض ومن فيهن ، ولك الحمد ، أنت ملك السماوات والارض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت الحق ، ووعدك الحق ، ولقاؤك الحق ، وقولك الحق ، والجنة حق ، والنار حق ، والنبيون حق ، ومحمد حق ، والساعة حق ، اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، وإليك حاكمت ، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، أنت المقدم ، وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم » .

واذا جاءه أمر يحبه قال : الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وإذا أتاه أمر يكرهه قال : الحمد لله على كل حال ، وان قصد فعل شيء قال : اللهم خذني واختر لي ، وان أراد سفرا قال : اللهم بك أصول وبك أجول ، وان أراد نوما قال اللهم باسمك وضعت جنبي وباسمك أرفعه ، وان استيقظ قال : الحمد لله الذي أحيانا بعد أن أماتنا وإليه النشور ، وان لبس ثوبا جديدا قال : الحمد لله الذي رزقني ما أنجمل به في حياتي ، وان أكل قال : الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين ، وان شرب قال : الحمد لله الذي جعل الماء عذبا فراتا برحمته ، ولم يجعله ملحا

أجاجا بذنوبنا ، وإذا انقلب من الليل في فراشه قال : لا إله إلا الله الواحد القهار ، رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار ، وإذا هب من نومه في الليل قال : رب اغفر وارحم واهد للسبيل الأقوم .

وهكذا فالرسول صلى الله عليه وسلم مع الله في كل عمل وكل حين ، فهو يقوم الليل ويصرف جزءا من النهار للعبادة ، ويجد في الصلاة لذته وقرّة عينه ، وكثيرا ما نهى أصحابه عن أن يقلدوه فيما لا طاقة لهم به .

تقول عائشة رضي الله عنها : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل الناس به ، فيفرض عليهم . ولا شك أن نفس محمد صلى الله عليه وسلم لمتصلة بالله تستطيع ما لا يستطيع الناس ، فهو يود أن ينفرد بما فوق الطاقة ، فإذا نشط أصحابه لمتابعته ، خشي عليهم الغلو ، وهو الذي جاء بالحنيفية اليسرة ، تلامس حقائق الحياة ، فخلق به أن يفضب إذ يرى الناس يهملون بترك الدنيا والانقطاع للعبادة ، والله تعالى يقول « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك » ومالت نفس بعض الصحابة للعزلة والانقطاع للعبادة ، ففضب وذكر أنه ما جاء باليهودية ولا بالنصرانية وإنما جاءهم بدین ابراهيم ميسرا سهلا . يقول أنس : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر ، فمنا الصائم ومنا المفطر ، فنزلنا منزلا في يوم حار ، أكثرنا ظلا صاحب الكساء ، ومنا من يتقي الشمس بيده ، فسقط الصوم وقام المفطرون فضربوا الابنية ، وسقوا الركاب فقال صلى الله عليه وسلم : ذهب المفطرون اليوم بأجر .

وعن أنس قال : جاء ثلاثا رهط الى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادته ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قد غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر ! فقال أحدهم : أما أنا فإني أصلي الليل أبدا ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني .

ذلك هو التوسط الذي أراده الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهو رغم خشيته أن يميل الناس عن القصد ، وأن يفرطوا ويكلفوا أنفسهم ما لا يطيقون كان المثل الأعلى في التعبد والنسك ، كما كان في الرجال وتصريف شئون الدنيا والقيام عليها ، وقد التفت في شخصه الكريم أغراض الحياة على أكمل وجوها .

حياة فقيرنا

كان ذلك من اربعة أعوام يوم أسعدني الله بالحج وزيارة الرسول عليه الصلاة والسلام ، فالى جانب الماست في الشيخ الختني رحمه الله من العلم والفضل والتقوى ، أكرمني - أجزل الله مثوبته - بما رضي من مصاحبتي له عند زيارة البقيع - رحم الله من في البقيع - وكانت جولة غنية بالمعرفة غامرة بالضياء مشرفة بكل ما فيه غذاء القلب ، حيث كان حديثه حديث التقوى ، وكلامه - مع المعرفة - غاية الأدب مع أهل البقيع ، وحيث لا يلبث يعطي من نفسه وقلبه لضيفه ومن يتحدث اليه ، ولوددت - يعلم الله - أن تلك الفترة من حياتي لم تنقطع . ثم انصرفنا وكان الزمان قد انطوت حدوده ، وذهبنا الى دار الشيخ رحمه الله وخرجت من عنده بعد لقيمات تحسبها من طعام الجنة . ومن بعد ودعته ظهراً في المسجد العظيم ، أحمل في نفسي أثراً أرجو أن يظلّ معي ما حييت ، ثم كانت الصلة بيننا من طريق المجلة ، وحين بلغني نبأ الوفاة برسالة حزينة رزينة من نجله الكريم ، تأثرت - علم الله - شديد التأثر ، وتذكرت الكثير الكثير . رحم الله الفقيد وعوض أهله والمسلمين خير العوض ، وشكر الله للأخ كاتب المقال وأنا لله وأنا اليه راجعون .

أبو اقبال

الفقيه الصالح الشيخ محمد ابراهيم الختني رحمه الله تعالى

كنت تراه رجلاً جليلاً وقوراً ، هادئ الطبع رضي النفس بخاري السحنة أميل الى القصر ، ذا لحية أطلقها على السنة النبوية المطهرة ، يسير الهوينى لا يلتفت في طريقه يمنة ولا يسرة ، متواضعاً في نفسه ومظهره ، كريماً سخياً بما في يده ، وإذا وقفت له في الطريق وقف لك وهش في وجهك وأخذ يسأل عن الصحة والأهل والعمل حتى يطمئن ، وإذا سألته مسألة وجدته المعلم الأديب ، والفقيه الصبور حتى تفهم ما سألت عنه ، ماتسأله في مجالسه عن كتاب إلا أعطاك منه علماً وعن مؤلفه خبراً ، كان في التراجم والتاريخ آية من الآيات .

ذلك الرجل الجليل هو فضيلة الشيخ محمد ابراهيم بن سعد الله الفضلي الختني رحمه الله تعالى وأعلى في العليين درجته . توفاه الله تعالى بعد ظهر الاربعاء ٦ رجب الفرد/٣٨٩ دون ان يأخذ منه سمعاً ولا بصراً ، ولا فكراً ولا

وعيا ، إلا ما كان من صوته الذي ضعف جدا قبل وفاته بأيام قليلة رحمه الله تعالى .

لقد شغل الفقيد رحمه الله تعالى حياته بالعلم تدريساً وافتاء ، تعريفاً بالكتب العلمية وترتيباً لها ، في مكتبات المدينة المنورة مثل المحمودية والمكتبة العامة ، وكان هو الذي عاقه « كما ذكر لي رحمه الله تعالى في إحدى جلساتي إليه » عن الاكثار من التأليف ونشر المقالات ، ومع ذلك فقد بكر في التأليف فألف وهو دون العشرين من عمره رسائل باللغة العربية .

وكلما طال عمره وزاد فضله وعلمه كثرت اشغاله ، فهو مرجع الناس في فقه الحنفية « خاصة » وغير الفقه من العلوم ، وهو يدرس كل يوم أكثر من درس ، وقد كان هذا شأنه الى قبيل مرضه الأخير الذي شغله عن كل شيء سوى ربه .

لقد طلب أحد أحبابه منه ان يترجم لنفسه في أعقاب رسالة ألفها في تراجم بعض العلماء ففعل ذلك ، وقد عطانيها ولده الاستاذ محمد يحيى لانظر فيها ، وأنا هنا أنقل منها ما يعرف به القراء الكرام .

اسمه وولادته : قال رحمه الله تعالى : انا محمد ابراهيم بن ملا ساعد الله بن ملا عبد الرحيم بن عبد العليم الفضلي الختني ولدت في أواخر / ١٣١٤ وكنائي شيخني ثانت النمنكاني بابي الفضل ، قرأت عن والدي وعلى تلاميذه بعده مثل ملا محمد روزي ومحمد نياز وابن عمتي الشيخ شورف الذي كان يخصني بعناية فائقة ويدبرني على طرق كتابة الافتاء وأنا بعد تلميذ .

مؤلفاته قال : وحين كنت بختن ألفت بعض الرسائل مثل : تنقيح النحو والفوائد ومجموعة الفتاوى باللغة العربية ، ورسالة الاعلانات الياركيدية على الرسالة المعزية في الصرف باللغة الفارسية ، وضرورة الحجاج في المناسك وترجمة خلاصة الكيداني والتماس المتمسرين في مسائل الجمعة والعيدين والجنابة باللغة التركية . وهذه كلها مما الفتها قبل الهجرة الى المدينة المنورة وبقيت في ختن ، وفي المدينة المنورة ألف رسائل أخرى هي الرسالة الفضيلة في ثبوت الطوافين للقارن بالادلة القطعية ووافق الأئمة الاعلام في جواز تفريق من زوجت بغير الكفء من الانام ، وتحفة المستجيزين باسانيد اعلام المجيزين « لم يتم » باللغة العربية ، قيس الله لها من ينشرها لينتشر فضلها في الناس ، وفتح الرعوف ذي المنن في تراجم علماء ختن .

سفره الى بخارى في طلب العلم : في ذي القعدة / ١٣٣١ سافر الى بخارى في طلب العلم ، وأقام ثمانية أشهر « في طريقه » بكا شفر ثم انتقل الى سمرقند حتى اذا وصل الى بخارى اكب على العلوم وجوّد القرآن الكريم وقرأ الشاطبية والجزرية في القراءات . واثناء اقامته في بخارى حدثت فتن يشيب

لهولها الولدان ، ففي سنة /١٣٣٥ ثار بعض الشبان المتطرفين في بخارى فقضي على ثورتهم وفي سنة /١٣٣٨ هوجمت معسكرات بخارى بالاسلحة الحديثة والطائرات ونقضت معاهدة الصلح نافذة المفعول ودامت الحرب أربعة أيام وبعدها انسحب الامير (عالم خان أمين بخارى) الى جهات حصار شادمان ثم ذهب الى كابل حيث مات بها واحتلت البلاد ولا حول ولا قوة الا بالله . قال رحمه الله : وكانت هذه السنوات الثلاث بكوارثها كأنها ثلاثة قرون كاملة أو من سنوات القيامة .

وفي بخارى أتم حفظ كتاب الله تعالى أيام العطل الدراسية .

مجيئه الى الحجاز : وفي سنة /١٣٤٨ خرج من بلاده لاداء فريضة الحج مارا بطاشقند (الشاش) وبحر قزوين وباطوم واستنبول حتى السويس ، وحين وصلها كان وقت الحج قد فات فأقام بالسويس حتى جاءت باخرة أقلته الى جدة التي وصلها في اليوم السادس عشر من ذي الحجة . وأقام في مكة المكرمة والطائف حوالي ستة أشهر ثم جاء الى المدينة المنورة وتلمذ فيها على الشيخ محمد عبد الباقي الانصاري من أقرباء ابي الحسنات عبيد الحي اللكنوي صاحب المؤلفات الكثيرة التي تزيد على مائة ما بين رسالة وكتاب ، وفي العام التالي أدى فريضة الحج وعاد الى المدينة المنورة وقد عزم على الإقامة فيها .

تدريسه في المدينة المنورة : في سنة /١٣٥١ عينه الشيخ الانصاري مدرسا بمدرسة وحين ألفت هذه المدرسة أصبح مدرسا في مدرسة توره قل تركستاني ، ثم في مدرسة العلوم الشرعية . وفي سنة /١٣٨٢ عين في وظيفة معرّف للكتب النادرة والمخطوطات ومترجما للغات الفارسية والتركية والاوردية في المكتبات الاربع الواقعة حول الحرم النبوي الشريف ، بالإضافة الى تدريسه بالحرم الشريف ، ومدرسة الشيخ الشلبي الحسينية ، ومدرسة توره قل وفي بيته ، قال رحمه الله خالصاً لوجه الله تعالى ولكني لا أزال أعتبر نفسي من طلاب العلم الى الآن فأفيد من العلماء الثقات من أهل السنة والجماعة على اختلاف أقطارهم ومذاهبهم بالقراءة أو المراسلة لذا يزيد عدد أساتذتي على مائة وخمسين استاذاً . ثم قال رحمه الله تعالى في آخر ترجمة لنفسه : فرغت من تسويد هذه الرسالة « فتح الرؤوف ذي المنن وفي آخرها ترجمته الشخصية » في ضحى يوم الاربعاء ٢٣ جمادى الآخرة سنة /١٣٨٧ في مدينة الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم رحم الله شيخنا برحمته الواسعة وفسح له في قبره وأعلى في العليين درجته مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا وعوض المسلمين خيرا .

وهبي سليمان الألباني



إِسْتِشَارَاتُ طِبِيَّة

في ضوء الأسلام

من الفوائد الصحية للصلاة

للككتور محمد ناظم نسيمي

تعتبر صلاة المسلم في الدرجة الاولى عبادة روحية جسمية يناجي فيها العبد ربه فتكون بمقدار حضور قلبه فيها واسطة صلة بينه وبين الله تعالى، وسبب رقي في مدارج الايمان والاحسان وتمكن في مكارم الاخلاق وبعد عن الفحشاء والمنكر .

لعضلات التنفس والبطن تقويها وتزيد في سعة الصدر . كما ان المصلي باتباعه السنة المحمدية في اتخاذ الاوضاع القويمة أثناء أداء أركان الصلاة من قيام وركوع وسجود ، يستفيد من ذلك ومن حركات الانتقال من ركن الى ركن فائدة التمرين وتقوية العضلات الباسطة للعمود الفقري من جهة وفائدة اصلاح الاوضاع المعيبة من جهة ثانية .

والخلاصة تعد الحركات والايوضاع الخاصة في الصلاة من الرياضة الفريزية ، يجني ثمرتها المصلي مع انه يؤدي تلك العبادة

وان المصلي يجني الى جانب تلك الثمرة الروحية التعبدية ثمرات شتى اجتماعية وصحية من عمل عضلي بطيء رتيب ، وتربية على النظام والطاعة والائتلاف .

ففي الصلاة عمل عضلي معتدل والعمل العضلي ينشط البدن كله لدعوته العمل في التنفس وال دوران والتغذية والافراغ فتستفيد من ذلك جميع أعضاء البدن ولاسيما الاعصاب والمراكز العصبية ، كما ان العضلة نفسها تنشط بذلك وتقوى .

وفي القراءة أثناء الصلاة وفي الانتقال من ركن الى ركن رياضة

بنية تنفيذ أمر الله تعالى طلباً لمرضاته وتقرباً إليه . وبما أن الرياضة الغريزية أو السويدية تصلح للصغير والكبير والرجال والنساء فقد دمجها الله تعالى الحكيم مع التكبير والدعاء والتسبيح والتحميد في صورة صلاة المسلمين يؤديها المسلم خمس مرات يومياً موزعة على الليل والنهار ، ويعتادها من صغره فتكون رياضة صالحة لعضلات جسمه ومفاصله ، وخير مقوم لبدنه ، وأفضل مهذب لنفسه وروحه .

وإذا كان الشاعر لينغ السويدي قد نشر الرياضة الغريزية في أوائل القرن التاسع عشر واليه تنسب تلك الرياضة فتدعى بالرياضة السويدية ، فإن الإسلام قد سبقه في نشرها وتطبيقها باثني عشر قرناً حيث أدرجها في صلب أكثر فرائضه تكراراً ألا وهي الصلاة .

وإذا كان الجسم بحاجة إلى المزيد من الرياضة الغريزية فإن باب التنقل في الصلوات مفتوح بل ومستحب في أكثر الأوقات ، أي فيما عدا أوقات الكراهة المحدودة . وللمصلي حسب بنيته ووصايا طبيبه أن يختار

الشارع (عدد الركعات ودرجة سرعة الأداء ، بتقصير القراءة أو بتطويلها وبسرعة الانتقال أو ببطئه ، أي أنه في تنقله المطلق) في غير ما حدده يستطيع أن يمارس السرعة والطاقة في تنقله ضمن الحدود الشرعية . وانبه هنا أن السرعة في إجراء الحركة المؤدية إلى الركوع أو السجود وحركة النهوض منهما هي غير سرعة زمن أداء الركوع والسجود بحيث لا يطمئن راکعاً أو ساجداً فيؤديهما كنقر الديك ، فالسرعة في إجراء الحركة جائزة ، أما السرعة المخلة بالاطمئنان المطلوب فغير جائزة . كما أن تقصير القراءة بحيث لا تخل بالمفروض جائز ، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي ركعتين خفيفتين . وفي ذلك تشريع للمسلمين فإن النبي صلى الله عليه وسلم لا يعتريه كسل ولا ينام قلبه ولكن المرء قد ينهض من نومه وفي بدنه خمول أو نعاس فالوضوء ثم صلاة ركعتين خفيفتين يؤديهما بقراءة قصيرة وحركات انتقال سريعة ، أن ذلك مما ينشط الجسم ويدفع أثر النوم . وأن تخفيف القراءة وعدم الإطالة في أركان الصلاة مستحب للامام

فان في المقتدين الضعيف والكبير وذو الحاجة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا أمَّ أحدكم الناس فليخفف فان فيهم الضعيف والكبير وذو الحاجة واذا صلى لنفسه فليطول ما شاء » (١) . ومن هذا الحديث نستنتج ان للضعيف ولل كبير وذوي الحاجة أن يخفف من صلاته طالما من أجله استحباب للامام أن يخفف ، ولكن ضمن حدود الشريعة .

هذا وكما تعتبر الصلاة من الوجهة الحركية رياضة غريزية خاصة اذا كانت عديدة الركعات كما في صلاة الظهر والعشاء وصلاة التراويح ، فان الصلاة بعد التعب الذهني أو الجسمي تعد وسيلة للراحة وخاصة الراحة النفسية ، فصلاة المسلم المتدين وما يسبقها من نظافة ووضوء وما يتخللها من حركات وما يجب فيها من تخلية الذهن عن مشاغله الدنيوية ليتم له الصفاء والحضور والوعي لما يقول في صلاته، وليتثنى له اقامة الصلاة على الوجه

الاكمال ، فصلاته خير انواع الراحة الاجبارية . فمن كان له من طبيعة عمله أو دينه هذا التناوب من العمل والراحة كان بعيدا عن الاعياء الفكري .

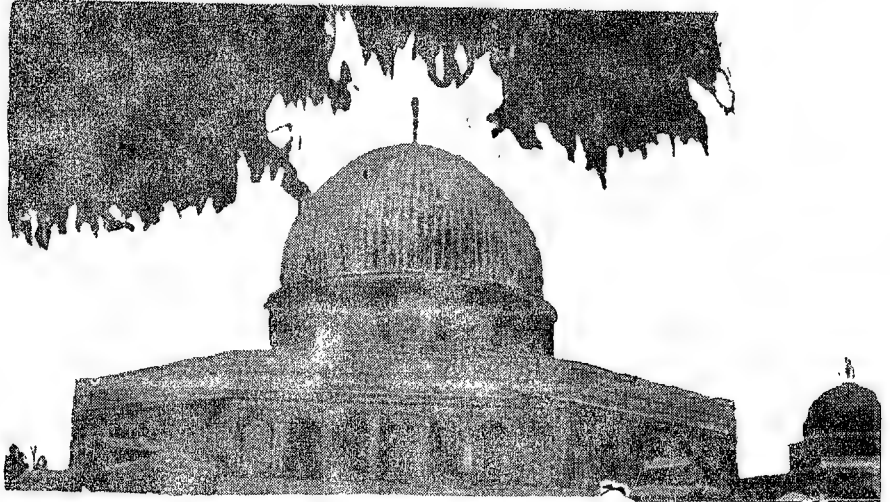
هذا وان الانتقال من الاجهاد البدني في العمل المهني الى الصلاة قبل الراحة الكاملة يفيد البدن حيث تكون الحركات البطيئة الغريزية كتدليك (مساج) للعضلات تساعد على طرح فضلات العمل المجهد ، وان الوضوء قبلها يزيل

غبار العمل ، وان التدليك الذي هو سنة في الوضوء يساعد في نشاط دورة الدم ونقل الفضلات من الاعضاء العاملة لطرحها في الاجهزة المختصة .

وأختم مقالي بأن الاقبال على الله في الصلاة يعيد للنفس هدوءها بعد التعرض لصخب العمل وانفعالات التعامل ، ولذلك كله ولما في الصلاة من معان روحية سامية عظيمة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها » (٢)

(١) رواه النسائي عن أبي هريرة . روى الشيخان واحمد وأبو داود قوله صلى الله عليه وسلم : اذا أمَّ أحدكم الناس فليخفف .

(٢) رواه ابو داود .



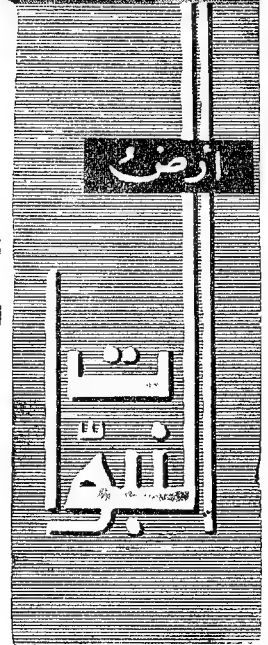
لفلسطين كلمة

لقد أحرقوه !!!

لقد أحرق اليهود المسجد الأقصى المبارك !!!
 أحرق اليهود أولى القبلتين وثالث الحرمين !!!
 وهل كنا نتوقع منهم غير أن يحرقوه ؟
 هل نتوقع منهم غير أن يعيشوا الفساد في مقدساتنا ؟
 ليس هذا نتيجة طبيعية لاحتلال اليهود أرض الاسراء
 والمعراج ؟
 ليس هذا خطوة في طريق تحقيق حلم اليهود الكبير
 بإقامة هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى المبارك ؟

★ ★ ★

انها لبادرة طيبة أن يتحرك العالم الاسلامي من أقصاه الى أقصاه تجاوبا مع



مشاعره الدينية في حقه على اليهود المفسدين المخربين .

وان أكد هذا التحرك شيئاً فانما يؤكد البعد الديني للقضية الفلسطينية من جهة ، ويؤكد امكانية الاستفادة من العالم الاسلامي لتدعيم جهودنا في محاربة اليهودية العالمية من جهة ثانية . هذه الامكانية التي أغفلناها في بعض مراحل جهادنا الماضية .

انها لبادرة طيبة أن تتداعى حكومات المسلمين الى التعاون والتفاهم والتناصر اثر حريق الاقصى المبارك .

انهما بادرتان طيبتان ، ولكن يجب أن نحذر من أن يبقى تحرك العالم الاسلامي في حدود الفورة العاطفية ، وتعاون حكومات المسلمين في حدود الاستغلال السياسي للمشاعر الدينية .

ان الامر جد ، وفي ذروة الجد .

ان الامر لم يعد يحتمل هزلاً ولا تسويقاً .

يجب أن يتحرك دعاة الاسلام ، ويشقوا طريقهم ، ويحطموا الطواغيت المحيطة بهم ، ليقوموا دعائم الاسلام مكيئة في الارض ، ورايته خفاقة في السماء ، فهي الضمان الاكيد لمنع اسرائيل من أن تستمر في غيها ، والوحيد للانتصار عليها .

★ ★ ★

كيف أحرق اليهود المسجد الأقصى المبارك ؟

القدس أولى القبلتين ، وثالث الحرمين ، ونهاية الاسراء من مكة المكرمة وبداية المعراج الى السماء السابعة . القدس بلد الانبياء وموطن الرسل تعرض مسجدها الأقصى المبارك الذي لا تشد الرحال الا اليه ولمسجدين آخرين تعرض لنار حامية وحريق هائل في قسمه الجنوبي الشرقي في صبيحة الخميس الثامن من شهر جمادى الآخرة عام ١٣٨٩ الموافق ٢١ آب سنة ١٩٦٩ وذلك حوالي الساعة السابعة من ذلك الصباح . عندما شاهد أهالي القدس العربية أعمدة من الدخان ترتفع في سماء المسجد الأقصى فبدأت صيحات المؤمنين تتردد في جنبات القدس : الله أكبر . الله أكبر لقد أحرق اليهود المسجد الأقصى . وبدأت جماعات المسلمين تزحف الى المسجد الأقصى زرافات ووحدانا وقد ملأت الدموع عيونهم ، والايمان قلوبهم ، والاحقاد نفوسهم على من أضرم النار في أعز مقدسات الاسلام .

وكم كانت الدهشة كبيرة عندما لم يجد الناس أي أثر لسيارات الاطفاء الصهيونية التي ابطأت في تلبية نداء الاستغاثة لاطفاء الحريق - وكيف تلمي وهي التي أقدمت على هذه الجريمة البشعة؟! - . فما كان من الناس رجالا ونساء شيبا وشبانا الا أن تبرعوا بلحومهم وأرواحهم وأنفسهم لخماد هذا الحريق فأحضروا كثيرا من خراطيم المياه وبدأوا يساعدون رجال المطافئ العرب في القدس . وكون فريق من المؤمنين جدارا بشريا لنقل المياه بالجرادل من بئر في وسط ساحة الحرم الشريف وتوصيلها لشباب تسلقوا سقف المسجد وبدأوا يحاولون اطفاء النار ، كما ان فريقا آخر أسرع برفع السجاد من أرضية المسجد والذي لا يقدر بثمن وهي هدايا المؤمنين لبيت الله المقدس على مر السنين ، كما أن فريقا ثالثا نشط في رفع اللوحات القرآنية التي كتبت بخط بدیع والتي تعتبر من الآثار التاريخية والتحف الفنية النادرة من حيث الجمال والقدم .

ولم تستطع الكتل البشرية أن تخدم النار فاستنجدوا بفرق الاطفاء العربية في رام الله والخليل فهبوا هبة رجل واحد وأسرعوا بسياراتهم الى القدس الشريف دون ابطاء أو تسويف .

وتعاونت الفرق العربية الثلاث وأهالي القدس على اخماد الحريق ونجحوا في السيطرة عليه وعند ذلك عند ذلك فقط تقدمت فرق الاطفاء الاسرائيلية للمشاركة في اخماد الحريق . وكانت حجتهم في تأخيرهم أن

الجماهير العربية حول المسجد حالت دون وصولهم في الوقت المناسب زيادة على أن هذه الجماهير استقبلتهم بندايات الاتهام وبسيل من الحجارة .

وفي تمام الساعة الحادية عشرة ظهرا تمت السيطرة على الحريق تماما ولم تعد ترى الا الدخان ينبعث من أركان المسجد التي أتى عليها الحريق . وكان أهم ما حرق في المسجد المبارك المنبر المصنوع من خشب الأرز في زمن « نور الدين زنكي » والذي نقله صلاح الدين الأيوبي الى المسجد الأقصى . وهذا المنبر لا يوجد به مسمار واحد ويعتبر آية من آيات الفن على مدى العصور . كما أحرقت أجزاء كبيرة من السيفساء في الجهة الجنوبية للقبّة ، كما انهار زجاج القبّة البردي الداكن والمصنوع في عهد عبد الملك بن مروان وابنه الوليد ، وتساقط ارضاص المطلي بالذهب بعد أن ذاب والمصنوع في عهد المماليك . كما أتت النار على قسم من الجناح الشرقي للمسجد وقسم من الجناح الجنوبي وهوى جزء من السقف عدا السجاد الثمين واللوحات الخشبية التي حفرت عليها آيات من القرآن الكريم .

ولم تعلن اسرائيل عن الحريق الا في الساعة العاشرة وأرجعته الى احدى أمور ثلاثة : اما بسبب ماس كهربائي أو بسبب حرارة الشمس وتأثيرها على خشب السقف الجاف أو بسبب شرارة انطلقت من جهاز لحم أكسجين . ولكن هل يعقل ذلك ؟ لقد هتف الناس من الاعماق وبقوة حدسهم أن العمل مدبر واتجهت بأصابع الاتهام الى الاعداء المحتلين حفدة القُرود والخنازير . أما المجلس الاسلامي الأعلى متمثلا بشخصية رئيسه المحتسب فلقد كانت لديه البيانات على ان الامر تم بفعل فاعل والامر مدبر بدقّة واحكام . وبينما الامر أن أحد موظفي الاوقاف المقيمين في المسجد الأقصى وهو السيد محمد الحلواني بينما كان يسير في المسجد الأقصى بعد الساعة السابعة عندما رأى الحريق ورأى شابا أشقر أحمر الوجه يجري مسرعا فانتهره السيد الحلواني غير أن الشاب دفعه وألقاه أرضا ثم وقف ولحق به مرة أخرى واستطاع أن ينتزع منه معطفه وحقيبة كانت بيده . فما كان من الشاب الاحمر الوجه الا ان ارد للخلف وعرض على السيد الحلواني خمسين

ليرة مقابل اعادة المعطف والحقيبة ولكنه رفض وفي هذه الاثناء سمع أصواتا من الخارج تقول بعربية ركيكة : اتركه ، اتركه فارتد السيد الحلواني الى الخلف وعلى الفور اتصل بالاطفائيات العربية التي خفت الى المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله وكذلك اتصل بالاطفائيات الاسرائيلية ولكن كان في أذائها وقر .

ولقد قدم السيد المحتسب هذا المعطف وهذه الحقيبة مع هذه الرواية في مؤتمر صحفي عقد في القدس ومما يذكر أنه كان في الحقيبة مواد شديدة الاشتعال تكفي لحرق المسجد الأقصى بأكمله .

وبعد أن فضح الشيخ المحتسب خطة اسرائيل المدبرة لحرق المسجد الأقصى ما كان من اسرائيل في اليوم التالي الا أن أعلنت أنها قبضت على الشاب الذي قام بالحريق وهو استرالي يقيم منذ أربعة أشهر في مستعمرة اسرائيلية الى الشمال من تل أبيب هي مستعمرة مشمار هاشومير كان يتعلم خلال هذه المدة اللغة العبرية ويقرأ في التوراة . وقالت ان اسمه روهين . ولقد فرضت السلطات الاسرائيلية سرية تامة حول روهين . هذا وطلبت من سكان المستعمرة التي كان يقيم فيها بالآ يتحدثوا الى الصحفيين وكذلك طلبت من صاحب الفندق الذي كان ينزل به في القدس ألا يدلي بأيّة معلومات عنه .

اما ردود الفعل في العالم الاسلامي فقد كانت قوية وعنيفة سواء على المستوى الرسمي أو الشعبي واجتاحت المظاهرات جميع المدن الاسلامية وغير الاسلامية التي يوجد فيها جاليا اسلامية في شيكاغو مثلا وفي كندا أيضا واستنكر المتظاهرون أعمال اسرائيل الوحشية وطلبوا بمعاقتها . ولا ننسى أن المظاهرات اجتاحت الضفة الغربية والمناطق المحتلة وكان مما قاله مفتي رام الله للمتظاهرين « أن ٦٠٠ مليون مسلم يقفون وراءكم » .

كما عقد وزراء الخارجية العرب اجتماعا لهم في جامعة الدول العربية وكذلك عقدت الوفود الاسلامية في هيئة الامم المتحدة اجتماعا لدراسة الموقف بعد جريمة اسرائيل .

والآن نستطيع ان نقول أن المسجد الأقصى مقبل على نكبات ونكبات أخرى نستطيع القول أن الأقصى مهدد بالزوال واقامة هيكل سليمان مكانه فيجب علينا أن ننبه للخطر المحقق بنا وعلينا أن نتيقظ له .

تاريخ المسجد الأقصى

بعد أن أتم عبد الملك بن مروان بناء مسجد الصخرة بنى ، الى الجنوب منه وعلى بعد بضعة مئات من الامتار ، المسجد الأقصى . وقد تم ذلك سنة ٧٤ هـ - ٦٩٣ م هذا ما قاله معظم المؤرخين . وهناك من يقول أن الذي بنى المسجد هو الوليد بن عبد الملك ، وليس عبد الملك نفسه . ويستدل هؤلاء على صحة قولهم بما جاء في الرسائل التي كتبها (قرّة بن شريك) . عامل الأمويين على مصر في عهد الخليفة الوليد الى أحد حكام الصعيد (٧٠٥م) طالباً منه أن يرسل اليه صناعاً ماهرين لمسجد بيت المقدس . والغالب أنه شرع في البناء في زمن عبد الملك بن مروان (٦٩٢هـ) وقد تم في زمن ابنه الوليد (٧٠٥م) .

ولقد طرأ على هذا المسجد تغييرات كثيرة بسبب الزلازل والعواصف والامطار وكانت أبوابه في زمن الأمويين ، ملبسة بصفائح الذهب والفضة . ولما قدم ابو جعفر المنصور ، وكان شرقي المسجد وغربيه قد وقع بسبب الزلزال (٧٤٧ م) أمر بقلع هذه « الصفائح » فقلعت ، وضربت دنائير ، وانفقت عليه حتى فرغت (٧٧١ م) .

وحدث زلزال آخر سنة ٧٧٤ م . فوقع البناء الذي أقامه المنصور . فأمر المهدي بتعميره . وعمر ٧٨٠ م . الا أنهم أنقصوا من طوله يومئذ وزادوا في عرضه .

وخرّب المسجد الذي عمره المهدي إثر زلزال وقع في (١٠٣٣ م) . فعمره الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله (١٠٣٤ م) حازفا أربعة أروقة من كل جانب ، وان القبة الحالية والأبواب السبعة التي في شمال المسجد من صنع الظاهر لإعزاز دين الله . وهناك كتابة بالخط الكوفي وبالفيسفساء المذهبة منقوشة على واجهة القوس التي تحمل القبة من الشمال ، تشير الى ما فعله الظاهر في ذلك التاريخ .

وفي زمن الخليفة الفاطمي المستنصر بالله (١٠٦٦ م) جددت واجهة المسجد الشمالية .

ولما احتل الصليبيون القدس (١٠٩٩ م) استغلوا المسجد لصالحهم ، فجعلوا قسماً منه كنيسة ، واتخذوا قسماً آخر مسكناً آخر لفرسان الهيكل ، واستعملوا القسم الباقي مستودعاً لرخائهم ، مضيفين الى البناء القديم بعض القناطر المعقودة .

وعندما استرد صلاح الدين القدس من الصليبيين (١١٨٧ م) أمر بإصلاح المسجد الأقصى ، فجدد محرابه ، وكسا قبته بالفسيفساء وأزال كل أثر فيه للصليبيين . وهناك فوق المحراب كتابة نقشت بالفسيفساء المذهبة تشير الى ما فعله صلاح الدين .

وأتى صلاح الدين من حلب بالمنبر الخشبي الجميل الذي صنعه نورالدين محمود بن زنكي .

ولقد عني ملوك بني أيوب ، بعد موت صلاح الدين ، بالمسجد الأقصى . فكانوا يكنسونه بأيديهم ، ويفسلونه بماء الورد . وكان أشدهم اهتماماً الملك المعظم عيسى . فانه هو الذي أنشأ (١٢١٧ م) الرواق الذي يكون الواجهة الشمالية لهذا المسجد . وهذا الرواق مؤلف من سبعة أقواس معقودة . يقابل كل واحد منها باباً من ابواب المسجد السبعة . وعلى واجهة الرواق الاوسط بلاطه من الرخام ، نقشت عليها كلمات تشير الى ما فعله هذا الملك .

ولم يكن المماليك أقل اهتماماً بالمسجد الأقصى من الايوبيين . فقد حدثنا التاريخ ان الذي عمر سقف هذا المسجد من الناحية القبلية مما يلي الغرب عند جامع الانبياء هو الملك المنصور سيف الدين قلاون (١٢٨٧) م وأن القبة نفسها جددت في زمن ولده الملك الناصر محمد قلاون (١٣٢٧ م) وكذلك قل عن الرخام والشبابيك المصنوعة من الفسيفساء في صدر المسجد ، ومنها الشباكان اللذان عن يمين المحراب وشماله ، والأبواب ، والصور القبلي عند محراب داود . فان هذه الاشياء من صنع الملك الناصر محمد بن قلاون . وهناك كتابات كثيرة في المسجد تشير الى ذلك ، منها الكتابة التي تجدها في القبة نفسها من الداخل والكتوبة بأحرف كبيرة تعرف بالثلث ، وفوق الشباك الكائن شرقي المحراب ، وفي الواجهة الامامية فوق الأروقة .

ومن الممالك الذين عنوا بعمارة المسجد الأقصى السلطان شعبان بن الملك الناصر محمد قلاوون ، وأخوه السلطان حسن (١٣٧٦ م) والملك الأشرف إينال (١٤٦٠ م) والملك الأشرف قايتباي (١٤٧٩ م) وهناك كتابة تشير الى ما فعله قايتباي ، نقشت على واجهة المسجد الشمالية فوق الرواق الاوسط الى اليمين .

وكذلك قل عن سلاطين بني عثمان . فانه لم يعتل العرش منها سلطان إلا وفكر في ترميم المسجد الأقصى ، أو تعمير جانب من جوانبه ، وأنا لذاكرون منهم السلطان سليمان القانوني (١٥٦١ م) . فالسلطان محمود الثاني (١٨١٧ م) واسمه منوش على قبة الأقصى من الداخل ، وعلى بلاطة تراها الى يسارك وأنت داخل المسجد من بابه الكبير .

والسلطان عبد العزيز (١٨٧٤ م) ٩ فاليه يرجع الفضل في عدد من الشبابيك المصنوعة من الفسيفساء . وأما السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ م) فانه هو الذي بعث بالشرط الاكبر من السجاد العجمي ، ذلك السجاد الذي نراه في مسجدي الصخرة والأقصى .

ولقد طرا على المسجد الأقصى ، مع تقادم الزمن ، وهن اكتشف سنة ١٩٢٢ للميلاد . ولم يكن لدى المسلمين من المال ما يكفي لتعميره . وذلك ما حدا بالمجلس الاسلامي الاعلى لايفاد الوفود الى الاقطار العربية والاسلامية ، وبالمال الذي جمع يومئذ وقدره مئة ألف دينار تم تعمير جانب كبير من المسجد (١٩٢٧ م) وكان أخطر تعمير جرى يومئذ استبدال الاعمدة القديمة البالية التي تقوم عليها القبة بعمدة جديدة (عددها ثمانية) .

وما كاد هذا التعمير يتم حتى حدث زلزال (١٩٢٧ م) فتضرر المسجد بسببه . ولكن القبة سلمت من الأذى بفضل التعمير الذي قد تم قبل برهة وجيزة .

وحدثت بعد عشرة أعوام (١٩٣٧ م) هزة أرضية وان كانت خفيفة ،

إلا أنها أظهرت ما كان كامنا من الخراب ٩ فتولم المجلس الاسلامي الاعلى
إصلاحه .

والمسجد الأقصى اليوم لا يزال محتفظاً ببهائه القديم . طوله ٨٠ مترا
وعرضه ٥٥ مترا . وهو قائم على ٥٣ عمودا من الرخام و ٤٩ سارية مربعة
الشكل ومبنية بالحجارة .

وفي الصدر قبة خشبية مستورة من الخارج بصفائح الرصاص ، ومزينة
من الداخل بالجص النافر المزخرف بالفصوص الذهبية الملونة . وفي الصدر
ايضا محراب كبير والى يمين المحراب منبر جميل هو الذي عمله نورالدين ،
واتى به صلاح الدين . وهو مصنوع من الخشب المرصع بالعاج والأبنوس .
ويقابل المنبر (دكة المؤذنين) وهي قائمة على أعمدة من رخام .

وفي داخل المسجد وعند زاويته القبلىة الى الشرق جامع مستطيل
الشكل متصل به ، يسمونه (جامع عمر) . والى الشمال من هذا الجامع
ايوان كبير يسمونه (مقام عزيز) أو (مقام الاربعين) وإلى الشمال منه ايوان
صغير وجميل ، وفيه (محراب زكريا) .

وللمسجد أحد عشر بابا : سبعة منها الى الشمال ، وهي كبيرة . وكل
واحد من هذه الابواب ينتهي الى كور من أكوار المسجد السبعة ، وباب الى
الشرق ، وآخر الى الغرب . وهناك في الناحية الغربية أيضا باب يدخل منه
النساء في طريقهن الى الجامع المسمى باسمهن : (جامع النساء) . وفي
الجدار القبلى باب غير نافذ إلا الى زاوية ، كانت فيما مضى مدرسة .

وأمام المسجد من الناحية الشمالية رواق كبير هو الذي أنشأه الملك
المعظم عيسى ، وقد جدد من بعده ، وهو مؤلف من سبع قناطر مقصورة ،
كل قنطرة منها تنتهي الى باب من أبواب المسجد السبعة .

وتحت بناء المسجد الحالي دهليز واسع وطويل . يتألف من سلسلة عقود
ترتكز على أعمدة ضخمة ، وهو ما يسمى بالأقصى القديمة .

من اخبار قضية فلسطين

- بدأت الولايات المتحدة الامريكية بتسليم اسرائيل طائرات الفانتوم الخمسين في شهر ايلول ، اذ سيتم تسليم ١٦ طائرة خلال هذا الشهر ، كما سيتم تسليم البقية بمعدل ٤ طائرات شهريا .

ومن المعلوم انه قد اتم ١٢ طيارا اسرائيليا تدريبهم في امريكا ، كما انه يوجد ١٢٠ طيارا ونيما يتدربون على قيادة وصيانة هذه الطائرات . ولقد قام قائد الطيران الاسرائيلي مؤخرا بزيارة سرية لأمريكا وأعلن في هذه الزيارة ان بلاده بحاجة الى مزيد من الطائرات النفاثة .

- في ٧ - ٨ تم قتل ثلاث أشخاص في غزة لتعاونهم مع سلطات الاحتلال .

- في ٨-٨ قالت الاهرام نفلا عن نيويورك تايمز ان هناك محادثات سرية بين اسرائيل والولايات المتحدة لتسليم ١٠٥ طائرات منها ٢٥ طائرة فانتوم و ٨٠ طائرة سكاي هوك . وهذه الصفقة غير صفقة الفانتوم السابقة . ولقد جاء مؤخرا أن نكسن وافق على هذه الصفقة .

- أعلنت سلطات الاحتلال في ١٠ - ٨ أنها قررت ان تتبع المحاكم الشريعة الاسلامية في الارض المحتلة الاتجاه الاسرائيلي ، وأن تقطع روابطها مع الاردن .

كما أصدرت السلطات المحتلة أمرا يقضي بعدم تنفيذ الاحكام الصادرة عن هذه المحاكم لان قضاتها يرفضون أخذ روايتهم من اسرائيل .

- دعت اسرائيل في ١٣ - ٨ الاعضاء القدامى في المنظمات العسكرية الاسرائيلية والذين تقل اعمارهم عن ٤٩ سنة للتطوع في حرس الحدود .

- في ١٥ - ٨ هدد ديسان بالانسحاب من حزب العمال الاسرائيلي اذا وافق الحزب على أحد الامور التالية :

١ - برنامج سياسي لا ينص على « إسرائيل جديدة » بحدود معدلة في ضوء أهداف حرب حزيران .

٢ - عدم قبول ضم العرب في المناطق المحتلة وادماج هذه المناطق اقتصاديا .

٣ - قبول قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ تشرين ١٩٦٧

- بلغ العجز في احتياطي إسرائيل من العملات الصعبة ٥٣٣ مليون دولار وسبب هذا العجز الانفاق الحربي المتزايد .

- في ١٨ - ٨ اقترح اوثانت وضع مراقبين دوليين على خطوط الهدنة بين اسرائيل ولبنان .

- في ١٩ - ٨ تم اعتقال ٤٠ شخصا في القدس .

- زارت ثلاث وفود اسلامية من الفلبين ونيجيريا وجزر موريشيوس مؤتمر أبي بكر الصديق في مصر وتكلم رؤساء هذه الوفود فأيدوا حق العرب في فلسطين ودعوا الى إعادة القدس الى اهلها .

- في ٢٠ - ٨ طالب دايان ضباط الاحتياط الصهاينة بالانخراط في الجيش العامل للخدمة في الجبهة .

- في ٢١ - ٨ شب حريق في القسم الشرقي من المسجد الأقصى وأدى الى خسائر فادحة في المسجد ، والمظاهرات والاعتقالات عمت مدينة القدس .

- فرض حظر التجول في معسكر المغازي في غزة واعتقل ٢٠ عربيا .

- في ٢٤ - ٨ جرت محاولة لنسف جناح اسرائيل في معرض ازمير الدولي في تركيا .

- في ٢٥ - ٨ أعلن محافظ القدس روجي الخطيب أن امريكا عرض شراء المسجد الأقصى والارض المحيطة به بمبلغ ١٠٠ مليون دولار وذلك لاعادة هيكل سليمان والمعروف ان هذا الامريكي ماسوني ولقد أعلن مؤخرا ان عرضه في هذا الشأن لا يزال قائما .

- قتل رجال المقاومة خمسة من العرب لتعاونهم مع العدو .
- القاء قنبلة على شركة الملاحة الاسرائيلية في لندن .
- في ٢٦ - ٨ هدد بعض العسكينة بمذكرة ارسلوها للمجلس البلدي في الخليل بنسف الحرم الابراهيمي وعمل مجزرة في الخليل .
- سيقوم بن غوريون بزيارة لفرنسا في شهر ايلول ومن المتوقع أن يقابل الجنرال شارل ديغول في هذه الزيارة .
- في ٣٠ - ٨ قالت صحف الاردن ان الخبراء العرب في الارض المحتلة أكدوا أن الحريق في المسجد الأقصى تم بتدبير وعناية من سلطات الاحتلال وهي التي خططت لروهان حتى ينفذ جريمته . وقالت هذه المصادر أن الحريق شب في المسجد بمكانين في آن واحد أحدهما في منطقة المحراب والآخر في القسم الجنوبي الشرقي من المسجد . وذكرت هذه المصادر أيضا أن سلطات الاحتلال هي التي زودت روهان بالفتيل الخاص بالجريمة . ومما يذكر ان روهان زار المسجد حوالي ١٥ مرة قبل وقوع الجريمة .
- قال ايبان في ٨/٣١ ان مائير رئيسة وزراء اسرائيل ستقدم بثلاث مطالب من الحكومة الامريكية عند قيامها بزيارة الرئيس الامريكي نكسن وهذه المطالب هي : ١ - ردع أية دولة تتدخل في شؤون الشرق الاوسط . ٢ - تزويد اسرائيل بالاسلحة وخاصة الجوية . ٣ - استخدام النفوذ الامريكي لمنع بلورة السياسة الدولية ضد اسرائيل .
- انعقد في ١ ايلول المجلس الوطني الفلسطيني في القاهرة .
- أقر مجلس الوزراء الاسرائيلي بناء عدة منشآت يهودية في القدس العربية وتجديد بعض المنشآت القديمة .



مرق اسرائيل للمسجد الأقصى

ويعزف الزمان على أوتار ملتبهة هذه المرة ... ويشتد أوار المعركة متحديا
الكتل الهائلة من جموع المسلمين ، وتتطاوّل أسنة النيران من المسجد المحزون
داعية جموع الأمة بلسان حالها بعد أن كلّت اللسان المؤمنة ، ونضبت العيون
الساهرة ، وجفت يراعات العاملين .

وهكذا بدأت المأساة .. ولكم تمنيت لهذا القلم أن يكون خنجرا مسموما
تقطر منه الدماء يستقر في صدري وصدور الطلائع المؤمنة الفيورة على دينها
ومقدساتها قبل أن أسمع هذا الأمر الجلل وهذه الجريمة النكراء ... لقد
عاثت برائن الشعوب بطهر المسجد وقدسيته وجلاله مستهينة بمشاعر ملايين
المسلمين في بقاع المعمورة ، وما كانت الصهيونية ومن ورائها صانعوها الأقزام
وعملأؤهم الصغار ليفعلون شيئا من هذا لو أن أسود الايمان بارزة على مسرح
الحياة .. ولكن .. ويا للأسف ! وقعت المأساة وعاث اليهود بطهر المسجد
المبارك وقدسيته .

هذا المسجد المبارك ، أرض الاسراء والمعراج أحد المساجد الثلاثة التي
تشد إليها الرحال ، والتي شهدت عبر التاريخ اياما حافلات منذ فجر الاسلام
لجديرة بأن تضمد في هذه الايام امام الصهاينة وجرائمهم وهي حريّة أن تصبر
حتى بزوغ فجر التطهير والتحرير .

وكأنني بالصخرة المشرفة حين كانت نقطة الدائرة العربية المسلمة ، ويوم
كانت تمس بحافتيها طرف فرسا من هنا وطرف الصين من هناك يومها كانت
الصخرة شامخة صامدة ، واليوم تقف مستكينه وادعة تستفيث المؤمنين في
بقاع الارض أن حيّ على الجهاد حيّ على الجهاد .

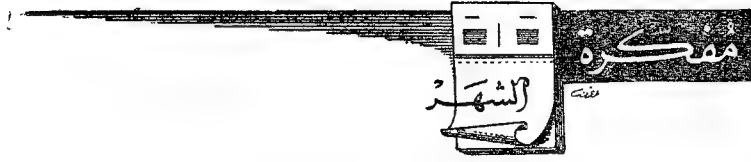
فيا جموع المسلمين في انحاء العمورة .. اعلموا أن الجهاد هو طريقنا
للوصول الى العزة ، ولن ترفرف راياتنا الا بحمل السيف في وجوه أعداء الله
واقزام البشرية ، واسمعوا معي قول الشاعر يفلسف حماية المسلمين لعقيدتهم
ومقدساتهم فيقول :

والسيف يلمع في يمين محمد ليصب ذعرا في الوهاد وفي الذرى
يعطيك معنى الحق كيف يصونه جيش والاّ بات حقا مهذرا

واسمعوا قول الله تبارك وتعالى حاثا الطلائع المؤمنة على النفير العام بعبارة
قوية صارخة : « انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل
الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » واسمعوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول « الجنة تحت ظلال السيوف » فشدوا الرحال ايها المسلمون
وأعدوا انفسكم ايها المؤمنون فالنصر من عند الله يؤتية من يشاء من عباده .

ايها الناس .. قوموا الى جنة عرضها كعرض السماوات والارض أعدت
للمجاهدين في سبيل الله .. اليّ أيديكم ايها المسلمون لنشد الرحال الى هناك
حيث ترفرف القلوب المؤمنة الى جانب المنبر الرائع الذي كانت جحافل الايمان
تضع بقربه الجباه ساجدة عابدة ، والتي روت جنباته دموع المؤمنين الباكين
المتبتلين في جنبات الليل القاتمة .. الى هناك باسم الله لننقذ المسجد المحزون
ونعلنها مدوية من جديد حي على الصلاة .. وعندها سيحسب العالم بأن الفاتح
صلاح الدين قد عاد الى الحياة .

جماعة الفكر الاسلامي
لاهور



اعداد : قلم التحرير

الصومال : اغتيل الرئيس الصومالي الدكتور عبد الرشيد علي شامركي ، أثناء تفقده مناطق القحط في شمال الصومال ، ويبلغ من العمر ٥٠ عاما ، وقد انتخب رئيساً للجمهورية في ٣٠ تموز ١٩٦٧ ، وقد عرف الرئيس الصومالي بتأييده للقضية العربية ، ويعتبر قضية فلسطين قضية صومالية ، وقد طلب الانضمام الى جامعة الدول العربية ، وذكرت جبهة تحرير ارتيريا ، أن قاتل الرئيس الصومالي عبد القادر عبيدي كان في أديس أبابا قبل حادث الاغتيال . بثلاثة أسابيع !

القدس : بدأت في اسرائيل مسرحية هزلية ، تحاول أن تتبرأ بها من حادث الحريق الذي شب في المسجد الأقصى في آب الماضي ، وبطل المسرحية شاب استرالي أشقر : مايكل دينيس روهان ، والهدف الاسرائيلي من حريق المسجد الأقصى ، هو من المحاولات المستمرة لتهويد القدس ، فالشاب الاسرائيلي بدأ يعترف في قاعة المحكمة التي هي أصلا كانت قاعة للموسيقى ، ويستمر عرض (المسرحية) . . وتستمر المهزلة ، وفي قاعة المسرح وضع بطل المهزلة في قفص زجاجي لا يخترقه الرصاص .

بريطانيا : أغلب المسؤولين في تلفزيون واذاعة بريطانيا يهود ، وأغلب المسؤولين في صحف بريطانيا يهود ، وجميع نوادي القمار في لندن أصحابها يهود ، وجميع زبائنها عرب ، وفي لندن قالت ملكة جمال اسرائيل ، أنا في الثانية والعشرين من العمر ، وقضيت عامين في الجيش الاسرائيلي ، واشتركت في حرب ١٩٦٧ ، وقتلت كثيرا من العرب .

بريطانيا : صدق مجلس اللوردات البريطاني مشروع قانون الطلاق في بريطانيا ، قدّم هذا المشروع منذ نيسان ١٩٦٣ ، وينص على حق الزوجين بالطلاق - بعد عامين من الانفصال بالتراضي المتبادل ، وبعد خمسة أعوام بناء لطلب أحدهما فقط . من أسباب الطلاق التي يحددها القانون : كبت الحرية لفترة طويلة ، الوضع (غير طبيعي) لأحد الزوجين .

الفاتيكان : استقبل البابا وزير خارجية اسرائيل ساعة كاملة ، قرون

يوسف سالم وزير خارجية لبنان الكاثوليكي زيارة عاصمة الكتلكة ، والتكلم باسم مائة مليون عربي الى جانب المسيحيين العرب في الشرقين العربي والاوسط . وطلب الوزير الكاثوليكي مقابلة البابا ليطلعه على ردّ الفعل العربي والإسلامي لاستقباله أبا أيان ، ولكن قداسة البابا امتنع عن استقبال وزير الخارجية اللبناني والكاثوليكي ؟؟

واشنطن : وصلت جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل كضييفة على ريتشارد نيكسون . وبكلمات حماسية قال : إني أرحب برئيسة حكومة شعب شجاع مصمم على المحافظة على السلام في المنطقة التي يعيش فيها . ومن أسباب زيارتها تزويد اسرائيل بالأسلحة . فجولدا مائير مقتنعة بأن الطريق الوحيد للمحافظة على السلام في الشرق الاوسط هو في التأكد من أن اسرائيل أقوى من العرب ، وخطتها أنها ستطلب من نيكسون ٢٥ طائرة فانتوم أخرى ، وبعض الطائرات من نوع سكاي هوك والكثير من الصواريخ من الارض للجو ، وقال أبا أيان : ان الولايات المتحدة تباع لنا طائرات الفانتوم ، لا ، لأن هذا في صالحنا بل لأنه في صالحها أيضاً . وقالت جولدا مائير أن نيكسون أكد لها أن الولايات المتحدة لن تحاول الضغط على اسرائيل للانسحاب من الأراضي العربية المحتلة ، قبل الوصول الى سلام دائم في الشرق الأوسط .

واشنطن : في الأمم المتحدة وافق وزيري خارجية القاهرة وعمان على اجراء مفاوضات عن طريق « يارنغ » على أن يكون التفاوض ضمن دائرة القرار الصادر عن الامم المتحدة في تشرين الثاني عام ١٩٦٧ ، ولم تبدر عن اي وزير عربي في الامم المتحدة معارضة جديدة . وفهم الوفد الاميركي وفهم وزراء الدول الكبرى أن القاهرة وعمان توافقان على حل سلمي رغبة منهما في ابعاد شبح الحرب عن الشرق الأوسط . ولكن اسرائيل تريد حلا سليما يفرضه المنتصر في حرب ، وتريد معاهدة كالتي فرضها الحلفاء على المانيا ، وما تريده اسرائيل تتبناه واشنطن ، وأمام العرب طريقان لا ثالث لهما : الخضوع والقبول ، أو الحرب .

فرنسا : تلح اسرائيل على فرنسا للحصول على سلاح كاكوتوس المضاد للطائرات ، الذي يتعقب الطائرات المغيرة ويحدد مكانها وينبه عنها ، وسلاح كاكوتوس عبارة عن عربة مدرعة متحركة مزودة بجهاز رادار و٤ مدافع صواريخ من طراز (كروتال) زنة ٩٠ كيلو غراما . . والصاروخ ينطلق حتى مسافة ٨ كيلومتر وبسرعة رهيبة تصل الى ٢٥٠٠ كيلومتر في الساعة ، أي أن الصاروخ يقطع أقصى مسافة له في ١٦ ثانية ، وهناك عربة أخرى - أقل حجما - تضم باقي الاجهزة التي تدار الكترونيا وتتولى عمليات الرصد وتحديد الهدف واطلاق الصواريخ الباحثة عن الطائرات المغيرة .

الغرب : في مدينة فاس كان اللقاء بين الجامعات الاسلامية ، وقد اشتركت في المؤتمر وفود من عشرين قطرا ، وذلك تلبية لدعوة وجهتها (جامعة القرويين) الى دور العلم الاسلامية رجاء أن يلتئم شملها في رابطة جامعة لإدراك الدور المنوط بهذه الجامعات في هذه المرحلة الدقيقة الحرجة من صراع الوجود والمصير ، وعن وعي مرهف لحاجتنا الى التأذر والتعاون على حمل هذه الأمانة الصعبة في مواجهة التحديات المفروضة على دور العلم الإسلامية في دوامة العصر ومعترك المذاهب والقيم .

ومن توصيات المؤتمر أن يكون هناك مركز إسلامي للبحث والدراسات ، وسجل إحصائي لدور العلم الاسلامية ، ومكتبة جامعة لما نشر أو سينشر عن دراسات في الإسلام للمتخصصين من شرق وغرب ، ومجلة للبحوث العالية يكتبها أساتذة الدراسات الإسلامية بلغاتهم القومية مع تعريف موجز باللغة العربية .

القدس المحتلة : النار التي شبت في صباح يوم الخميس ٢١ آب ، والتهمت الجناح الشرقي للمسجد الأقصى ، وما حريق المسجد الأقصى إلا حلقة في سلسلة مخططة من جانب الصهيونية العنصرية التي يوجهها التعصب الديني لتدمير كل المقدسات الدينية غير اليهودية في المدينة . لبناء (اسرائيل الكبرى) ففسدوا المنازل العربية من حول حائط المبكى ، والمسجد الأقصى يقف عقبة أمام تنفيذ مشروعات الصهيونية من أجل توسيع الميدان أمام حائط المبكى وإعادة بناء هيكل سليمان .

اسرائيل وحكومات الشعوب الاسلامية : فسحت هذه الحكومات المجال لاسرائيل ، والصهيونية احدى القوى العالمية ، وقد اشترطت ألمانيا الغربية من أجل تقديمها معونتها لاندونيسيا بفتح أسواقها للشركات الاسرائيلية . وثمة حقيقة غريبة وهي أن بعض هذه الحكومات لها علاقات دبلوماسية مع اسرائيل عدا الصومال وباكستان وموريتانيا وأفغانستان واندونيسيا . في إيران سفارة اسرائيلية تعمل تحت اسم المكتب الاقتصادي الاسرائيلي في طهران ، وتمدد إيران اسرائيل بالنفط ، والاسرائيليون يقومون بتدريب بعض الإيرانيين . والنشاط الاسرائيلي في تركيا يخضع لمخطط شامل قامت اسرائيل بوضعه وتنفيذه بالاشتراك مع طائفة (الدونما) وهي الأقلية الثرية النشطة هناك . وتظهر محاولات التغفل الاسرائيلي في الكثير من الدول الافريقية ذات الأغلبية الإسلامية بصورة واضحة ، وقد استغلت اسرائيل أيضاً الحرب الأهلية في نيجيريا .

اسرائيل : طلبت اسرائيل من أمريكا تزويدها بـ ٢٤٠ طائرة قاذفة ومقاتلة من بينها ٨٠ طائرة سكاي هوك و ١٣٥ طائرة هليكوبتر طراز سيكورسكي وهي طائرات ضخمة يمكنها نقل القوات والأسلحة الثقيلة . وقد سرقت اسرائيل التصميمات الخاصة بصناعة طائرات الميراج الحديثة بواسطة جواسيسها في سويسرا ، وتهريبها عن طريق ألمانيا الغربية ، وقرب اللد يوجد مصنع للطائرات . وقد أنتج طائرة من طراز (جيت كوماندر) وطائرة أخرى من طراز (آرفا) تصلح لنقل الجنود في العمليات الجوية ، كما انشأت اسرائيل مصنعا آخر للمحركات النفاثة في بلدة (بيت شمس) .

وقد طلبت اسرائيل من بريطانيا تزويدها بصفة عاجلة بـ ٢٠٠ دبابة شيفتين وهي آخر طراز من الدبابات البريطانية ، وطلبت تسليمها قبل نهاية العام الحالي .

ومن أوائل هذا العام أرسلت الى اسرائيل شحنات من الدبابات الأمريكية قدرت بنحو ١٥٠ دبابة من المدرعات الأمريكية في ألمانيا الغربية ، وستحصل اسرائيل على قاعدة عسكرية بريطانية في جزيرة مالطة لتحويلها الى قاعدة عسكرية اسرائيلية ، وستحصل على بعض القطع البحرية من حلف الاطلنطي . وقد قدرت المبالغ التي دفعتها أميركا لاسرائيل منذ انشائها حتى الآن بـ ٢٥ ألف مليون دولار .

الولايات المتحدة : حملة واسعة بين اليهود في الولايات المتحدة لارسال بناتهم الى اسرائيل للترفيه عن الجنود هناك ! والدعوة صريحة ونشرت في الصحف اليهودية هناك ودعت اليها الهيئات الدينية اليهودية !

قالت الحملة ان جنود اسرائيل يحافظون على أمن اسرائيل ومن واجب قتياننا أن يكافئوهم بلحظات سعادة وترفيه ! ولم تكذب الفتيات اليهوديات الخبر ! وسافرن أفواجا الى اسرائيل لتقديم السعادة المطلوبة والترفيه المنتظر للجنود الاسرائيليين .

القدس : أرسلت جماعة ماسونية يهودية ، بعد الاحتلال بأسابيع تعرض على مصلحة الوقف الاسلامي في القدس شراء أرض الحرم لبناء الهيكل عليها مقابل مئة مليون دولار . . . وقد ردت الهيئة الإسلامية قائلة : إن شبرا واحداً من الحرم لا يباع بكل دولارات امريكا .

وقد هدمت اسرائيل أكثر من ١٥٠ منزلاً ملاصقاً للمسجد الأقصى ، واستولت على أكثر من ٨٣٠ منزلاً تمهيداً للبدء في بناء هيكل سليمان .

الهند : في مدينة أحمد آباد ، انحرفت بقرة ودخلت شارعاً اسلامياً ، ولحق القطيع بالبقرة الشاذة والعادة أن يدخل القطيع المنازل والمحلات التجارية فيعيش فيها فساداً وتحطيماً دون أن تمتد إليه يد ، أو يرتفع في وجهه صوت . أما سكان الحي من المسلمين فقد طردوا القطيع من بيوتهم ومتاجرهم ، بالعصي والحجارة خوفاً من أن يلحق بها أضراراً كبيرة . وكانت الكارثة . . . لقد ثارت نائرة طلاب المعهد الديني الهندوسي المرافق للقطيع إلى باحة المعهد . . . لهم يتمالكوا رؤية الإله المقدس ، يرحم بالحجار ويضرب بالعصا . . . فهجموا على السكان المسلمين واشتبكوا معهم بالأيدي ، ثم تطور الاشتباك حتى بلغ عدد القتلى من المسلمين يجاوز ٥٠٠ قتيلاً أما عدد الجرحى فيزيد على الألف ، لقد كان الهندوس يهاجمون أحياء المسلمين ويحرقونها ويسلبون مافيها .

جنوب افريقيا : في مدينة كيب تاون في اتحاد جنوب افريقيا مات الزعيم المسلم عبد الله هارون في السجن . . وكانت حكومة البيض العنصرية في اتحاد جنوب افريقيا قد اعتقلت الامام الشهيد ثم ألقت به في السجن بلا محاكمة بموجب قانون الطوارئ .

المدينة المقدسة : انتهت معركة حطين في ٣ تموز ١١٨٧ م ، وفي يوم الاحد ٢٠ ايلول وصل جيش صلاح الدين الى أسوار المدينة المقدسة ، وعرض على الصليبيين المحتلين تسليمه المدينة فرفضوا ، وفي ٢٦ ايلول ابتدأ القتال ، ولما شعر الصليبيون بالخطر ، وأن المسلمين على وشك اقتحام الأسوار طلب القائد الصليبي (باليان) من صلاح الدين الأمان . وهدد صلاح الدين إذا لم يوافق على السلام فسوف يهدمون المقدسات الإسلامية فوافق صلاح الدين ، وفي يوم الجمعة ٣ تشرين الأول ١١٨٧ م تم التوقيع على نسختي المعاهدة الخاصة بالتسليم . وكتب العماد الأصفهاني سبعين كتاباً إلى مختلف الأنحاء ، حاملة أخبار الفتح ، ومهنته به جماهير المسلمين .

دمشق : في ١١ تشرين الأول ٩٦٦ ، نشر في دمشق بيان بمناسبة زيارة هيلاسيلاسي لبعض الأقطار العربية ، اتهم البيان الحبشة بالفرقة واستيلائها على (ارتيريا العربية) واحلال اللغة الأمهرية محل اللغة العربية في ارتيريا والصومال الغربي ، وعلل البيان أسباب اعتراف الحبشة بإسرائيل ، واتهم البيان زيارة سيلاسي للاقطار العربية بأنها ترمي الى تصفية تعاطف العرب مع ثورة شعب ارتيريا .

اسرائيل : في ٢٠ تشرين الاول ١٩٦٦ أثنت جريدة (دافار) الناطقة بلسان الهستدروت في اسرائيل على تصريحات هيلاسيلاسي ، امبراطور الحبشة ، بشأن علاقة بلاده باسرائيل ، خلال زيارته للاقطار العربية ، وأضافت دافار تقول : « والواقع انه لم يسبق لزائر أجنبي آخر أن قال قولاً في هذه المسألة صريحاً كهذا ، سواء أكان في محادثات سرية أم علانية » .

مالطة : جزيرة مالطة لها أهمية استراتيجية بصفتها قريبة من شاطئ شمال أفريقيا العربي وكونها نقطة اتصال بين شرق البحر الأبيض المتوسط وغربه ، وهي منذ فجر التاريخ قاعدة للأساطيل الأجنبية وقاعدة للغزاة المحتلين ، وينتظر إذا ما تمكنت الحركة الصهيونية من استعمارها أن تصبح قاعدة هجرة اسرائيلية تهدد أمن وسلامة الأقطار العربية في شمال افريقيا واقدام الصهيونية على استعمار جزيرة مالطة جزء من المخطط الاسرائيلي الذي يهدف الى إحاطة الوطن العربي بحزام عسكري - اقتصادي اسرائيلي يهدف الى السيطرة عليه .

بريطانيا : صرحت النائبة العمالية مارجريت ماكاي في نيويورك بأن مجلس العموم البريطاني يتبنى سياسة مبالية لاسرائيل نتيجة للضغط الذي يتعرض له من جانب ٦٢ نائباً يهودياً في المجلس ، وفي بريطانيا ٤١٠ آلاف يهودي ، وفي مجلس اللوردات ١٣ عضواً يحملون القاب النبلاء .

الولايات المتحدة : أقيم في جامعة نيفادا أسبوع للجنس ألقى عدد من الاختصاصيين على الطلبة محاضرات في موضوعات الشذوذ الجنسي عند الرجال والنساء ، كما عرض عليهم بعض الأفلام التي تصور الأعضاء التناسلية ووظيفتها في ايقاظ البواعث الجنسية .

تصويب

وقع في مقال (مكتبة الأدب الاسلامي) العدد الرابع السنة العاشرة
بعض الأغلط المطبعية ، فالرجاء تلافئها .

١ - تعاد قراءة الفقرة (٩) التالية كما يلي :

٩ - النقد الأدبي الإسلامي :

كتب في هذا الباب كتابان هما (منهج الفن الإسلامي (٧٣)) لمحمد قطب ،
و (الإسلامية والمداهب الأدبية (٧٤)) للدكتور نجيب الكيلاني . الأول اتجه
الى الفن الاسلامي كلا ، لكن عنايته انصبت على الادب الإسلامي ، لذلك
أدرجناه هاهنا .

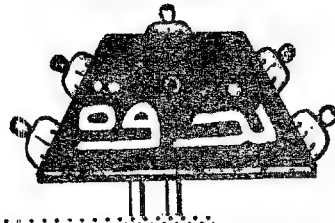
لدى الموازنة بين الكتابين يلاحظ أن الأول أسبق من الناحية الزمانية ،
وأكثر عمقا وتماسكاً مع التصور الإسلامي ، لا سيما المصطلحات والتعريفات
وإرسال الأحكام . أما الثاني فقد انفرد ببعض المسائل مثل (مشكلة اللغة) ،
وابتكر اسما للادب الإسلامي وهو (الإسلامية) إزاء (الكلاسيكية والرومنسية
والرمزية والواقعية والوجودية) .

يتجه الكتابان الى وضع قواعد لأصول النقد الأدبي الإسلامي شكلاً
ومضموناً ، وإلى تقويم الأدب الإسلامي القديم متمثلاً في القرآن الكريم بشكل
خاص ، ثم عرض نماذج من الأدب الاسلامي الحديث ، ثم إلحاق مختارات
شعرية ونثرية بآخر الكتاب إلخ ...)

٢ - يملأ بياض الهامش (٣٣) بما يلي : مكتبة مصر .

٣ - تحذف العبارات التالية من آخر هوامش الصفحة - ٣٤ - الواقعة

بعد الهامش (٣٤) وهي : كفاي ، المكتبة العصرية بصيدا .



القراء

• تحت هذا العنوان كتب الينا الأخ الفاضل « هشام جمل » بهذه الأبيات التي نقدمها لقراءنا شاكرين •

عجبا أخي للمجد كيف تهديما ؟
دحر الأكاسير والقيصر ضربته
ملك المشارق والمغرب صيحته
ولحد سيفك كيف أضحي مثليما ؟
وسما يعاقل في السماء الأنجما
وصحا عليه الكون نوراً معلما

♦ ♦ ♦

عجبا أخي للليل كيف تطاولت ؟
عجبا لغيظك كيف يبقى نائما
يكي ، ويصرخ ، والنداء كآثته
آفاقه فغدا نهارك معتتما ؟
والمسجد الأقصى يعيش المائما ؟
صوت " غريب " ليس يعني مبسما

♦ ♦ ♦

هلا ذكرت المجد يابن عربتي
تسري الى مسرى النبي محمد
فتهد اركان الضلال بعزمها
وتحمل الفاروق من محرابه
تطوي جفافله الظلام الأبكما
كسرى الجيب الى مناه مئتما
وتعيد للأقصى سلاما دائما
عهدا وميثاقا عظيما مبرما

♦ ♦ ♦

هلا ذكرت وقائع النصر الذي
قد تم في « حطين » قسراً مرغما

أهل^(١) الصليب وما بناه خيالهم
تمشي على برك الدماء خيولنا
حتى غدا مهد المسيح ومسجدي
شرف عظيم للعروبة خالد
بالوحدة الكبرى عليها ساطع

اضحو طعماً للسيوف مقدماً
والبيض ترفدها بأنهار الدما
قبراً لكل المعتدين ومرجماً
قدناله «الصديق^(٢)» في هذا الحمي
حدث المهندر بالسلام معمم

• • •

هذا نداء للمروعة يا أخي
فانفض جناحك إن أذاك أزيه
إني كسرت القيد قيد هزيمتي
وغداً سأحيا في حماك مكرماً

قد حان موعد فشار وزمزا
واصرخ : أتيتك يا فلسطين السما
وأئتت أطعم للغزاة العلقما
وبخير أرضك راضياً متنعماً

• ومن الأخ محمد سالم سليمة من دمشق وصلنا هذا الاقتراح :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

لا أحب أن أطيل فوقتكم قصير ، والموضوع هو :

أقترح أن ترفقوا مع كل عدد من مجلتنا « حضارة الإسلام » هدية صغيرة
بعنوان : « المسلم الصغير » تتألف من ورقتين بحجم صغير (٤ صفحات فقط)
يطالع فيها الشبل المسلم نفحات ومقتطفات عن أبطال الإسلام ، وعباداته ،
وأخلاقه و ...

وإذا ما وافقتم على الاقتراح فأنا مستعد لأن أزودكم بما تتطلب هذه
الهدية من موضوعات . ولكم جزيل الشكر .

• ونحن إذ نشكر للاخ الكريم اقتراحه الطيب المفيد نود أن نقول : إنا
على قناعة تامة بهذا منذ زمن لأن القضية تدخل في حيز الاعداد الجذري للطفل
وقد بحثنا الأمر مع عدد من الاخوة الكتاب وحتى الآن لم نصل الى ما يساعدنا
على التنفيذ بالشكل المطلوب ، لذا نكون شاكرين لو بادر الاخ محمد بارسال
شيء يتناسب مع الموضوع كنموذج أولي ، وبانتظار ما يصل منه ومن غيره نسأل
الله لنا جميعاً العون والتوفيق •

(١) أصحاب الغزو الصليبي (الناصر صلاح الدين الايوبي) .

● ومن الاخ محمد راجي - دير الزور جاءنا ما يلي :

اخي رئيس التحرير المحترم

السلام عليكم ورحمة الله :

زرت ثلاثة أرباع العالم فما استنتجت من زيارتي تلك وخاصة أوربا فلقد وجدت أن الأوربيين لا زالوا يسكنون الغابات ولكنهم يشعلون الكهرباء ووجدتهم عبارة عن آلات تعمل بشكل ميكانيكي ولكنهم يتكلمون فهم عبارة عن معدن أصم لا روح فيه والانسان متى فقد منه الروحية كان كحيوان بل أضلّ سبيلا

فيا أخي العزيز ارفعوا صوتكم معي لتحقيق هذا الاقتراح المهم جدا وهو :

لماذا لا نجعل المدارس الشرعية بالمحافظات وكلية الشريعة بدمشق تدرس معظم برامجها باللغات الفرنسية والانكليزية والالمانية وبالتالي نخرج مبشرين مسلمين للعالم بنفس لغتهم بدل أن يخرجوا من كلية الشريعة ينتظروا أن يرزقهم الله وظيفة . فعبد الرحمن الغافقي وصل لبحر المانش فاتحاً البلاد بالسيف فلماذا نحن الآن لا نصل لبحر المانش لفتح البلاد بلساننا على الأقل لا بسيوفنا فلماذا يا دكتور محمد لماذا ... وقبل أن أغلق القلم أدعو الله خمس مرات في اليوم أن يحفظكم دخرا للاسلام وسندا لشريعة من بيده الخير .

● نحن مع الاخ محجم في أن دارس الشريعة يجب أن يلم ولو بلفة أجنبية واحدة على الأقل ليكون ذلك نافذة له على العالم يعرف منها ما يكون من تيارات الفكر ويتهيأ له سلاح من أسلحة الدعوة الى الاسلام . اما تدريس الشريعة باللفة الاجنبية فليس هو الذي يؤدي الغرض اذ ان الاسلام يجب ان يؤخذ من منابعه بالعربية أولا ، وشكر الله للأخ غيرته .

● من الاخ ابي القيم الكبيسي وردتنا هذه الخاطرة عن فقييد المسلمين
الشيخ محمد الحامد رحمه الله .

محمد الحامد شيخ (صمّاء)

إنَّ حرقه ستبقى بقلبي ما بقيت أن لم أر الرجل الكبير غير أن ما أمل
يعوض ما هو آفل (وما عند الله خير وابقى)

إنه شيخٌ رجل
كم بعيني شيوخ وشيوخ
لا أباليهم بالآ !
ما رأيته
غير أن القلب ميّال إليه
لا تسلي كيف ؟ فالأرواح
جند .. وقلوب الخلق
دوماً يديه !
ما رأيته
لكن القلب وآه
وبصير القلب (إنسان)
يرى ما لا نراه

إنّ قاي (بكيس) قد رآه
شاسع بين (كيس) و (صمّاه)

(١) الضمير عائد الى (الله) عز وجل .

عبد الوهاب بن محمد

إنه شيخ رجل وكذاك
الشيخ لا كل الشيوخ
ليس من أسس بنياناً
بثقوى مثل من يرغى
بعش العنكبوت !
إنه ما ابتاع ديناً
لأجل دنياً
لا ولا أعطى الدينه
(وكثيرون) أ حالوا .. ال
دين (فماً) .. آكلأ
ألف هديه^(١)
من يد (السلطان) وأسلطان
موت و بليته
إنه شيخ رجل
غيره فـات
وكم فـات .. وفات
غير أن الشيخ هذا
ان يفوت
إن من خلف علماً ناطقاً
كيف يموت ؟ !

وكلاء التوزيع

في المحافظات :	
حلب :	سميح الدعاس - باب النصر
حماة :	مكتبة دار الدعوة - تحت القلعة
حمص :	المكتبة الإسلامية - الفاخورة لصاحبها عارف النكدلي
دير الزور :	مكتبة دار الفكر
درعا :	مكتبة الاستقامة - المحطة
جبله :	مصطفى الحاج جمعة
في البلاد العربية :	
العراق :	مكتبة المثنى - بغداد
السعودية :	الدار السعودية للتوزيع والنشر جده ص.ب ٢٠٤٣
الطائف :	المكتبة السلفية الكبرى
المدينة المنورة :	الجامعة الإسلامية
الرياض :	مكتبة الآداب
الكويت :	مكتبة المنار ص.ب ٦٣٣
لبنان :	مجلة المجتمع - طرابلس
بيروت :	دار العربية بيروت ص.ب ٣٧٧١
الأردن :	مكتبة الأقصى - عمان ص.ب ٣٠١
قطر :	مكتبة الثقافة - الدوحة ص.ب ٨٤٢
اليمن :	صنعاء - مكتبة الجيل الجديد
السودان :	خرطوم بحري - الدار السودانية للتوزيع والنشر ص.ب ٢٤٧٣
بنغازي :	مكتبة دار القلم ص.ب ٨٢
في دمشق :	دار الكتب العربية - مدخل الحلبوني هـ ١٥٢١٨

